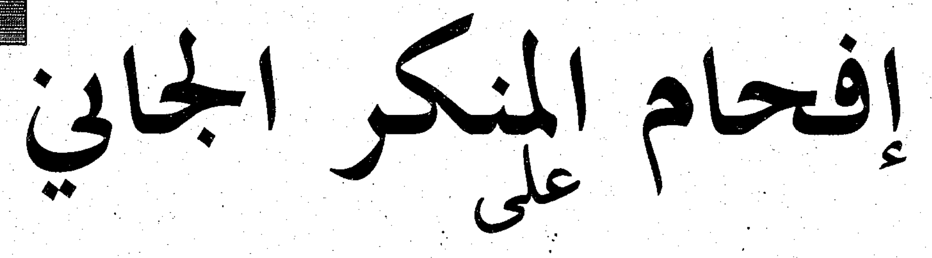


على طريق سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا

أحمد بن محمد التجاني



للعلامة

السيد الحاج مالك عليه رضى المالك

77 534 66 73

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

صلاة تنفعنا بها شيخنا وأستاذنا ووسيلتنا المؤلف وترفعنا بها لما يرضيك ويرضيه ويؤيدنا على إتْمام هذا الكتاب مدة قليلة مع كونه مقبولة لا مردودة ببركة مؤلفه وننال بها رضاك ورضي شيخنا المؤلف رضي تاما لا سخط بعده أبدا.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب الأرباب ومقدار الأسباب وخالق خلقه من التراب وجاعل صدور أوليائه الأحباب، خزائن الأسرار والأحكام وصورنا كما يشاء في الأرحام سبحانه وهو العزيز الحكيم المدبر الخبير العليم، والصلاة والسلام على من بعث لإقامة الحجة والبرهان سيد بني عدنان ينبوع الحكمة والعرفان وعين رحمة الرحمن، وهو ﷺ الواسطة لجميع الرحمات الإلَهية والفيوضات الربانية وآله وصحبه الذين أيدوا أركان الدين وشيَّدوها خير تشييد رضي الله تعالى عنهم أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فيقول العبد الفقير لطف به مولاه القدير ابن الشيخ عثمان الحاج مالك وقاه شر الْمهالك ربنا الْمالك إنه لَما كان الذّب والدفاع عن الْمؤمنين ولا سيما الأولياء الأصفياء الأتقياء الْمحبوبين متأكدا على كل من ينتسب إلى الدين لأن في دفاع الله عنهم حيث قال جل وعلا: إن الله يدافع عن الذين آمنوا. تعليما لكل عاقل فطن مكين، وكان شيخنا قطب الأقطاب وخاتم سلك الأولياء الأحباب والبرزخ الْمكتوم بحر الحقائق والعلوم سيدنا وسندنا أحمد بن محمد التجاني، أحله

الله دار التهاني. مبتلى بالإنكار في كل عصر من الأعصار تأكّد علينا نحن التجانيين بل جميع المؤمنين أن يدافع كل واحد منا بقدر طاقته من غير إفـراط ولا تفـريط عمن عاصروه من الْمنكرين. فذلك جمعت هذه الْمجموعة مع ما أكابده من قريحة جامدة وفطنة خامدة وقرعت بابا ليست من أهله لقصر الباع في سلوكـ نَهجـه ولكن الله يَمن على من يشاء من عباذه أفاض علينا بِمنه وكرمـه بحـور أنـواره وجعله خالصا لوجهه الكريم وحمانا بسرا دقات عزه عن حزب عـدونا الـرجيم وسَمّيته:

إفحام المنكر الجاني

على طريق سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني البدر الْمنير والعلم الشهير وجلاء القلوب ومجلي الكروب أو زوال الإلباس عـن عـوام [1] طريـق القطب أبي العباس الذين لبس عليهم أمر الطريقة كثرة الدعاوي حتى سـقطوا في المهاوي وما علموا أن الغرقى لا ينقذون الغزيق. نجانا الله وإياكم من شر الحريق. وأن اتحاد الطرق وتواخيها وكون المشائخ كذات واحد لا يَمنع وجـوب إتبـاع الْمريد شروط شيخه على مصطلح القوم في القول السديد لاخـتلاف الفـروع والمسالكـ وسيأتي بيان ذلك لأن الإرتباط لا يصح إلا في الإتبـاع وفي عدمـه الإنخرام والإنقطاع.

ورتبتها على مقدمة في التعريف بسندي شريعة وحقيقة وسبعة فصول:

الفصل الأول: في بيان سلسلة نسب الشيخ رضي الله تعالى عنه الذهبيـة الحـائزة الفخر والمزية، ومولده، وعشيرته الأقربين.

وفي نسخة: (١) من حوام

الفصل الثاني: في مبدأ أمره مختصرا ومنشإ طريقه المبتدر إليه بالإنكار لما شرع ينشر في الأقطاب.

الفصل الثالث: في بيان أن التربية بالهمّة التي هي الأصل لأنه ﷺ ربى جميع أصحابه بِها أولى في زماننا هذا لفساد الوقت.

الفصل الرابع: في بيان أن طريقتنا المحمدية الأحمدية ما فارقت تصديق المصدقين المنخرطين في السلك وغيرهم وإنكار المنكرين إلى هلم جرا.

الفصل الخامس: في رد بعض ما أنكره المنكرون في طريقتنا المحمدية الأحمدية.

الفصل السادس: في بيان ما لا يسمى إنكارا وهو أشد منه في هدم قواعد الطريق.

الفصل السابع: في المسألتين المهمتين اللتين فرغ منهما قبل ولإتمام النفع جعلت لَها تتمة في فقه الطريقة الأحمدية التجانية ورتبتها على أربعة فصول، وختمتها بقصيدة في ضمنها خلاصة ما في الكتاب. والله يهدينا بمنه إلى الصواب.

المقدمة:

وأما سندي في طريقتنا الدرة البيضاء اليتيمة المحمدية الأحمدية التي لا ينخرط في سلكها إلا السعيد المقبول عند ربنا الجليل فأقول وبالله التوفيق والْهداية والتحقيق، فإني بعد ما حصل ما قدر الله من القرآن وأريد ابتداء قراءة العلم في البلدان نظمني في سلك رجالها أهل الفضل والعدل والعرفان خالي الشقيق محمد بن أبي بكر ابن عبد الرحمان المشهور عند أهله ب (أَلْفَ مَيُرُ) - بفتح الهمزة وسكون اللام آخره فاء يعنون به الفاهم وبلحنهم رخّموه - وهو عند (حُور فُو نْد) قرية كبيرة من فوت ممن أنار الله به الطريق في هذه الأقطار حتى صار

في ضيائها كالنهار جزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا ووقانا بجاهه ضيرا أول من حج في بلادنا ببيت الله الحرام فيما نعرف خديم الحضرتين في كل مقام ومرام الحاج عمر بن السعيد. المتبحّر في علمي الظاهر والباطن القطب الشهير من جميع الأماكن.

وهو رضي الله عنه أخذ أوّلا عن الشيخ الكريم عبد الكريم الأذكار اللازمة فقط، وما أخذ منه من الإختيارية إلا حزب السيفي المجرد عن حزب المغني، وذكره سنة كاملة مع زيادة أشهر ثم واعد مع شيخه عبد الكريم المرافقة إلى حج بيت الله الكريم (١) وزيارة نبيه الصميم ولم يقض الله اللقاء بينهما بعد ذلك، ومنَّ الله له رضي الله عنه بالوصول إلى بيته الكريم، ووجد هنالك الشيخ النبيه العالي سيدي محمد الغالي مجاورا وألقى إليه عصا التسيار ثم بشره بإعطاء نسخة من جواهر المعاني واستسلم إليه القياد وكان بين يديه كالميت بين يدي الغاسل وخدمه قدر ثلاث سنين، وصار سلوكه إليه في أمر الطريق واستفاد منه أذكارا وأسرارا وخوّاصا تكتب في الأوراق وما تكتب في الأحداق وفاز منه التقديم المطلق والإذن في التقديم المقيد.

راجع الرماح ففيه تفصيل ما ذكرنا. وسيدي محمد الغالي رضي الله تعالى عنه من خلفاء الشيخ الخاتم الرباني والغوث الصمداني سيدنا وإمامنا الكبريت الأحمر أحمد بن محمد التجاني سقانا الله من بحره بأعظم الأواني وممن أخذ عنه بلا واسطة أو بواسطة: سيدنا عليّ حرازم كما في الرماح، والشيخ رضي الله تعالى عنه أخذ طريقه عن سيّد الوجود ﷺ بلا منام مشافهة فنال جميع ما يرام.

وفي نسخة: (١)الحرام

ثم أخذ خالي أيضا: عن الخليفة الأكرم والواسطة الأعظم الشيخ ابن سيدي الفاضل النبيل الكامل اليعقوبي الشيخ مَوْلُودْ فَالْ وكتب له مقدم البركة سيدي محمد يحيى ورقة فيها إطلاقه في تقديم كل من له أهلية في ذلك بإذن الخليفة المذكور، ثم دفع إلي خالي تلك الورقة وخلّفني عليها سالما صحيحا.

وذكر لي ابن الشيخ سيدي مولود فال أحسن الله لنا وله الحال أن جده الشيخ مولود فال لما تهيأ للوفاة أمر مريده الصادق الشيخ عمر الكوري أن يمكث سنة في محله بعد انتقاله إلى دار البقاء ليمكن جميع أسراره في يد ولده الشيخ ثم ذهب إلى حيث شاء.

وسيدي مولود أخذ عن إمامنا وسندنا ذي العلامات الظاهرة والمقامات الباهرة الشيخ محمد الحافظ بسكون الميم الولي القطب الحافظ وهو عن شيخنا وسندنا أحمد بن محمد التجاني وجدد لسيدي مولود فال بعد ذلك سيدنا محمد الغالي وخالي أيضا أجازني في الفاتحة بنية كذا وعدد كذا مراسلة، وقد تخالف في العدد سيدي مولود وسيدي الحاج عمر رضي الله تعالى عنهما.

ثم بعد سنين أتانا شيخنا الكريم ووسيلتنا الصميم أعجوبة الزمان في قراءة القرآن العظيم وفي تتبع أحوال طريقة القطب المكتوم أبو البركات والمعالي الشيخ محمد عالي اليعقوبي ومدحه خالي بتبحره في علم الطريق وظلنا نتحادث حتى راحوا إلى دكَن وشيعتهم. ثم رجعت إلى أهلي بعد ما وصلنا دَكَنَ بفتح الدال المهملة والكاف المعقودة آخره نون ورجعت إليهم ثانيا ثم جدّد لي الطريق بعد التردّد تبركا مع صحة السند المتقدّمة الحمد لله.

ثم لما رجعوا إلى أهلهم تعلق القلب بالقدوم عليهم لما رأيته حامل لواء الطريقة ومشتملا من علوم الطريقة وأسرارها

على ما يشار إليه بالأصابع ولأني في ذلك الوقت لم تكن منية المريد في يدي وظمئت إلى رؤيتها (١) وقدمت عليهم وأجازني إجازة مطلقة وذكر لي بل كتب أنه أخذ من عدة أشياخ أولهم: سيدي مولود في صغره، ثم من خليفة سيدنا مولود مختار بن محمد بن بابان وغيرهما وهو وسيدي مولود آيتان من آيات الله في الطاعة والتقوى والدين، وأراني إجازة سيدنا مختار بن محمد بن بابان له بخط يده المباركة.

وقد أخبرني يوم الملاقات وقت التشييع لما سألته عن خبر بعض الإخوان في التقديم؟ فقال لي ليس له إذن في ذلك. فقلت له فما تأمرني إذا قدمت على مقدميه فقال لي فافعل ما شئت منهم من تقديم أو تأخير،(٢) ثم بعد ذلك كتبت إليه براوة فيها أسئلة منها:

هل توكيلك إياي عليهم خاص بهم أم يشمل غيرهم؟

فقال: أما الوكالة فقد أنزلتك منْزلتي وأقمتك مقامي فلا حجر عليك مع توفّر الشروط التي ذكر (٣) سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه كما في البغية. ولما أمرني بالرجوع إلى الأهل كتب بخط يمينه المبارك:

الحمد لله وحده اللهم صل على سيدنا محمد عبده ورسوله وآله وصحبه وبعد:

فاعلم يا أخي وحبيبي وقرة عيني أني اتخذتك حبيبا في الدارين ومن كان معي هكذا كان حبيب الله ورسوله وشيخنا سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه في الدارين. وإني أذنت لك في الفاتحة بنية الاسم الأعظم ومقصدها سأذكره لك إن شاء الله تعالى مشافهة لأنه لا يكتب في الأوراق وإنما أذكره مشافهة، وأذنت لك في سر

وفي نسخة: (١) وظئمت رؤيتهم. وفي نسخة: (٢) وتأخير. وفي نسخة (٣) ذكرتُ من.

شيخنا الكبير الذي يذكر يوم الجمعة ويوم الاثنين ولا يكتب أيضا.

وفي مرتبة الفاتح لما أغلق الظاهرة والباطنة ولا يكتب أيضا وغدا إن شاء الله تسير بقضاء الحاجة إلى القصر أعني قصركم: وآمرك بتقوى الله تعالى والتيسير وعدم التعسير على الإخوان وعدم مخالطة الخلق إلا بقدر الضرورة حتى يكمل المراد وتصير أمير نفسك مع ما يلقي إليك ربك، وكثرة ذكر الله تعالى في السر والعلانية، وغض الطرف عن الدنيا الفانية وعدم الإعتراض على أحد فيما أقامه الله تعالى، وأقول لك إذا قدمت أيها المريد على بلدتك فاثبت على طلب إرادتك وكيفية الثبات عليها أن لا تتخذ خلا إلا خلا يدلك على الله تعالى عالم القلب عالم اللسان ولتكن مخالطتك له كشرب الدواء لا يشرب إلا لزوال علة واحذر مخالطة أبناء الدنيا وهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وعندهم ما يحتاجون فيه من فرض العين وأما غيرهم ففراعنة ففرّ عنهم إن كانت لك حاجة بنفسك واذكر قول الله تعالى: (فاستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) الآية.

وآخر ملاقاتي إياه في قرية جَارْدِ ولما توادعنا ومرّ بانْدَرْ رأى هنالك وريقة في يد بعض الأصحاب كتب فيها مقصد الفاتحة وقال له كتبه لي الشيخ الحاج مالك، وفي المهالك ولم يكن ذلك حقا وكتب إِلَيَّ براوة يقول لي فيها: لا تأذن فيه أحدا بعد وسندي في الإذن للغير بعد ذلك من الإطلاقات الآتية: الحمد لله وهو رضي الله تعالى عنه لما كتبه لي بخط يده أمرني أن أخط عليه خطوطا غيرة من الأسرار كما هو دأب الكرام وقد قالوا صدور الأحرار قبور الأسرار التضييق في أسرار الطريقة أصل قوي عند سلفها ولكن لما كان لسان حالنا يقول كما قال القائل:

خذوني رخيصا لاضطراري إليكم ... ويرخص عند الاضطرار مبيع

انعكس الأمر ((فإنا لله وإنا إليه راجعون)). الشورى ١٥

ثم لما توفي خالي رضي الله تعالى عنه بعد سنين كتبت كتابا فيه ابتداء أمري وآخره إلى شيخنا الشهير والعلم المنير أبي العباس أحمد بن بدّ بفتح الموحدة وتشديد الدال وكسرها وهو أي بدّ شيخنا وسيدنا محمد بن سيدين حسان الطريق خليفة شيخنا محمد الحافظ بسكون الميم الثانية فيهما وأرسل إلي رسولين شمسي الظهيرة عند أهلهما في العلم والدين والصلاح ووكلهما على أن يأذنا لي جميع ما أحب في الطريق وأول من لاقاني منهما محمد الحافظ بسكون الميم الثانية أيضا ابن خير عند انْدَرْ.

ثم لاقاني بعد السيد الجليل الحاج محمد فال بن الفغّ بن محمد بن لول بلامين بينهما واو ثم أجازني وأطلق وأذن لي في مقصدي الفاتحة وصلاة الفاتح بنية الإسم وكان الحاج محمد فال رضي الله تعالى عنه يعجبه سندي الأول. اهـ كما أذن لي فيهما أي في مقصدي الفاتحة وصلاة الفاتح الشيخ الكامل ذو المدد الواصل الحاجّ محمد الكبير بخط يمينه المباركة وكتب على ظهر الورقة:

لا إذن لمن نظر فيها ومن نظر فيها فهو عاص وحسبه الله ورسوله والشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه.

وأما محمد الحافظ بن خير فاستكتبته بعد مدة ما قله لي شيخنا المريد فكتب وقال رضي الله تعالى عنه:

وأما إجازة هذا السيد من قبلنا في طرقتنا الأحمدية التجانية فقد حصلت له بالإذن العام المطلق من شيخنا وقدوتنا أبي العباس سيدنا أحمد بن شيخنا بدّ رضي

الله عنهما وأشهدنا عليها وأمر بمن يبادره بها قبل انتشار الطريقة على يديه في البلاد وهي عندي والله من كشفه وإشارته على ارتفاع صيت هذا السيد الحاج مالك، وفي ذلك الوقت ليس الأمر هكذا والحمد لله على ذلك.

ثم بعد ذلك كتب لي إجازته وسنده من الشيخ المذكور أيضا وأذن لي فيها ونصها:

الحمد لله أما بعد فإن شيخنا فريد عصره وشمس أفق دهره أجازنا بفضل الله ومنّه بجميع إجازاته في جميع مروياته (١) ألا وهو الشيخ الأجل القدوة الأمثل أبو العباس سيدنا أحمد بن شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي محمد الملقب ببدّ رضي الله تعالى عنهما فدفع إليَّ الأسانيد لأكتبها عنه فكتبتها هكذا وهكذا أجازه والده وهكذا أجازه سيدي محمد الحافظ رضي الله تعالى عنه وهكذا أنا أجزت السيد الإمام والفاضل الهمام سيدنا الحاج مالك سلك الله تعالى بنا وبه أعلى (٢) المسالك ووقانا بجاه أشياخنا جميع المهالك قال هذا بلسانه ورقمه ببنانه العبد الفقير إلى مولاه العلي الكبير محمد الحافظ بن خير العلوي لطف الله به وبأحبابه وألحقنا بهذا السيد في الإجازة بهذا الإسناد القائم مقامه في العلوم والدلالة على ربنا تعالى من أبنائه. وقع أواخر جمادى الأولى عام - ١٣٣٦هـ

وأجازني فيها أيضا حبيبنا وصفينا الحاج محمد الحسن إجازة مطلقة ونصها:
الحمد لله حق حمده اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

وفي نسخة (١) بجميع مروياته. وفي نسخة (٢) أحسن

هذا وإني أجزت الشيخ الحاج مالك ابن عثمان في طريقتنا الأحمدية التجانية بما اشتملت عليه من أذكار وأحزاب وأدعية وأسرار عملا وإذنا وتلقينا وتقديما إجازة عامة مطلقة بشروطها المعروفة عند أهلها المشهورة المألوفة كما أجازني
الشيخان السيدان أحمد بن محمد والشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ وهما عن سيدنا محمد ابن سيدين وهو حسان الطريقة وهو عن سيدنا محمد الحافظ وهو عن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وعن الجميع وهو عن النبي ﷺ وفعلت هذا وإن كان هو الكبير عملا بوجوب الإجابة لأمره وقد يستفيد الكبير من الصغير وإنما أقول إنه خليفة من خلائف الشيخ الأكابر لا يشك في ذلك إلا معاند أو مكابر. كتبه عبد ربه المعترف بالتقصير المشفق من ذنبه الراجي عفو ومغفرة ربه محمد الحسن بن محمد عبد الجليل التجاني العلوي في شوال عام ١٣٣١هـ

قوله أحمد بن محمد الحاج بسكون الدال أحمد وأحمد بن محمد الحافظ بضمه عند أهلها.اهـ

وقال سيدي الحاج محمد الحسن وأجازني أيضا كما أجازني سيدي العربي بن السائح الخائض في بحر المعارف الغائص في لجحها السابح وهو عن الجم الغفير من أصحاب الشيخ كسيدي الطيب السفياني ومولاي محمد بن أبي النصر، وسيدي عبد الوهاب بن الأحمر، وسيدي علي التماسيني كل هؤلاء عن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وعن الجميع وهو عن النبي ﷺ.

وقد قال لنا سيدي العربي مما قاله لنا أذنتكم في كل ما يحتاج الإذن وأنا كذلك قلته بلساني للشيخ الحاج مالك وكتبته ببناني كتبه محمد الحسن بن محمد عبد الجليل وقال: وأجزته أيضا كما أجازني عند قبر الشيخ سيدي أحمد التجاني

رضي الله تعالى عنه سيدي محمد بن عمر وهو عن سيدي محمد بن الْعربي عن الشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وهو عن النبي ﷺ. كتبه كاتب أعلاه.

منقولا من خطه: وأجازني فيها أيضا: الحاج الشيخ محمد بن الشيخ العلوي الشنجيطي إجازة مطلقة ونصها:

الحمد لمستحقه والصلاة والسلام على أفضل خلقه أما بعد: فإن كاتب الحروف عفا الله عنه قد أذن وأجاز الفقيه العالم العلامة السني الحاج مالك وقانا الله وإياه من شرور جميع المهالك وإن كنت لست أهلا للإجازة ولا سيما مثلي لمثله ولكن رجاء بركة ودعاء وذكر منه لي إذا نظرها هو وغيره (١) وهي العهد بيني وبينه أن لا ينساني من سائر دعواته متى ما ذكرني في جميع أوراد شيخنا رضي الله تعالى عنه العامة والخاصة المطلقة والمقيدة بشروط الجميع التي يعملها كما أذن لي غير واحد من أصحاب شيخنا رضي الله تعالى عنه يذكرها بنفسه ويأذن فيها لغيره بحسب حاله ومقامه إجازة مطلقة شاملة لجميع ما صحّ عن الشيخ رضي الله تعالى عنه، وسنكتب له إجازاتي كلها إن شاء الله في وقت متّسع غير هذا الوقت والسلام. كتب لأول ربيع الثاني من عام – ١٣٣٩هـ الشيخ محمد بن الشيخ العلوي الشنجيطي.

كما أذن لي فيها أيضا حامل لواء الطريقة والحقيقة أحمد العبدلاوي إلا أنه لما أجاز قيد بعشرة تقديما وذكر لي ابن بنته سيدي أحمد بن السائح أنه قال في جماعة قيدت اتّباعا لأصل الإجازة ولكن أطلقت له أو كما قال الملقت.

وقال أيضا إنه أدرك مقام فلان وهو رضي الله تعالى عنه أخذ عن السيدين الجليلين سيدي محمد الحبيب بن الشيخ الأكبر والختم الأشهر سيدنا

(١) وفي نسخة أو غيره

ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله تعالى عنه لأنه رضي الله تعالى عنه كان من خدام دار الشيخ في عين ماضي، وسيدي علي التماسيني رضي الله تعالى عنهما.

وهذا السند أعلى أسانيدي.

ثم أجازني أيضا: ابنه وخليفته ووكيل أولاد الشيخ في فاس وقاها الله كل بأس محمد ابن أحمد العبدلاوي غفر الله لنا وله جميع المساوي وأطلق.

ثم بعد ذلك أذن لي أولاد الشيخ رضي الله تعالى عنهم وأمروا سيدي محمد العبدلاوي أن يكتب ذلك ويرسله إلي فكتب رضي الله تعالى عنه راقما ببنانه وقال:

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقدره العظيم بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياءه وتقدس مجده وكرمه وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد:

فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد محمد ابن أحمد العبدلاوي أجزت وأذنت لأخينا في الله مقدم البركة المؤيد من الله سبحانه في كل سكون وحركة السيد الحاج مالك بن عثمان في ورد شيخنا التجاني وكذلك الوظيفة الشريفة ومثله ذكر الهيللة وهي: لا إله إلا الله بعد عصر يوم الجمعة وأذنت له في كل ما ثبت عن سيدنا رضي الله عنه من الأسماء والمسميات يأذن في ذلك لمن ظهرت له أهلية، وكذلك أن يقدم لمن ظهرت فيه أهلية وديانة وورع، وأذنت له بإذن أولاد الشيخ رضي الله تعالى عنه كسيدي علي، وسيدي محمد الكبير يأذن بالإذن المذكور أعلاه فيما ثبت عن سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه

وأرضاه وجعلنا دنيا وأخرى في حوزة حماه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قيده **١٩** صفر سنة **١٣٣٧** م انتهى.

قلت وسيدي علي هو الخليفة وهو ابن سيدي أحمد عمار بن شيخنا وسيدنا محمد الحبيب بن الشيخ الكبير سيدنا أحمد بن محمد التجاني وسيدي محمد الكبير بن شيخنا وسيدنا محمد البشير ابن سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا وإمامنا أحمد التجاني. انتهى.

وممن أجازني في الطريق أيضا: السيد الشهير بين القاصي والداني حامل لواء الطريقة التجانية أحمد بن الحاج العياشي سكيرج جعلنا الله وإياه ممن إلى درج الجنان يرتقى ويعرج كما أجازني في جميع تآليفه وأرسل إلي مع الحاج عبد الله بن محمد حروفا جزاه الله عنا خيرا. انتهى

هذا سندي في الطريقة وبقي لي ما لم أذكره إرادة الاختصار وفيما تقدم كفاية.

فائدة:

وفي الجواهر عند ذكر فضل فاتحة الكتاب: وأما قراءة الفاتحة بنية الاسم فلا يحيط بفضلها إلا الله، ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جل جلاله فإنّ فضل الله لا حد له والسلام.

ثم قال رضي الله عنه: قال لي سيد الوجود ﷺ: ويجاورني في عليين، وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة وأما من تلاها وهو يعتقد أنه يتلوا الاسم الأعظم معها لكون حروف الاسم تامة فيها فإنه يحصل له في كل مرة ثواب تلاوة الاسم. وثواب تلاوتِها وكل من تلاها فقد تلاه معها، وهذه الخصوصية في الفاتحة فقط دون ما عداها من المتلوَّات التي كملت فيها حروف الاسم. واعلم أن من تلاها

متعبدا لله من غير شعور بتلاوة الاسم معها كان له الثواب الأول، ومـن تلاهـا معتقدا أنه يتلوا الاسم معها لوجود كمال حروفه فيها كان له ثـواب تلاوتها، وتلاوة الاسم في كل مرة لكن مع اعتقاد أنه الاسم الخاص بالذات العلية ولـيس للذات العلية المنَزهة اسم غيره. انتهى

فهذا ما أبرزه لنا رضي الله عنه. وأما ما هو مكتوم فيها فلا يعلم قـدره إلا الله تعالى. انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

واعلم أنه يؤيد ما قاله شيخنا رضي الله عنه في اشتمال الفاتحة على اسم الله الأعظم الكبير الأكبر وإن لَم يحتج قوله إلى التأييد (١) ما في الدرّ النظيم في خواص القرآن العظيم في خواص الفاتحة للشيخ الكريم أبي محمد عبد الله بن أسعد اليماني اليافعي الشافعي وقال رضي الله تعالى عنه بعد كلام طويل: وفيها أي الفاتحة خمسة أسماء وهي: الأسماء العظيمة القدر والشريفة في الأصل، ومن شرف هذه الأسمـاء وعظم قدرها أن جعلها الله أم القرآن وجعلها مفتاحا للجنة وجعل الصلاة لا تتم إلا بِها، وإنما شرفت أم القرآن على غيرها من السور بِهذه الأسماء الخمسة. واعلم أن فيها اسم الله الأعظم الكبير الأكبر الذي إذا دعي به أجاب وإذا سـئل بـه أعطى.

وقال أهل العلم وهذه الأسماء لله تعالى في أول اللوح المحفوظ كمـا هـي في أول القرآن وهي مكتوبة في سرادق العرش والكرسي.اهـ راجع الدر النظـيم في خـواص القرآن العظيم إن شئت. انتهى

وأما سندي في الشريعة والحقيقة فقد أجازني مقدم البركة السيد الخير محمد الحافظ بن خير بسنديه فيهما وقال رضي الله تعالى عنه راقما ببنانه:

وفي نسخة: (١) التأبيد

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم صلاة تعرفنا بها إياه وتهب لنا بها رضاك ورضاه والحمد لله.

أما بعد: فإني اتخذت سيدنا (١) الحاج مالك حبيبا في الله ليتصل عمل كل واحد منا بالآخر ونرضي الله ورسوله وشيخنا التجاني رضي الله تعالى عنه بذلك ومن كان معي هكذا كان حبيبا لله ورسوله ولشيخنا التجاني رضي الله تعالى عنه.اهـ

ولنذكر لك سندي في هذا شريعة وحقيقة قرأت على شيخي فريد عصره وشمس أفق دهره بحر الشريعة والحقيقة سيدي أحمد بن شيخنا بدّ رضي الله عنهما علم اصطلاح الحديث ومعرفة فنونه وطبقاته ورواية القرآن بقراءة نافع فأجازني فيهما معا بأسانيده صحيحا، وأذن لي فيما شئتُ من استعمالها. فأما الحديث فعن والده عن شيخنا بحر الشريعة والحقيقة وسائر العلوم القطب الذي هو خليفة القطب المكتوم رضي الله عنهما وعنا بهما سيدي محمد الحافظ الذي كان على السنة أعلى محافظ وهو عن شيخه الذي أجازه في سائر العلوم من الحديث وغيره بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ونص ما كتب لنا بيمينه المباركة:

الأسانيد التي أروي بها عن شيخنا حافظ فريد عصره وشمس أفق دهره الحائز قصب السبق في كل فن الخبير برجاله قرنا بعد قرن وخصوصا أشرف العلوم وأجلها وأساس مبناها وأصلها علم الحديث وقد حاز الغاية القصوى منه أصولا ورواية ونظرا في أسانيده بعين البصيرة والدراية وفهما في متونه صحيحا فائضا من عين العناية ألا وهو الشيخ الأجل القوة الأمثل صالح بن محمد العمري المعروف بالفلاني المجاور بدار الهجرة بعد ما أطال في طلب العلوم الرحلة والسفرة إلى أن قال.

وفي نسخة: (١) لم يأت هذه الكلمة (سيدنا)

وأما في بساط الطريقة والحقيقة فقد أجازني شيخي المذكور قبل رضي الله تعالى عنه بالإجازة المطلقة مع التصريح باتخاذه لي حبيبا وأني أهل لذلك وأن ذلك من الله لا منه أعني في طريقتنا التجانية وما اشتملت عليه من خاص وعام.

وقال سيدنا المختار بن محمد بن بابان رضي الله تعالى عنه الذي هو نـادرة الزمان خليفة سيدنا مولود قال رضي الله تعالى عنه فقال: في سيدنا أحمد بن سيدنا بدّ رضي الله تعالى عنهما أن سيدي مولود قال إن اتخذه حبيبا في الدنيا والآخـرة وقال إن ذلك عبارة عندهم عن بلوغ غاية المقصود والمأمول ولا أدري سـيدي مولود أخذ ذلك الاتخاذ الخاص عن أي أصحاب شيخنا رضي الله تعالى عنـه، ثم عن الشيخ وله ذلك أيضا من قبل والده عن الشيخ محمد الحافظ عـن شـيخنا رضي الله تعالى عنه، ومن أخذ هذا الاتخاذ عنا بسندنا هذا فاز بسر الخلافة عـن شيخنا رضي الله تعالى عنه وإن لم يكن من أهله وليك في كريم عملكم أن سـندنا هذا عزيز الوجود في أهل طريقتنا لثبوت الفتح الأكبر والأخذ عن الله ورسـوله وشيخنا لكل واحد منهم فهم خلفاء حقيقة لا مجازا حدثني الحاج محمد بن شيخنا أحمد بن سيدنا بدّ رضي الله تعالى عنه واعلم بأنه من أصحاب بأنه من آبائه الكرام فتحا وإقبالا على الله تعالى أنه قال له السيد العبدلاوي الذي هو كما تعلم وهم في زاويتنا بفاس حرسها الله من كل بأس: أن زاويتنا الكبرى زاوية سيدي الحـافظ بشنجيط ومثل هذا، أو قريب منه كثير الورود من سيّدي العربي بن النسائح رضي الله تعالى عنه وعنا به آمين وأجازه بالإجازات المطلقة من شيخنا رضـي الله عنـه وصرح لأصحابنا بأنه كان يريد الرحلة إلينا ليأخذ السند الحافظي حتى حصل له مراسلة من سيدي عبيدة التيشيتي فلم يكتف بأكابر الأصحاب عن الأخذ بوسائط وإياك أن تظن أني أبذل هذا لأحد سواك من السودان أو فعلته قطّ لأحد مطلقـا

وأني رأيتني أعطيك لبنا وحليبا لتقسمه بين أصحابك ففسرته بما قد فسره به الأئمة شريعة وحقيقة من أنه العلم والدين الخاص وهو عندي حديث لا إله إلا الله الذي حدثتكم به وأردت لك أن تأخذه عني أخذا بالسند الشرعي وأخذا بالسند الحقيقي لحصول الوعدين والمرتبتين دنيا وأخرا لكم ولتلاميذكم. وإن كان حاصلا لكم والحمد لله تحصيلا منا لإحياء السنة الميتة، وورد: من أحيا سنتي فكأنما أحياني. كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يأخذون شيئا من الدين إلا بإسناد. واتفقوا أن فضائل الأعمال يعمل فيها بالضعيف. لما ورد منه صلى الله عليه وسلم: من بلغه عني شيء وعمل به فله ذلك ولو لم أكن قلته. فلما استوالت البدعة على الناس تركوا الأسانيد إلا الفرقة الذين ورد فيهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة إلى أن قال.

والحاصل أني أجزت سيدنا الحاج مالك في جميع مروياتنا في الحديث على طبق ما عندنا فيها وأسأل الله تعالى أن يلحقنا وإياكم به ظاهرا وباطنا ﷺ بجاهه وشيخنا رضي الله تعالى عنه على سبيل أصحابه في حياته والأقطاب بعد مماته ﷺ آمين.

و هكذا أجازني أيضا مقدم البركة والخير سيدي الحاج محمد فال بن الفغّ بروايتي ورش وقالون عن نافع بسند متصل إلى سيد الوجود ﷺ وأمرني أن أنقله بيدي فنقلته مختصرا وكتب بيمينه المباركة بعد التمام بهامش الورقة شمالا فقال:

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وبعد:

فليعلم من نظر فيه أن ما رسم فوق صحيح، وكتب آذنا ومجيزا الحاج محمد بن الفغّ تيب عليهم، الحمد لله مستحق الحمد والصلاة والسلام على أفضل كل أحد وبعد: فلما كان علم القرآن من أجمل ما يتحلى به الإنسان وأقرب إلى رحمة

الحنان المنان ولم تبالي به الفتيات ولا الفتيان وكأن الصبا عبثت به أوائل الأزمـــان إلا السيد الفقيه الحاج مالك بن عثمان فإني سبرته فوجدته ماهرا دراية فلـــذلك قدمته للقرآن وأجزته بروايتي ورش، وقالون عن نافع بالسند الذي في المقلـــوب يَمينا وعليه أن لا ينساني من صالح دعواته بإصلاح الحال وحسن المآل. وكتب بيمينه الفانية رق أعتاب التجانية محمد فال بن الفغّ تيب عليهم عام ١٣١٨ هـــ.

وأيضا أجازني في الكتب الستة الصحاح شيخي مقدم البركة الفاضل الأجل نادرة الزمان الأمثل فكتب بيده فقال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على ســيد المرسلين وبعد:

فقد أجزت أخي في الله تعالى وفي الشيخ رضي الله تعالى عنه مالكـــــ بـــن عثمان منحنا الله وإياه أكبر رضوان وعمر طائعا ورزقه علما نافعـــا في كـــل مـــا صحت روايتي له من كتب الحديث مما سمعته من شيخنا سيدي المختار بن محمد بن بابان، وأجازني فيه من كل ما أجازه فيه سيدي محمدُ بن سيدين وهو أجازه فيـــه شيخنا وواسطة عقد طريقنا سيدي محمد الحافظ رضي الله تعالى عنهم وأرضـــاهم وعنا بهم، وأجازه فيه شيخه صالح العمري الفلاني رواية ودراية مما اتصل سنده إلى رسول الله ﷺ الكتب الستة الصحاح البخاري ومسلم إلى آخر الصحاح وموطـــأ مالكـــ ، وكتب أفقر العبيد إلى ربه المشفق من خبث سريرته محمد عال بن محمد بن محنض بن الأمين بن مصطفى بن حومل التجاني اليعقوبي نسبا العلوي وطنا عام واحد وعشرة وثلاث مئة وألف. = ١٣١١هـــ قال:

أولئـــك آبـــائي فجـــئني بمثلـــهم إذا جمعنـــا يـــا جريـــر المجـــامع

تنبيه:

واعلم رحمك الله بأني لم أسبق في قطرنا السنغالي فيما علمت إلى قراءة وظيفتنا المباركة في الوقتين جماعة. معتمدا على ما قاله شيخنا إمام الطريقة، كما في جواهر المعاني: وإن تيسر في الوقتين فحسن. وكفى بتحسين الشيخ شيئا في طريقة المحمدية الأحمدية. وإن لم يعمل به دليلا عند المنصف. وسبب ذلك إني كنت في بعض الأيام عند بعض البساتين زمن كوني في قرية انجَارْدِ في موضع يقال له:ـ{ بي بي } ينطق بباءين بي بي أي بين الباء والفاء مع الأصحاب واجتمعنا في موضع واحد، وكانوا إذا صلوا الصبح يتحدثون ويتكلمون بما لا فائدة فيه، وقلت لهم فاقرءوا الوظيفة صباحا ومساء مع أن السلسلة العمرية التي هي أصلي يقرأها أهلها صباحا فقط، والحافظية بين المغرب والعشاء كما استمر عليه عمل الشيخ آخر عمره. انظر بغية المستفيد وبعض الإخوان الذين كانوا عند المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقرءونها بعد صلاة العصر. وقرأتها أيضا بعد صلاة العصر مع سيدي إبراهيم الخطيب في مسجد مكة المشرفة زادها الله شرفا، وأهل الجزائر أيضا لما أتيتهم وجدتُهم يقرءونَها بعد صلاة العصر لعل الله يسلكنا في سلك أهل الآية وهي قوله تعالى: من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الآية.

وسلك أهل الحديث وهو قوله ﷺ: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بِها الحديث وما ذلك على الله بعزيز.

والحاصل أن من تيسر له فعلها في الوقتين ففعل فلا حرج ولا لوم لتحسين الشيخ ذلك. ومن لم يتيسر له واقتصر على مرة واحدة بين الليل والنهار فكذلك لعدم إلزامها في الوقتين.

وفي منيةالمريد:

ومـــرة يلـــزم فعلـــها المريـــد   مـــن بـــين ليـــل ونهـــار لا مزيـــد

ومـــن يخـــصّ ليلـــة بغـــير مـــا   ليومـــه فـــذاك للحســـن انتمـــى

فائدة عظيمة القدر ووجه اختيار سيدنا رضي الله تعالى عنه لهذا الوقت الشـريف للوظيفة اغتنام ما ذكره العارف بالله سيدي عبد الرحمن الشامي رضي الله تعالى عنه فإنـه قال: إذا غربت الشمس صعدت قبة من نور إلى كباد السماء ثم صارت ترسل خيوما من نور داخلها بجميع من وجدته يذكر الله بعد صلاة المغرب بمدته بخيط من نور منها إليـه. انتهى.

فائدة أيضا:

وفي المدخل لابن الحاج فالذي ينبغي للعالم اليوم بل يجب عليـه أن لا ينظـر إلى العوائد التي اصطلحنا عليها لكون سلفنا مضوا عليها إذ قد يكون في بعضها غفلة أو غلط أو سهو ولكن ينظر إلى القرون المتقدم ذكرها فإن فعل هو منها شيئا ممـا يراه مصلحة في وقته فينبغي له أو يجب عليه أن يبين ذلكـ ويعترف بين الناس أنه محدث ويبين السبب الذي لأجله فعل ذلكـ. قد كان سيدي أبو محمد المرجـاني رحمه الله تعالى يأخذ هذه الأحزاب ويقرأها جماعة ويذكرها جماعة بعـد الصـبح والعصر ولم يزل على ذلك دأبه رحمه الله تعالى إلى موته. وكان رحمه الله يخـبر أن ذلك بدعة وإنّما فعله لضرورة وهي أن الهمم قد قَلّت: وقلّ فقير أن يصلي الصبح أو العصر ثم يقوم بذكر الله تعالى ويقرأ في هذين الـوقتين المشـهودين إلا أنهـم يقومون من مُصلاَّهم إما للنوم إن كان في الصبح أو للتحدث فيما لا يعني إن كان في العصر إن سلموا من الغيبة والنميمة فَلَمَّا أن تحققوا وقوع هذا المحظور وضعوه لهذا المكروه لأن ارتكاب المكروهات أولى بل أوجب من ارتكاب المحذورات هكذا

يجب أن تكوْن المحافظة على السنن وحفظها فينبه الناس عليها ويعلمهم بالفوائد (١) المتخذة أنَّها ليست منها، ويخبرهم الضرورات التي كانت سببا لفعلها ولأجل الغفلة عن هذا التنبيه وقع ما وقع من الإدعاء بِها بأنها سنة السلف والخلف، لأن الغالب على الناس تحسين ظنهم بمشائخهم وعلمائهم، وأنهم لا يخالفونهم على سبيل الإتباع، وترك الابتداع ألا ترى أنهم قالوا: من لم ير خطأ شيخه صوابا لم ينتفع به فيحمل لأجل هذا ما يصدر منه على أنه سنه مأمورة بِها. فكان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله تعالى يتحفظ من هذا الأصل بذكره لذلك وتعليله لئلا يعتقد من يعتقده أنه سنة مأمورة بِها. وقد حكى عن شيخه القدوة الإمام العالم العامل المحقق أبي علي ابن السماط رحمه الله تعالى حكى لي ذلك عنه سيدي أبو محمد بن أبي جمرة رحمه الله تعالى قال: كان عارفا بالفقه معرفة جيدة وكان الفقراء عنده في مجالسة بعضهم مع بعض ليس لهم شغل في الغالب إلا البحث في الأمر والنهي، وهل يجوز أوْ لا يجوز. فإذا أشكل عليهم شيء ولم يرجع بعضهم إلى بعض فيه يأتون إليه فيسألونه عن المسائل التي يريدونها فيأمرهم بالخروج إلى الفقهاء يسألونَهم عنها. فسئل عن ذلك لم يحيلهم على غيره وهو أعرف الناس بالنوازل التي كانت تنْزل بهم فقال رحمه الله: أخاف أن أفتيهم فيقع لهم الخلل بسبب أني إن متّ بقي الأمر بينهم موقوفا عليّ لا يعرفون أمر دينهم إلا من جهتي، فيقولون: قال الشيخ كذا وذهب الشيخ إلى كذا أو كان طريق الشيخ كذا فيظنون أن الشريعة خروجها من قبل المشائخ فيرسلهم إلى الفقهاء لسد هذه الثلمة ولكن لا يعلمون إنما نحن فيه أنما أصله وعماده والذي يقع به الحل والربط. عندنا هو من الفقهاء وما نحن فيه فرع عن ذلك فينتظم الحال أو كلاما هذا معناه.

في نسخة (١) بالعوائد

فانظر رحمك الله إلى محافظة هذا السيد رحمة الله عليه على منصب الشريعة كيف ترك أن يجيب للفقراء في مسائل الفقه مع أن ذلك مندوب إليه، لكن لما أن كان معروفا ومنسوبا إلى تربية المريدين وتسليكهم وترقيتهم في المقامات والأحوال والمنازلات خاف أن ينسب ما يفتي به من الفقه إلى ما كان بصدده من التربية فترك المندوب وهو الفتوى فيما تقدم ذكره تحفظا منه رحمه الله أن ينسب شيء من الشريعة إلى غير أهله الذي عنه يؤخذ وإليه المرجع، وهذا المعنى الذي تحفظ منه هذا السيد رحمه الله هو الذي أفسد اليوم كثيرا من أحوال بعض أهل الوقت تجد أحدهم يعمل البدعة ويتهاون بها فتنهاه عن ذلك أو ترشده إلى الترك فيستدل على أن ذلك هو السنة وأن ذلك ليس بمكروه لكونه رأي شيخه. ومن يعتقده يفعل ذلك فيقول كيف يكون مكروها وبدعة وقد كان سيدي فلان يعملها ويستدل بفعل سلفه وخلفه وشيوخه على جواز تلك البدعة، وأنها مشروعة، فصار فعل المشايخ حجة على ما تقرر بأيدينا من أمر الشريعة وليسوا بمعصومين ولا ممن شهد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلامه. وهذا أمر قد اتفقت الأمة على أنه مردود إذ إن ذلك لو جاز لوقع الخلل في الشريعة بسببه فأي من استحسن شيئا وفعله، وأي من كره شيئا وتركه يقع الاقتداء به فيكون ذلك نقصا معاذ الله ولو كان ذلك كذلك لم يبق بأيدينا اليوم شيء من أمر هذه الشريعة المحمدية. وقد عصم الله هذه الملة والحمد لله من التبديل، فكل من أتى بشيء مخالف لما كان عليه متقدمو هذه الأمة وسلفها فهو مردود عليه محجوج بفعلهم إلى آخر كلامه.

الفصل الأول:

في بيان سلسلة نسب الشيخ رضي الله تعالى عنه الذهبية الحـائزة الفخـر والمزية، ومولده، وعشيرته الأقربين:

منقولا بعضها من جامع ابن المشري و بعضها من جواهر المعاني وهو رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به الجامع بين الشريعة والحقيقة مرشد اللائـذين بـه لأحسن الطريقة. أبو العباس أحمد بن محمد فتحا أي بفتح الميم الأولى ابن مولانـا المكنى بأبي عمر المختار بن أحمد بن محمد بن سالم ابن أبي العيد بن سالم بن أحمـد الملقب بالعلواني بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحاق ابن زين العابدين بن أحمد بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالـب كـرم الله وجهه، فهذا نسبه الموجود في العقود. ولكن لم يعول الشيخ رضي الله تعالى عنـه عليه وإن كان محققا عند آبائه حتى سأل النبي ﷺ عن نسبه وحققه له:

قال صاحب الجامع سمعته يقول رضي الله تعالى عنه: سألت سيد الوجود ﷺ عن نسبي هل أنا شريف أم لا فأجابه ﷺ: أنت ولدي وكررها ثلاثا. فمن حين سمع تحقيق نسبه من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم صرح بالشرف وجزم به وذلك لتحقيق نسبه في نفس الأمن لأن سيد الوجود ﷺ أخبره يقظة لا مناما، وأخـبره بأمور كثيرة ظاهرة وباطنة ستأتي إن شاء الله منقولا من جامع الجواهر (١).

قوله ستأتي أي {في كتاب الجامع لا في هذا المجموع}. انتهى.

(١) وفي نسخة: من الجامع والجواهر.

فائدة:

قوله أبو العباس { ولم يكن في نسخة الجامع التي تحت أيدينا ذكر عبد الله الكامل ولكنه مذكور في كتب التاريخ لعل ذلك من باب قوله ﷺ أنا ابن عبد المطلب}.

قوله أبو العباس في كنية سيدنا أحمد بن محمد التجاني حيث ذكر ولم يكن له ولد يسمى عباس فيما نعلم. جارية على ما في وثائق ابن عرضون قال فيها: فائدة وسأورد من الكني بعض ما وجد بخط بعض الكُتاب الأدباء مرتبة على حروف المعجم تكميلا للفائدة والله موفق للصواب حرف الألف آدم أبو البشر أبو التوبة أبو بكر أحمد أبو العباس أبو جعفر أبو الطاهر أبو العزّ أبو القاسم إلى آخر كلامه. انتهى.

وفي سلوة الأنفاس في ترجمة الشيخ التجاني هو أبو العباس مولانا أحمد بن أحمد بن الولي الكبير والعالم الخبير أبي عبد الله محمد فتحا ابن المختار بن أحمد ابن محمد فتحا ابن السالم الشريف الحسني الكاملي التجاني يرفع نسبه إلى الإمام محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل.

وأما والده المتقدم في السلسلة رضي الله تعالى عنه هو الشيخ الإمام كهف الإسلام وملاذ الأنام العالم الشهير الورع الكبير الدال على الله والجامع عليه والداعي بحاله ومقاله إليه أبو عبد الله صاحب الأنوار سيدي محمد بالفتح ابن المختار وكان عالما ورعا متّبعا للسنة مدرسا، ذاكرا، وكانت تأتيه الروحانية ويطلبون منه قضاء حوائجه ويقول لهم: أتركوني بيني وبين الله لا حاجة لي بالتعلق بسوى الله تعالى. وكان متعلقا بالله قائما بالحق الله في سائر حركاته وسكناته لا تأخذه في الله لومة لائم.

وأما مولده رضي الله تعالى عنه: فهو ولد بعين ماضي سنة خمسين بعد ألــف ومائة { ١١٥٠ هــ} وتوفى رحمه الله بفاس ودفن بها سنة ثلاثين بعد مائتين وألف { ١٢٣٠ هــ} صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال بعد أن أدى فريضة الصبح على حالة الكمال ثم اضطجع على جنبه الأيمن رضي الله تعالى عنه ، ودعا بماء فشرب منه ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته فطلعت روحه الكريمة من ساعته وصعدت على مقرها الأقدس، ولحقت بسرها من محضرها الأنفس، وحضر جنازته المباركة ما لا يكاد يحصى من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأعيانها وأمرائها، وصلى عليه إماما علامتها الأوحد ومفتيها الماهر الخريت الأمجد الفقيــه النحريــر المشهود له بالتحقيق والتحرير أبو عبد الله سيدي محمد بــن إبــراهيم الــدكالي نسبة إلى الإمــام التونســي الشــهير وازدحــم النــاس علــى حمــل نعشــه المباركــ الميمون، وكسروه بأثر دفنه أعوادا صــغارا ادخروهــا للتــبرك بمــا حمل فيه من السر المصون. اهــ

باختصار راجع بغية المستفيد وولاية باقي أجداده كالشمس في الظهيرة فمن أراد اطّلاع شيء من فضائلهم فليراجع جواهر المعاني والجامع.

وأمه رضي الله تعالى عنها هي السدة الفاضلة الزكية المطهرة الطيبة الخــيرة المنورة فكانت رحمها الله كثيرة الإرضاء والبرور لوالده مع سعيها المشكور قائمــة بأداء حقوق بعلها الشيخ محمد رضي الله تعالى مطيعة لأمره وكلامــه، شــديدة الاعتناء بشأنه ومرامه تتحرى مراده وتهتم بما أراده، تراعي فيه حق مولاه ومــا حق له أولاده الحرة النفيسة السيدة عائشة بنت السيد الأثيل والولي الجليل سيدي محمد بضم الميم ابن السنوسي التجاني المضاوي، ولهما أولاد غير سيدنا رضي الله تعالى عنه ذكورا وإناثا، وماتوا كلهم رحمهم الله فلم يترك إلا منهم أخوه ســيدي

محمد، وولدا، وبنتا فحازهما رضي الله تعالى عنه. وكانت وفاته هو وزوجته سيدنا عائشة رحمهم الله تعالى في يوم واحد بالطاعون عام ستة وستين ومائة وألف ١١٦٦ هـ ودفنا معا في القرية المذكورة.

قوله المضاوي بفتح الميم كسماوي نسبة إلى عين ماضي قرية معروفة من قرى تلك القبيلة على غير قياس، والقياس الماضي بحذف الياء الرابعة على حدّ قول ابن مالك رحمه الله: والحذف في الياء رابعا أحق من قلب الخ.

ويجوز الماضوي بفتح الضاد وقلب الياء واوا على حد قوله: وأول ذا القلب إذا انفتاحا. من الخريدة لشيخنا النظيفي.

وأما عشيرته الأقربون إليه فهم: أولاد الشيخ سيدي محمد رضي الله تعالى عنه المكنى بأبي عمر، وكان حافظا للقرآن العزيز ومشاركا في علوم الشريعة وأخته وشقيقته السيدة رقية رضي الله تعالى عنهما فكانت أكبر سنا من سيدنا رضي الله تعالى عنه، وكانت تأتيه إلى مترله ويكرمها ويواسيها ويرضيها حتى يبعثها لمكانها في عين ماضي فماتت وتركت ولدا اسمه عبد الله حافظا للقرآن ومشاركا في بعض العلوم، وله باع في علم الحساب وهو من أصحابه وأخذ عنه. فهؤلاء المعروفون عندنا من عشيرة شيخنا رضي الله تعالى عنه. باختصار راجع كتب الطريق: كالجامع، وجواهر المعاني وغيرهما.

قوله التجاني بكسر الفوقانية وتخفيف جيم وتشديد: قبيلة مشهورة في المغرب هكذا كان يضبطه صاحب المنية. أنظر بغية المستفيد. انتهى.

وفي نيل الابتهاج بتطريز الديباج لسيدي أحمد بابا التنبكتيّ أحمد بن محمد ابن عبد الله التجاني بكسر الفوقانية والجيم المشددة: نسبة إلى قبيلة بالمغرب، كذا ذكره البقاعي. انتهى

ولإرادة إتمام النصيحة عقدت ونظمت نسبه الشريف الذي في الجامع وبعض ما يتعلق به من الجامع وغيره فقلت مستعينا بربي الوهاب وهو الهادي بمنه إلى الصواب:

يا سائلا عن نسب التجاني ... عن الرسول منبع العرفان
حبيبه ووارث الأسرار ... فاختص ما اختص بلا إظهار
فاحمد له الطريق الأحمدي ... ولا يوفق لغير الأسعد
ذا الفضل شامل لكل سالك ... هذا الطريق أحسن المسالك
ولو يكون ذاك بالوسائط ... لآخر الدهر مع الشرائط
ابن محمد بفتح الميم ... سليل مختار بلا توهيم
وهو ابن أحمد الكريم الأفضل ... العالم الأبرّ ذي التفضل
ابن محمد سليل سالم ... قنا إلهي شر كل ظالم
محمد بفتح ميم رويا ... أيضا كما في أول قد وعيا
فهؤلا بعين ماض دفنوا ... رحمهم رب الورى المهيمن
ابن أبي العيد سليل سالم ... وهْو ابن أحمد الولي العالم
وهو ابن أحمد بن سيدي علي ... سليل عبد الله ذي الجاه العلي
وهو ابن عباس سليل عبدي ... أضف إلى الجبار دون جحد
وهو ابن إدريس بن إدريس سليلْ ... سيّدنا إسحاق ذي الذكر الجميل
وهو ابن سيد العابدين الأمجد ... وهو ابن أحمد الكريم الأجود
ابن محمد الذي بنفس ... زكية يوصف دون لبس
وهو ابن عبد الله ذي التوصيف ... بالكامل المفضل المعروف

ابــن الكــريم الحســن المــثنى — بالحســن الســبط تمــام المعــنى
ابــن علــي بــن عــم البــدر — علــيهم رضــوان ربي الــبر
فهــذه فرائــد الجــواهر — مــن الكتــاب الجــامع الجــواهر

والمراد بالجواهر الثاني: جواهر المعاني:

قد قال فيــه ســيدي ابــن المشــرى — فــرج عنــا الله كــل عســر
وذا الــذي وجــد في العقــود لم — يعــوّلن عليــه شــيخنا العلــم
حــتى أتــى مراتــب الــيقين — عــن الرســول الصــادق الأمــين
مســلما بأحســن التســليم — فانتشــر الأمــر علــى الأنــيم
تشــبثي بِهــذه السلاســل — في الــدين والــدنيا بــلا تســاهل
يــا الله الهــادي الملــك الســلام — قهــار كــافي كــل مــا يــذام
حلــيم يــا لطيــف يــا علــيم — يــا حــي يــا صــمد يــا قيــوم
ســألتك اللــهم يــا مجيــد — بــأن تصــلي رب يــا مريــد
علــى الــنبي إخوانــه الكــرام — الأنبيــآ والرســل العظــام
وآلــه وصــحبه الهادينــا — والتــابعين تــالي تابعينــا(١)
وأن تنيلنــا الرضــى في كــل حــين — بمــا بــه قضــيت رب يــا مــتين
واكتــب لنــا ســلامة الــدارين — يــا ربنــا يــا مالــك الكــونين
والــده كــان عليمــا ورعــا — لســنة الهــادي الــورى مُتَّبِعَــا
وذاكــرا مــدرس التفســير — مــع الحــديث محســن التحريــر
كــان يقــول إذ أتــى الروحــاني — مــالي إليــك حاجــة يــا فــاني

(١) *وفي نسخة: وتابع تابع التابعينا*

(٢) *شوق= ١١٠٦* (٣) *ستونا= ٦٠*

إن له في الدار بيت الذكر   لذكر مولاه العظيم البر

وعام شوق(٢) معها ستونا(٣)   قل والداه لاقيا اليقينا

موتهما كان بيوم واحد   بسبب الطاعون دون جاحد

أنهما بعين ماضي دفنا   لا زالت الرحمة حيث سكنا

قبريهما اجعلن روضا حسنا   من الجنان ربنا يا ربنا

وجده الثاني فصيته شهير   له من الدنيا الدنية الوفور

وجده الثالث قد سمي به   وكان عالما كبيرا فانتبه

أول من بعين ماض نزلا   فجده الرابع كان أفضلا

وعالما وورعا ممجدا   على اتباع سنة مشددا

وساتر عن الورى ولايتهْ   بعلمه فخصّه ولايتهْ

ومتعبدا له في الدار   بيت لخلوة مع القهار

وليس غيره عليه يدخل   مدة عشرين ونيفا تحصل

كان إذا خرج نحو المسجد   فلا يرى الوجه له من أحد

كذلك في رجوعه وأوّلا   بذلك المكتوم حين سئلا

لعله بلغ حقا مرتبه   من نالها ينال أعلى المنصبه

ومن يرى الوجه له لم يقدر   فراقه طرفة عين فاخبر

فراجع الجامع ذا عقدته   منه ومن ترتيبه رتبته

كذاك ما يأتي فقد نظمته   منه ومن جواهر أخرجته

أو بغية عليهم الرضوان   من الذي في يده الغفران

وأمه عائشة النفيسه   البرّة الأمينة الأنيسة

بنـت محمـد بضـم المـيم ... ابـن السنوسـي الرضـى الكـريم
مقامها مـن البرور لا يـرام ... لأنّهـا العنقـاء في ذلـك المقـام
أديبـة شـريفة لبيبـه ... راضـية مرضـية نجيبـه
عابـدة كفاها مـن فخـر ... إنجـاب شـيخنا العظـيم القـدر
طيـب الفـرع شـاهد لطيـب ... أولهـا كـالعكس يـا حبـيبي
آبـاؤه ليسـوا مـن التجـاني ... والأم منـهمُ بـلا امتيـان
لأجلـها إلـيهم قـد ينسـب ... إمامنـا وشـيخنا المهـذب
جـيم التجـان خفّفـن أو شـدّد ... وكـل ذا يـروى بـلا تـردد
قبيلـة شـهيرة بـالمغرب ... من أهـل ديـن وصـلاح النسـب
فمنـهم الـذي عليـه قطبنـا ... قـد قـرأ القـرآن حـتى أتقنـا
وهـو الـولي الكامـل العرفـان ... سـيدنا محمـد التجـاني
علـى قـراءة الإمـام نـافع ... أبي رؤيم الكـريم الخاشـع
وهو علـى عيسـى المجـود العلـم ... قـد قـرأ القـرآن بالوجـه الأتم
أبي عكـاز التجـاني الـولِي ... المـتقن المحسـن ذي الجـاه العلِـي
وربـه رآه في المنـام ... عليـه قـارئ الكتـاب السـامي
علـى روايـة الرضـى المجيـد ... عثمـان ورش عـالم التجويـد
فقـال ربنـا لـه كـذا نَـزَلْ ... يا فوز من حـائز بـذا الفضـل الأجـل
أول مـن عليـه علمـا قـرا ... فمنـهم وصـفوه قـد قـرا
العـالم المكـرم العلاّمـه ... الناقـد الدراكـة الفهامـه
وهـو ابـن بِـي عافيـة المـبروك ... سـبحان مـن لـيس لـه شـريك

فما لِهؤلاء من كرامه تعداده يفضي إلى السئامه
وبو عكاز ثم بو عافية قد كتبوهما بغير همزة
لعل ذا من عرفهم بمثل ذاك كبو طالب الأجل
فبان أن الجانبين احتويا الفضل والصلاح حقا فعيا
مسقط رأسه بعين ماضي ميلاده نقش لعين الراضي
قد حفظ القرآن في سبع سنين أخبر ذا بنفسه الحب الأمين
وعاش يصحب النبي المصطفى فلا يغيب عنه حيث وقفا
ثم قضى يشكر سابع عشر يوم الخميس في شوال استتر
وإن ذاك واقع في فاس قنا إلَهي شر كل بأس
وذاكمُ من بعد ما قد صلى فريضة الصبح بحق جلا
في أحسن الضجعة مثل عادته جعلنا الإله في كلاءته
صلى عليه سيد الدكالي أكرم بسد إمام كالي

وقوله كالي: مخفف كاللم، اسم فاعل من كلا يكلأ، أي: حفظ.

فازدحم الناس به ازدحاما كل يوم منه الإنضماما
ونعشه مفتت تفتيتا تبركا مشتت تشتيتا

قوله نقش: رمز إلى تاريخ ولادته وهي كانت عام ألف وخمسين ومئة {١١٥٠}.

قوله أخبر ذا: أي أخبر الشيخ ذا القول بنفسه حبيبه الأمين علي حرازم.

قوله يصحب: إشارة إلى مدة حياته وهي ثمانون (٨٠) سنة.

قوله يشكر: إشارة إلى تاريخ وفاته رضي الله تعالى عنه وهو عام ثلاثين ومائتين وألف { ١٢٣٠ } وهذا مع التورية البارعة لأنها من أحسن ما يأتي في التورية لأن المعنى المتبادر إلى الذهن أن ميلاده نقش لعين الراضي، والمروى عنه رمز عام الولادة وكذا يصحب النبي المصطفى، فالمعنى المتبادر فيها صحبته للنبي ﷺ.

والمعنى المروى عنه رمز عمره رضي الله تعالى عنه. ويشكر أيضا فالمعنى المتبادر فيها أنها يشكر وفاته. والمعنى المروي عنه تاريخ عام وفاته رضي الله تعالى عنه.

وقطعوه قطعا صغارا ... كل حوى مِما حوى استبشارا

وادّخروا كلهم ادخارا ... مما حووا لحمله أسرارا

وربنا مقدر الإقبال ... في الخلق والإدبار ذو الجلال

سبحان ذي الإقبال والإدبار ... من الورى المدبر الجبار

وراجعن سلوة الأنفاسِ ... أو بغية تسلم من الوسواس

روضته بليدة في فاس ... حرمتها تعرف بالدرداس

وكان قبل خربا مهيبا ... فصار آمنا رضى عجيبا

أوصى بمنع الدفن عند روضته ... أعدل بشيخنا لخوف بيعته

وفي بناء الشيخ كان الأمر ... منعكسا جل الإله البر

زاوية نادرة الوجود ... وفضلها حلّ عن التعديد

كفى قبول ما بها يصلي ... قطعا من الفجر الذي تجلى

قد قال قطب العارفين العالم ... وأمرها بالله حقا قائم

لم تزل الوفود عند الباب ... مزدحمين دائمي الطِّلاب

ففاز كلهم بِما اشتهاه ... من أمر دينه كذا دنياه

وكلما له من الزوايا ... ألحقها الله بذي المزايا

بناؤها يا إخوتي شهير نفعنا بفضلها الخبير

في الباب أو في الدار يقرءونا وظيفة الشيخ وينشرونا

ثوبا يكون طاهرا منظفا يعظمون المجلس المشرفا

في الابتدا أو في بلوغ السبع من جوهرة الكمال لاقبل فدن

قد قال ذا الشيخ الإمام العربي في بغية له فلا تستغرب

بعد البناء ثبتوا في النشر وسكت الشيخ بدون نكر

ومن يقس حضرة الجمعة فنعم ما قاس على الوظيفة

من لم يقس بِها موافق العمل فلا يلام عند منصف عقل

ولهما الأولاد غير سيدي ماتوا ولم يستخلفوا من أحد

إلا أخاه ذا الهدى محمدا خلف بنتا شرفت وولدا

حازهما عمهما التجاني ختم النظام العارف الصمداني

وجاء في جواهر المعاني فيض الولي العالم الرباني

أن العشيرة إليه الأقربين أولاد سيدي محمد المكين

ما عد إلاّ اثنين سيدي علي منهم مع ابن أخته المفضل

أجمل بعد ذاك ثم مدحا جميعهم مبينا موضحا

هما الكريم الحافظ المشارك العلماء في العلوم الناسك

سيدنا محمد قد ماتا بعين ماض ربنا الثباتا

وأخته رقية الشقيقة ذات العلا والسيرة الأنيفة

وهي أكبر من التجاني سنا كذا قد قال ذو العرفان

وشيخنا في غاية الإكرام لها لما في صلة الأرحام

تـــأتي إلى منْزلـــه ويكـــرم مواســـيا ومرضـــيا يعظـــم
حـــتى إلى المكـــان عـــين ماضـــي يبعثهـــا والله عنـــه راضـــي
قـــد انجبْـــت بـــالخير عبـــد الله وكـــان حافظـــا كتـــاب الله
وكـــان في بعـــض العلـــوم شـــاركا مـــا زال طـــول عمـــره مباركـــا
أخـــذ عـــن ســـيدنا طريقـــه فكـــان مـــن أصـــحابه حقيقـــه
فهـــؤلاء هـــم الـــذين عرفـــوا مـــن العشـــير الأقـــربين فـــاعرفوا
لكـــن بالجملـــة فالســـادات أولاده الكـــرام والقـــادات
متـــع لنـــا بحبـــهم تمتيعـــا يـــا رب واحشـــرنا بهـــم جميعـــا
وصـــلين وســـلمن تســـليما علـــى الـــنبي مكرمـــا تكريمـــا
وآلـــه وصـــحبه الكـــرام ذوي الهـــدى والفضـــل والإكـــرام

فائدة:

وفي كتاب مجلي الأسرار والحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائـــق: اختلف العلماء في جواز التسمية باسمه ﷺ، والتّكنية بكنيته. أما التسمية باسمـــه: ففيها أقوال أقواها الندب. قال الإمام الرصاع في تذكرة المحبين: من كمال محبتـــه ﷺ وتعظيمه ومحبة أسمائه التسمية بما يجوز لنا أن نتسمى به منـــها وكثـــرة ذلـــك وتوقير من سمى بها والسلوك به أحسن المسالك والحذر من نداء ذلك الاسم وخطابه بقبيح الكلام تعظيما لمن تسمى به عليه أفضل الصلاة والسلام. انتهى. إلى أن قال.

وقيل يمنع التسمية باسمه ﷺ وهو مقتضي قول عمر رضي الله تعالى عنه لمـــن تسمى به: لا أسمع محمدا يسب به أبدا. وقيل بالإباحة وعليها حمل بعضهم الأمر في

قوله ﷺ: تسموا باسمي. ومن العلماء من استحسن فتح الميمين أو ضمهما صيانة للاسم الشريف عن السب ونحوه قلت ولعل هذا الاستحسان هو مستند أهل المشرق فلا تجدهم يسمون محمدا بضم الميم أصلا ولا يجري على ألسنتهم كذلك أبدا، ولا ينادون به أحدا ولو علموا أن اسمه بضم الميم لتعود لسانهم فتح الميم والله أعلم.

الفصل الثاني

في مبدإ ظهوره ونشأة طريقه

رضي الله تعالى عنه:

واعلم رحمك الله أنه رضي الله تعالى عنه بعد ما تربى ونشأ في حجر والديه رضي الله تعالى عنهما أحسن تربية ونشأة قال صاحب المنية:

أنبتـــه الله نباتـــا حســـنا　　في أرغـــد العـــيش وأنـــور الســـنا

حفظ كتاب الله العزيز في سبع سنين ممن له باع في علوم القـراءة وهـو الإمـام الأعدل والسيد الأكمل أبو عبد الله محمد بن حمو التجاني المتقدم ذكـره. وقـال صاحب اللامية:

قـد حفـظ القـرآن سـابع حجـة　　مجيـدا أي طفـل بـدا طفـلا

ثم قام لساق الجد في طلب ما عليه من العلم الظاهر وحاز فيه قصب السبق.

وفي المنية:

وحـاز في صـغره قصـب السـبق　　فيهـا وقطـره علـى ذاك اتَّفَـقْ

قوله فيها أي في العلوم الظاهرية ثم ارتقت همته العالية إلى سلوك طريق الإمام الجنيد وحزبه. وفي المنية:

ثم ارتقى همته العلية إلى اتباع لسادة الصوفية

فشرق وغرب في طلب أهل الله. وفي المنية:

فجال في طلب أهل الله عادة كل عابد أواه

وتلاقى من تلاقى معه منهم من كل من يُشار إليه بالبنان وواعده ببعض ما دخّره الله له فأول من لاقاه منهم زمن انتقاله من بلاده إلى فاس وأحوازها الشيخ الكامل والعارف الواصل القطب مولانا الطيب بن محمد اليملحي العلمي دفين وازان رضي الله تعالى عنه، وإليه أشار صاحب اللامية سيدنا عبيدة بقوله رضي الله تعالى عنه:

فأول من لاقاه والطير غالبا على جنسها وقاعة تبتغي الشكلا
لقي الطيب بن الطيب مولاه باقيا طريقته من بين مصمودة نهلا
وشهرته تعني بوازان قبره فلقن من تلقينه الرحب وسهلا

ثم بعد ما لقي من لقي بعده وإنما تحولنا عن عدهم إرادة الاختصار.

انتقل من المغرب إلى ناحية الصحراء الخ، ثم انتقل إلى تلمسان قاصدا الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام. فلما وصل إلى بلد زواوي بقرب الجزائر سمع بالشيخ الإمام والعارف الهمام قدوة المتقين وعمدة المحققين أبي عبد الله سيدي محمد بالفتح ابن عبد الرحمان الأزهري لقيه وأخذ عنه الطريقة

الخلوتية، وكان لهذا الشيخ رضي الله عنه صيت كبير وأتباع كثيرة زوايا كبيرة. توفي رحمه الله فاتح المحرم عام ثمانين ومائة وألف { ١١٨٠ }.

ثم دخل تونس عام ستة وثمانين ومائة وألف { ١١٨٦ } ولقي من لقي من الأولياء نفعنا الله ببركتهم أجمعين ومكث فيها مترددا بينها وبين سوسة ما شاء الله أن يمكث وبثّ فيهما من العلوم النافعة ما لا يكاد يحصى، ثم بعد ما وقع ما وقع له من إرادة السلطان جلوسه هناك تهيأ للسفر في البحر لمصر القاهرة قاصدا الحج وعازما على الأخذ عن الشيخ محمود الكردي واستسلام القيود له والسلوك بطريقته والسير بسيرته لرؤية رآها هنالك الخ. راجع الجواهر.

ثم لما وصل إلى مكة المشرفة زادها الله شرفا ولقي من لقي هنالك من الأولياء الكرام وجرى بينهما ما جرى سافر إلى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ثم لقي سيدنا محمد بن عبد الكريم السمان عندها وأمره بأن يقيم عنده ليصلح حاله فأبى للعهد القديم مع شيخه محمود الكردي ولقنه أسماء وهو آخر من لقي لكنه لم يأخذ منه لما قلنا.

ثم رجع إلى شيخه محمود الكردي من حجه المبرور. اهـ ثم بعد أن رجع إليه أذن له في التربية بالطريق الخلوتية وأمره بإعطائها على كره، وقال له أنا الضامن. فقال له فالآن نعم. وأخبره ببعض أموره وما وقع له في سياحته. راجع روض المحب الفاني في رواية جواهر المعاني.

ثم عند انتقاله للمغرب أذن له شيخه الشيخ محمود الكردي المذكور في طريقته الخلوية والتربية بها فامتنع فقال الشيخ لقن الناس والضمان عليّ فقال له نعم فكتب له الإجازة وسند الطريق. انظر السند في الجواهر.

ثم صار يلقن الناس الطريق بعد ضمان شيخه له، وممن أذن له فيها مقدم البركة إمام زاويته سيدنا محمد بن المشري رحمه الله وقال في كتابه روض المحب الفاني أيضا وتلاقيت معه في مدينة تلمسان وأذن لي في السلوك بالطريق الخلوتية التي أذن فيها شيخه الشيخ محمود الكردي وأذن لنا في أوراد وأسرار منها ما يذكر ومنها ما لم يمكن ذكره جزاه الله عنا خيرا.

وإلى ذلك أشار صاحب البغية بقوله رضي الله تعالى عنه:

وجاءه إذن ذاك سامي القدر فرد السنا سيدنا ابن المشري

ففاز منه ثم بالتلقين عن شيخه الكردي والرضى الأمين

وإنما لم نأت جميع من لاقاه ولم يأخذه منه وجميع من لاقاه وأخذ منه إرادة الاختصار.

ثم لما حصل له ما حصل من جهة التربية الاصطلاحية من الحظ الأوفر والمغنم الأكبر فتح الله له الفتح التام عام ستة وتسعين ومائة وألف { ١١٩٦ } بأن رآه ﷺ بعين بصيرته وبصره وأمره أن يترك التربية الاصطلاحية التي عنا بها الشيخ زروق بقوله رضي الله تعالى عنه: انقطعت التربية الاصطلاحية ويكتفي بالتربية بالهمة ثم قال له اترك جميع الشيوخ لا منة لأحد عليك من الخلق أنا شيخك ومربيك وأنت ولدي حقا وكررها ثلاثا ولقنه ورده الذي كنا عليه الآن الحمد لله آخر القرن الثاني وأمره بالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وتممه له في أول القرن الثالث بذكر الهيللة ووعده بأنه يفوز إن لازم ذلك الطريق بكل ما أراد من الخير من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس وأمره أن يلقّن ذلك الورد كل من أتاه من المسلمين ذكرا كان أو أنثى عبدا أو حرا طائعا أو عاصيا لكن بشروط

مضبوطة عند أهله والآكد منها عدم الترك بعد الدخول تهاونا وعدم جمعه مع ورد آخر لازم لطريق من طرق الأولياء، وعدم زيارة الأولياء للتعلق والاستمداد (١) لجلب نفع أو دفع ضرّ، وقال سيدنا محمد بن المشري في روض المحب الفاني أيضا ثم لما ارتحل من تلمسان إلى أبي سمغون والشلالة من بلاد الصحراء أخبرني أنه ترك جميع الطرق التي أخذها عن الأشياخ، فسألته عن السبب المؤدّي إلى تركها؟ فأجابني: بأن سيد الوجود ﷺ أعطاه طريقة من الأوراد. وقال لي رضي الله تعالى عنه: أمرني بلزومها من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس.

وإلى ما تقدم أشار صاحب المنية بقوله رضي الله تعالى عنه:

وسافر الشيخ مع الحجاج	عن قبر صاحب اللوا والتاج
لمصر دار شيخه العراقي	وحين جاء هَمَّ بالتلاقي
مع شيخه هذا فرحب به	وحين جآ أجلسه بقربه
وكان يلقي كلما يستشكله	على إمامنا وعنه يسأله
فظهرت علومه الغزيره	حتى أتته سادة كثيره
من علماء المصر للإفاده	وكل من سأله أفاده
ولتلمسان أتى في القابل	من حجه وزور خير كامل
فحل فيها مدة وزارا	بفاس إدريس الرضى مرارا
في عام واحد وتسعين وفي	هذا التقى مع خلّه الخل الوفي
تلميذه صاحبه حرازم	صاحب سره الإمام الحازم
ولم تكن معرفة من قبل	ذاك له بشيخنا ذي الفضل
حتى تعرّف له فكاشفه	يوما برؤيا سلفت مكاشفه

دلت على صحبته وذكّره وقد نسي وبالمعالي بشّره

ومن تلمسان نوى انتقاله إلى أبي سمغون والشلاله

في عام وتسعين ارتحل عنها إليهما بأهله وحلّ

وسافر الشيخ إلى توات لأجل عارف له موات

كذاك سافر إلى ابن العربي تلميذه الحب الرفيع المنصب

وهو الذي وّصى عليه المصطفى صلى عليه الله من له اصطفى

وفتح الله بهذا العام فتحا لشيخي الكامل الإمام

بأن رأى بالعين عين الرحمة يقظة فصار عين الأمة

وقال دع كل شيوخك وذر أنا مربيك وشيخك الأبر

وقال أنت وارثي وحبي وولدي حقا بغير عتب

وكان فتح شيخنا ذي الدين بقصر الأسعاد أبي سمغون

وأذّن النبي للشيخ بأن يلقن الأنام ورده الحسن

وهو صلاتنا على المختار خير الأنام مع الاستغفار

ثم برأس القرن تممه له أحسن تتميم بذكر الهيلله

فلاحت أنوار الهدى عليه وبانت أسرار الرضى لديه

وفاق في الخيرات كل عارف لغرفه من منبع المعارف

راجع منية المريد وشرحها بغية المستفيد وبما قررنا، تعلم أن حال شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد رضي الله تعالى عنه قبل لقاء جده ﷺ من أخذ وترك وجمع وتعلق بالأشياخ ليس كحاله بعد وهو الأخذ بلا ترك ولا جمع ولا تعلق بهم وبعدم التمييز التبس أمر الطريق على كثير من الناس لأنه رضي

الله تعالى عنه بعد اللقي ترجمان الحضرة الأحمدية إذ لا يتكلم في شيء من طريقه من شرط أو كرامة أو ضمان إلا بما أخبره به سيد الوجود ﷺ من الحضر الأحمدية كما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه. راجع كتب الطريق ولا حجة لأحد على ما نبع منها وقال صاحب المنية:

وكل ما يملى فعن خير الورى   مترجم بلفظه بلا مرا

وفرق بين الحالين تسترح وترح فافهم هدانا الله وإياك إلى سواء السبيل.

ثم بنى رضي الله تعالى عنه طريقه على تلك القواعد المتقدمة أي للشروط المذكورة الآكد منها: عدم الترك بعد الدخول تهاونا، وعدم جمعه مع ورد آخر.

ومن أراد جميع الشروط فليراجع كتاب الرماح أو غيره. وجرى عمله وعمل خلفائه على ذلك إلى الآن وكل من أتاك بحجة تدل على جواز مخالفة تلك القواعد للمتقيد بعهد شيخنا رضي الله تعالى عنه ففرّ عنه فرارك من الأسد وقل له تأدب إن كنت تريد النجاة لكلام برز من الحضرة الأحمدية.

والحاصل الحق أن سيدنا وإمامنا ووسيلتنا إلى ربنا ما زال بعد ما داخل الأشياخ نفعنا الله ببركتهم أجمعين في ترقية وترق حتى أدته المقادير الإلهية إلى حضرة الواسطية فأمرته بإلقاء عصا التسيار عندها والمقام معها وعدم الإلتفات إلى الحضرات السفليات لقطع النية بينه وبين أهلها وجعلته واسطة بينها وبينهم فانقلبت حالته الأولى إلى حالة أخرى ووراء هذا ما لا يذكر فبالتسليم السلام.

ولله در القائل في مدحه رضي الله تعالى عنه:

ولا تلتفت أهلا وقدم جميع ما   يصدك عنه واقطع الشفع بالوتر
فأنواره تجلي القلوب من الصدى   وأذكاره يكفي المريد من الحشر

عليك به يأكل من هو طالب ورام وصولا عن قريب ومضطر
وجدّ وجد بالنفس وارْضَ بحبنه فإنك تلقى النصر في العسر واليسر
يكل لساني عن حقيقة مدحه فيا عجبا هل ينقص الدلو من بحر

وقال سيدنا الشاذلي في حزبه الكبير: ومن قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا وكذلك سائر أحزابه حرر وتأمل.

الفصل الثالث

في بيان التربية بالهمة التي هي الأصل لأنه ﷺ ربى جميع أصحابه بها أولى في زماننا هذا لفساد الوقت.

وفي خاتمة قواعد التصوف لسيدنا زروق قال شيخنا أبو العباس الحضرمي: انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان وذلك جار في معاملة الحق والنفس والخلق فأما معاملة الحق فثلاث:

١)إقامة الفرائض

٢)واجتناب المحرمات

٣)والاستسلام للأحكام.

وأما معاملة النفس فثلاث:

١)الإنصافْ في الحق

٢)وترك الانتصاف لها

٣)والحذر عن غوائلها في الجلب والدفع، والقول، والإقبال، والإدبار.

وأما معاملة الخلق فثلاث:

١)توصيل حقوقهم لهم

٢)والتعفف عما في أيديهم

٣)والفرار مما يغير قلوبهم إلا في حق واجب لا محيد عنه.

المراد منه: وفي حاشية محمد بن قاسم القادري على البردة عند قول الناظم:

من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم

في هذه البيت إشارة لفائدتين:

الأولى: أنه لا بد من شيخ التربية الذي هو العالم الصوفي الجامع للأمور التي ذكرها الجنيد بقوله ما أخذنا التصوف من القيل و القال والمراء والجدال، وإنما أخذناه من الجوع والسهر وملازمة صالح الأعمال وإنما كان لابد منه لأن النفس ربما تستحسن أمرا يكون الهلاك فيه فلا بد في إنقاذها منه أي من الشيخ الذي هو كالطبيب الماهر.

والثانية إن ذلك الشيخ يقلّ وجوده في هذا الزمان كما يفيده الاستفهام الإنكاري في قوله: من لي برد جماح الخ. إلى أن قال وقد صرح سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه المسمى بموازين القاصرين بانقطاعه ونصه: وقد انطوت طرق الله وأهلها منذ أزمان متعددة ونحن الآن في دهليز القيامة وقد شاهدنا أولياء عصرنا لقنوا وأرشدوا إلى أن ماتوا ولم ينتج أحد من بعدهم.

وقال أيضا في موضع آخر من الكتاب المذكور ما نصه: سبب ترك العارفين باب المشيخة والتسليك للخلق في هذا الزمان شهودكم لكثرة البلاء النازل على الخلق في قلوبِهم ونفوسهم ليلا ونَهارا وعلمهم أن الأمر راجع إلى وراء فلو أراد

أحدهم أن يتمشيخ على تلميذ لم يقدر أن يدفع عنه عارضا من العوارض ولربما رجع العارض على الشيخ عقوبة له على سوء أدبه وقد اشتد الأمر فلا يزداد إلا شدة حتى تقوم القيامة.

وقد سئل العلامة الشهير قاضي الجماعة بفاس ومفتيها سيدي ابن القاسم بن النعيم رحمه الله تعالى عن شيخ التربية الذي يحلف بالحرام على التآفه بمحضر تلامذته الزاعمين أنهم من أهل التصوف ويؤولون كلامه بأنه قصد أن الخمر حرام عليه وعن شيخ التربية الذي يدخل اللقمة في فمه ثم يخرجها من فمه ثم يبيعها لفقرائه الزاعمين أنهم صوفية بالدينار أو الدينارين المأولين ما يصدر منه بأنه خارج عن الفتوى وأنه من طريق المحبوبية وعن جماعة يبنون في زقاق المسلمين مسجدا للرقص والشطح ويقولون هذه زيادة خير في الإسلام لاجتماعنا على ذكر الله تعالى وعبادته؟

فأجاب بقوله: إنك سألت عن ثلاثة أصناف من الناس ووصفتهم بما يقتضي أنهم ليسوا من الناس وأنهم كما قال علي كرم الله وجهه همج رعاع أتباع كل ناعق استزلهم الشيطان واستحوذ عليهم حين وجدهم عواما غوغاء ناقصي الفطرة أخشاء العقول فكثر بهم حزبه وزين لهم ما يناسب عقولهم من الهزء واللعب بدين الله وجمعهم على مجالسهم أي شيخهم الذي أنابه الشيطان عنه إن الطيور على أمثالها تقع وذكرت أنهم ادّعوا أنهم من أهل التصوف حاشا أهل التصوف أن تكون الرعاع منهم لأن أهل التصوف هم الذين حققوا علوم الشريعة وصححوا أعمال الجوارح الظاهرة وبنوها على قواعد الدين وزادوا بتصفية الباطن وتطهيره من الأغيار وإخلاص التعبد للملك القهار فجمعوا بين تصفية الظاهر والباطن وهؤلاء المسئول عنهم أوصافهم كما ذكرت تدل على أنهم عوام لا شعور لهم

بقواعد الدين ولا علم معهم بطريق السلف الصالح وما كان عليه سيدنا محمد ﷺ وأصحابه فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة.))

وقد علم أن فعل هؤلاء الأصناف لم يكن فيه علوم سبق في الزمن الأول ولا يفعله الصحابة لقوله ﷺ: أصحابي كالنجوم ولم أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه. وفي نسخة:{ أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ }.

أما الصنف الأول الذي ذكرت أن المتبوع المقتدى به يحلف بإيمان الفساق الذي يلزمه بحكم الشرع الأدب الوجيع وأن أتباعه يستحسنون ذلك ويتأولون حلفه على غير ظاهره فهذا إلحاد في الدين وتلاعب بدين الإسلام وما أشبههم بالباطنية قوم يزعمون بأن للشريعة ظاهرا وباطنا وقد صرح فيهم الأئمة بأنهم كفار.

وأما الصنف الثاني: فهم أحسن من الأول ولا أراهم إلا حثالة نبي آدم متبوعهم صعلوك أَضَرَّ به الفقر فتحيل على جمع شيء من حطام الدنيا بالتمويه على من لا عقل له بما وصفته ليأخذ منه السحت وينكر أنه سحت ويريهم أنّ ما عند الله تعالى من النعم والرحمة ينال بلا صلاة ولا صيام ولا تعبد لله بأنواع الطاعات وحسبوا أن ذلك حق وقد نص العلماء على أن من أخذ شيئا على أنه وليّ وهو كذاب فإن الذي يأخذه سحت وما اعتذر عنه به أتباعه فإنه ضلال وحمق وبله قال الله تعالى: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل. وقد نهى ﷺ عن إضاعة

المال ولو أنفقوا ذلك في الخمر والميسر لكان أحسن لأن ذلك شـــهوة نفســـانية شيطانية تلذذوا بها.

وأما الصنف الثالث: فهم لصوص متمردون استحقروا دين الإسلام وأهله واتبعوا السامري وأصحابه في الرقص والشطح وجعلوا ذلك ســـلما للاجتمـــاع بالأحداث والتوصل لفعل قوم لوط وأكل أموال الناس بالباطل وبالجملة فالكلام يطول.

وفي معيار الونشريسي أجوبة في أمثال هؤلاء أغنتنا عن التطويل والواجـــب على ولاة أهل الدين أن يتقدموا لهؤلاء الأصناف فينهوهم عن فعلهم ويعظـــوهم ويذكروهم بالدين والسنة فإن تابوا ورجعوا لما عليه جماعة المسلمين تركـــوا وإلا قوتلوا إن تنصروا الله ينصركم والسلام.انتهى

قوله همج رعاف وفي المصباح الهمج ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الدواب الواحدة همجة مثل قصب وقصبة إلى أن قال. ويقال للرعاع همج علـــى التشبيه والرعاع بالفتح وبالعينين المهملتين بينهما ألف السفلة من الناس الواحد: رعاعة. ويقال هم أصلا أخلاط الناس.

ولما وقف عليه العارف بالله تعالى كتب عليه أي على الجواب:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله الجواب المسطور للمفتي صحيح وليته ضم إلى القول الفعل والانتقام لأنه ممن بسطت يده لما إليه من الخطة والقضاء ولا تأخذه رأفة عليهم في دين الله والذبّ عن شرعه فإن من وصف زنادقة وجهالة جهلا مركبا وهو من أصل الكفر والبدع كما قد علم والقول كثير ولكنه بغـــير فعل غير مفيد فليجتهد في الفعل وإيقاع النكل بهم طهّر الله منهم البلاد وأخلـــى من أمثالهم الأرض والسلام عبد الرحمن بن محمد الفاسي كتب كان الله له.اهـــ

وقد أخبرني بعضهم بأن الولي الصالح سيدي محمد الدّبّاغ دفين الولي الصالح سيدي عبد القادر الفاسي طلب منه بعض تلامذته بأن يجعل لنفسه زاوية فزار الغوث مولانا إدريس نفعنا الله تعالى به بقصد أن يهيأه الله تعالى لما فيه الخير من فعل الزاوية أو عدم فعلها فرآه في المنام فقال له: كثر الزواوي وقلّ من يداوي فلم يجعل زاوية له والصواب ما في الإبريز ومخلصه أنه سأل بعض الفقهاء الغوث مولانا عبد العزيز الدّبّاغ عن قول الولي الصالح سيدي زروق رضي الله عنه قد انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان؟

فأجاب بأن المقصود من التربية تطهير الذات من رعوناتها بإزالة الظلام منها وذلك التطهير تارة يكون بتطهير الله لها بلا واسطة . وهذه حالة القرون الثلاثة وتارة يكون بتسبب من الشيخ الصادق وذلك فيما بعد القرون الثلاثة فيأمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل فإذا فعل ذلك تعلق عقله بالله ورسوله فبقي الأمر كذلك إلى أن اختلطت الحق بالباطل والنور بالظلام فصار أهل الباطل يربون من يأتيهم بإدخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالفة للحق وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تفضي إلى مكر من الله واستدراجات وكثر هذا الأمر في هذه الأعصار التي أدركها الشيخ زروق وأدركها شيوخه فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس باتباع الكتاب والسنة احتياطا من كون الناس ربما يتبعون أهل البطل ولم يريدوا الانقطاع للتربية الحقيقة فإن نور النبي ﷺ باق وخيره شامل وبركته عامة إلى يوم القيامة.اهـ بخ وكما أنه تصدّى في هذا الزمان للتربية من لا يصلح لها كذلك تصدى لتلقين الورد للفقراء من لا يصح له لأن شروط الملقن للورد كما يؤخذ مما

ذكره العارف بالله الفاسي في بعض أجوبته أن يكون تابعا لسنة النبي ﷺ زاهدا في الدنيا وفي الجاه بل ذكر ما يدل على أن من لم يتبع سنة النبي ﷺ ولم يكن زاهدا في الدنيا وفي الجاه لا يصلح أن يكون فقيرا وإذا لم يصلح أن يكون فقيرا فلا يصلح أن يكون مقدما عليهم يلقنهم الورد ونص المقصود من كلامه. اهـ

قاعدة الفقير اتباع السنة وأساسه الزهد في الدنيا وما هو من معناها من جاه وحب منْزلة فمن ليس كذلك وحاله تشير للرغبة فهو مفتر كذاب فالفقير هو الذي زاد على الناس بقوة النفس والهداية وحاز لباب الدين فضلا عما يعرفه سائر الناس بل علماء الظاهر عوام بالنسبة لما حازه الفقير الصادق من العلم اللدني حينئذ. باختصار.

واللدني منسوب للدن وهو العلم الحاصل بلا كسب. فقد ذكر الغزالي أن سيدنا عليا كرم الله وجهه قال: لو طويت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، ولو قرأت في الباء من بسم الله وقر سبعين جملا.

ثم قال الغزالي: ومعلوم أن عليا كرم الله وجهه إنما أخذه من لدن ربه لا من تعليم بشر.

ولله در عبد القادر الفاسي حيث قال: في أجوبته بعد ما ذكر أن دأب المشيخة ترتيب الوظائف الفعلية والقولية هاضما نفسه كما هو دأب الصالحين والعبد الحقير البائس الفقير ليس هنالك ولا ممن يجترئ على هاتيك المسالك وحسبنا التواخي في الله والوداد والخلة المرجو نفعها في اليمعاد فإنها من الدين بمكان ولها في شعبه ما لا يخفى من عظم الشأن والله يجازي العبد على نيته ويعامله على سريرته وطويته.

وفي ترتيب المشائخ غنية مع ملاحظة أصل الشريعة وفائدها وهو قولـــه ﷺ: اكلفوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وأحـــب العمـــل إلى الله أدومه وإن قل. وما قل عمل خرج من قلب زاهد ولا كثر عمل برز مـــن قلـــب راغب وإخلاصه شهوده من الله لا من النفس، ولذلك كان العمل والدلالة عليـــه من غير هذه الملاحظة تعبا كما قيل: من دلَّك على العمل فقد أتعبك، ومن دلَّـــك على الله فقد نصحك. اهـــ منه بلفظه

وفي الحكم العطائية: من دلَّك على الدنيا فقد غشك، ومن دلَّك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك. قلت: وطريق الإنصاف والســـلامة أن تقول كما قال رضي الله تعالى عنه من التواخي لأن إكمال شـــروط المشـــيخة اليوم عسير فنسأل الله تبارك وتعالى الهداية والتوفيق والتيسير.

وفي حاشية سيدي "كنون" على موطإ الإمام مالك وفي جامع المعيـــار مـــن جواب لأبي العباس القباب رحمه الله تعالى ما نصه: فيا عجبا ممن يفـــني عمـــره في البحث عن المقامات والوصول قبل مطالبة نفسه بالتخلص عن التبعـــات الماليـــة والعرضية وقبل البحث عما يلزمه فرضا مجمعا عليه وهو أن لا يقدم على فعل ولا قول ولا حركة حتى يعلم حكم الله تعالى عليه في ذلك.

و قد نقل العلماء الإجماع على ذلك ولو اشتغل الإنسان نفسه في ذلك لمـــا وسعه غيره. وإذا أحاط به علما طالب نفسه باتباع الواجب منه حتما والانكفاف عن المحرم منه في الاعتقادات والضمائر والحركات والسكنات وسائر الأحـــوال. قال ويتفقد جوارحه في كل لحظة ويأخذها باستعمال ما يجب عليه ويجتنب ما يجب تجنبه ويحاسب نفسه كل صباح ومساء على جميع ما صدر منه في جميع الأوقـــات ويجدد التوبة ويطلب الإقالة مهما صدرت منه هفوة أو كان منه تقصير أو غفلـــة.

وإذا أصبح سأل من أين قرصه وإذا أمسى سأل من أين قرصه، وإذا أشغله شاغل عن لحظة في صلاته فرغ مرة منه بالخروج عنه ولو كان يساوي خمسين ألفا كما فعله المتقون. فهذه إشارة إلى هذا الفن الواجب وما أظن المشتغل به حق الشغل يفرغ لغيره وقد أتيت يوما الشيخ الصالح أبا العباس ابن عاشر لزيارته والتبرك به وما رأيت مثله في هذا الشأن. فلقد كان فيه عجبا وحاز منه أعلى الرتب فخرج إلى منْزله وقال ما معناه أنه في شغل عن لقاء الناس وقال لي ولا تظن أن شغلي بنافلة بل إنما أشتغل بالفرض مع ما شوهد من انقطاعه عن جميع العلائق التي يكثر بسببها التعب فكيف بنا لطف الله بنا فإنا في هلكة وعطب إن لم يعف الله سبحانه وتعالى ولو لا رجاء الله ما سكنت نفس. قال ولعل هذا ونحوه هو السبب فيما نقل إلينا ممن يوثق بنقله عن الشيخ العالم الصالح الشهير الكبير أبي محمد الفشتالي كان في هذا القطر في وقته هو المشار إليه بحوز رتبة الولاية مع ظهور الاستقامة وشياع ما يحكى عنه من الكرامة والتحقق في العلوم وخصوصا الامتياز بهذا الفن الصوفي من أنه كان يقول لمن يريد التوبة على يديه عليك بالفقيه أبي محمد صالح فإن باب التوبة وشروط صحتها المتفق عليها والمختلف فيها قد تولته كتب الفقه وتستقصى عن شيخ آخر لما وراء التوبة فإن الذي وراء التوبة غاية لا تُدرَكُ. وطريق مخوف عسير غير مأمون. ولقد قلّ وارده والدال عليه فاقتصار التائب على ما عند فقهاء الظاهر أولى وأسلم بل لا يجوز اليوم اتخاذ الشيخ لسلوك طريق المتصوفة أصلا فإنّهم يخوضون في فروعها ويهملون شروط صحتها. اهـ

وفي كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي وقد كان عبد المومن بن علي وبنوه من بعده قد منعوا الناس من التقليد في الفروع وحملوا الأئمة على أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب

والسنة مباشرة على طريقة الاجتهاد المطلق وحرقوا شيئا كثيرا من كتب الفروع الحديثة التصنيف ووقع ذلك من بعض علماء عصرهم موقع الاستحسان إلى أن قال تتمة مهمة قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ أعصار متطاولة لا سيما في المائة العاشرة وما بعدها بدعة قبيحة وهي: اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم تقدموهم ممن يشار إليه بالولاية والخصوصية ويخصونه بمزيد المحبة والتعظيم ويتمسكون بخدمته والتقرب إليه قدرا زايد على غيره من الشيوخ بحيث يرتسم في خيال جهلهم أن كل المشائخ أوجلّهم دونه في المنْزلة عند الله تعالى ويقولون نحن أتباع سيدي فلان وخدم الدار الفلانية لا يحولون عن ذلك ولا يزالون خلفا عن سلف وينادون باسمه ويستغيثون به ويفزعون في مهماهم إليه معتقدين أن التقرب إليه نافع أو الانحراف عليه قيد شبر ضار مع أن النافع أو الضار هو الله وحده. وإذا ذكر لهم شيخ آخر أو دعوا إليه حاصوا حيصة حمر الوحش من غير تبصر في أحواله هل يستحق ذلك التعظيم أم لا، فصار الأمر عصبيا وصارت الأمة بذلك طرائق قددا ففي كل بلد أو قرية عدة طوائف وهذا لم يكن معروفا في سلف الأمة الذين هم القدوة لمن بعدهم وغرض الشارع إنما هو في الاجتماع وتمام الألفة واتحاد الوجهة وقد قال تعالى لأهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ آل عمران: ٦٤.

وقد ذم قوما فرقوا دينهم وكانوا شيعا وإنما الشأن في أهل الخصوصية والدين أن يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كأسنان المشط بحيث يحبهم لله وفي الله

ويستشفع بهم إلى الله ويسأله تعالى أن يكرمه بما أكرمهم به من الخير والهدى والدين وليحبهم حب التشرع لا حب التشيع، وليتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب فإن ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم عند الله وذلك محجوب عنا، وإذا نزلت به حاجة فليفزع في قضائها إلى مولاه الذي خلقه ورزقه مستشفعا إليه بنبيه الذي هداه للإيمان على يده ثم بخواص الأمة الذين هم آبائنا في الدين فإن المطلوب من العبد أن يصرف وجهته وقصده في جميع أموره ويتعلق فيها بالله بحيث لا يطلبها إلا منه ولا يتكل فيها إلا عليه قاطعا للنظر عن كل ما سواه اللهم إلا على سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا. هذا هو التوحيد الذي بعث الله به محمدا ﷺ وإليه دعا وعليه قاتل وسواه شرك ومنابذة لما جاء به ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ آل عمران: ٦٢.

ثم استرسل هؤلاء الطغاة في الطغام إضلالهم حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات معلومة في مكان مخصوص أو غيره على بدعتهم التي يسمونها بالحضرة فيها ما شئت من طَست، وطار، وطبل، ومزمار، وغناء، ورقص، وخبط بالرجل، وفحص. وربما أضافوا إلى ذلك نارا أو غيرها يشتعلونها على سبيل الكرامة بزعمهم ويستغرقون في ذلك الزمن الطويل حتى يمضي الوقت والوقتان من أوقات الصلاة. وداعي الفلاح ينادى على رؤوسهم وهم في حيرهم يعمهون لا يرفعون به رأسا ولا يرون بما هم فيه من الضلال بأسا بل يعتقدون بأن ما هم فيه من أفضل القرب إلى الله تعالى عن جهالاتهم علوا كبيرا ولا تجد في هذه المجامع الشيطانية غالبا إلا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل ممن لا يحسن الفاتحة فضلا عن

غيرها مع تركـ الصلاة طول عمره، أو من في معناه من معتـوه نـاقص العقـل والدين فما أحوج هؤلاء الفسقة إلى محتسب يغير عليهم ما فيهم من المنكر العظيم واللبس المقيم وأعظم من هذا كله أنهم يفعلون تلكـ الحضرة غالبا في المسـاجد فإنهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجدا للصلاة بالمحراب والمنار وغير ذلكـ ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة.

فكم رأينا من عود، ورباب، ومزمار على أفحش الهيئات في محاريب الصلاة. ومن بدعهم الشنيعة محاكاتهم أضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام من جعل الكسـوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلكـ البقعة من أهـل الجرائم آمنا، وسوق الذبائح إليها على هيئة الهدي، واتخاذ الموسم كل عام وهـذا وأمثاله لم يشرع إلا في حول الكعبة. ثم يقع في ذلك الموسم ولاسيما مواسم البادية من المناكر والمفاسد العظام واختلاط الرجال بالنساء باديات متبرجات شأن أهـل الإباحة وشأن قوم نوح في جاهليتهم ما تصم عنه الأذان ولا منكر ولا مغير، ولا ممتعض للدين لا بل للحسب.

فأما الدين عند هؤلاء فلا دين. ((فإنا لله وإنا إليه راجعون)). على ضـيعة الدين وغفلة أهله عنه ويا لله ويا للمسلمين لهؤلاء الهمج الرعاع الـذين سـلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين والإنسانية جملة. فليسوا في فطنة الشياطين ولا في سلامة صدور البهائم، ولا في نخوة السباع فيغضبوا لدينهم ومروءتهم. ومن جهالتهم الفظيعة جمعهم بين اسم الله تعالى واسم الـولي في مقامـات التعظـيم. كالقسم، والاستعطاف، وغيرهما. فإذا أقسموا قالوا: وحق الله وحق سيدي فلان، وإذا عزموا على أحد. قالوا: دخلت عليك بالله وسيدي فلان، وإذا سألوا قالوا:

من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان. فيعطفون اسم العبد على اسم مولاه بالواو المقتضية للتشرك، والتسوية التامة في مقام.

فقد حظر الشارع أن يتجاوز فيه اسم الله تعالى إلى غيره. وهذا هو صريح الشرك.

ومن مناكرهم الجديرة بالتغيير اجتماعهم كل سنة للوقوف يوم عرفة بضريح الشيخ عبد السلام بن مشيس رضي الله عنه ويسمون ذلك حج المساكين.

فانظر إلى هذه الطامة التي اخترعها هؤلاء العامة ومن اختراعاهم: تسميتهم لبدعتهم بالحضرة كما قلنا أخذا من اسم حضرة الله تعالى في اصطلاح الأئمة العارفين من الصوفية كأهل رسالة القشيري ومن في معناهم فأوهم هؤلاء الشياطين هذه التسمية أنهم يكونون في حال اشتغالهم بتلك البدعة في حضرة الله تعالى ثم يذهبون فيسمون جنوهم وتخبطهم على تلك الطبول، والمزامير بالحال أخذا من الحال التي تعتري السالك إلى الله تعالى في حال ترقية في درجات المعرفة والوصول. وهذا لعمر الله من أقبح الضلالات وأشنع الجهالات إلى غير هذا مما أغنى فيه العيان عن الخبر، وعرفه الخاص والعام في حالتي الورد والصدور ولسنا ننكر على أولياء الله الخصوصية منهم أو على من يسلك سبيلهم على وجه المقرر في كتب الأئمة المقتدي بهم منهم وإنما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الأمر من بابه ولا أخذوه عن أربابه وإنما حالهم ما رأيت، وعلمت. وهذه نفثة مصدور صاحبها عند المصنف معذور فنسأل الله العظيم المولى الكريم أن يحرك همة من له القدرة والتصرف إلى حسم هذه الضلالات وقطعها عسى أن يرحمنا ربنا ويجبر كسرنا ويكبت عدونا إذا نحن راجعنا ديننا وسنة نبينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

﴿يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ الرعد: ١١ .

وفي فرائد الفوائد لسيدنا محمد اليدالي: ثم اعلموا أن التربية لا ترتفع أبدا لكنها تارة تجري بالاصطلاح من الخلوات والتربية ونحوها. وتارة بحفظ الأصول فقط، وتارة بحفظ الحرمة فقط ليس إلا وتارة بعلو الهمة وقوة الحزم والعزم، وتارة بمجرد التلقي والإلقاء. وهذه أمور لا تزول أبد الآبدين

غير أن الاصطلاح قد انقرض في هذه الأزمنة وارتفع انتاجه حسبما دلت عليه العلامات وشهد به الاستقراء قال بعض الأشياخ: ارتفعت التربية بالاصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمان مئة {٨٢٤} ولم يبق غير الإفادة بالهمة والحال. فعليكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان إلى آخر كلامه. اهـ

قلت وإن أردت معرفة كيفية تربية طريقتنا المحمدية فعليك بكتب أصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه كبغية المستفيد لسيدنا العربي بن السائح على منية المريد وغيرها إنما أمر سيد الوجود ﷺ شيخنا ﷺ: بالتحيد عن التربية بالاصطلاح التي أحدثت بعد القرون الثلاثة لما يعرض عنه عليها من المفاسد الجلية عند الخاص والعام. فبذلك رجع إلى الأصل الذي هو التربية بالهمة والتمسك بالكتاب والسنة كما تقدم. اهـ

وقال سيدنا العربي بن السائح في المطلب الأول في البغية ومدار التربية والتزكية في طريقتنا هذه المحمدية الشريفة المرضية على إقامة الورد الأصلي المعلوم الذي لا يصلح الدخول فيها بدونه لأحد من الخصوص ولا من العموم وكذا توابعه من الأذكار المشمولة باللزوم معه وهي الوظيفة المعروفة وذكر الْهيللة بعد

عصر يوم الجمعة بالمحافظة في جميع ذلك على الشروط المشروطة والآداب التي هي بغاية الحسن ونهاية الكمال منوطة وآكد الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس بآدابها على الحد المحدود لها شرعا بقدر الإمكان واستكمال شروطها وآدابها وتمام جميع ما لها من الأركان. ثم عمارة ما يقدر على عمارته من الأوقات، والساعات بالصلاة على النبي ﷺ خصوصا بصلاة الفاتح لما أغلق التي هي من أسمى الذخائر وأسني البضاعات على طريق المحبة والشكر والاعتماد على الفضل المحض الذي ليس إلا عليه في بساط التحقيق المعول من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة ولا غير ذلك مما اصطلح عليه في التربية من بعد الصدر الأول إن هذه هي طريقة سيدنا رضي الله تعالى عنه التي سلكها وأمره بالتسلك بها سيد الوجود ومنبع الإمداد والجود ﷺ.

وفي جواهر المعاني أنه ﷺ بعد ما أعلم سيدنا رضي الله عنه بأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى والممد له على التحقيق وصرح له بأنه هو كفيله ومربيه دون غيره من مشائخ الطريق، وأخبره بأنه لا منة لواحد منهم عليه لأن جميع ما يصله من الله تعالى فعلى يده ﷺ، وبواسطته. ومنه وإليه قال له في وصيته التي أوصاه بها الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذي وُعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة وقد أشار إلى ذلك العلامة الشهير العارف الكبير سيدي عبيدة بن محمد الصغير مؤلف كتاب ميزاب الرحمة الربانية في لاميته التي امتدح بها سيدنا رضي الله عنه فقال:

بلا خلوة ربى وربوا بخلوة وشتان ما بين اليزيدين منهلا

إلى آخر كلامه. اللهم ثبتنا عليها ولا تجعلنا ممن ينخرم عن سلكها آمين. اهـ

الفصل الرابع:

في بيان أن طريقتنا المحمدية الأحمدية ما فارقت تصديق المصدقين المنخرطين في السلك والمصدقين غير المنخرطين وإنكار المنكرين إلى هلم جرا.

ثم اعلموا أيضا أن طريقنا المحمدي الأحمدي ما فارق تصديق المصدقين المنخرطين في سلك عهده ﷺ والمصدقين المحبين غير المنخرطين وكذلك إنكار المنكرين في حياته وبعد ما أتاه اليقين لأنه رضي الله تعالى عنه مبتلى بالإنكار كما قدمناه ومع ذلك لم يزل يزداد وينتشر لأن المنخرطين يتزايدون في كل حين شرفا وغربا.

وفي كتاب فرائد الفوائد لسيدنا محمد اليدالي أيضا:

إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لو لا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وشهرته تغني عن بيان فضلها وبهذا يعلم أن الإنسان يُمكن أن يفسد مبايعته في الطريق أو يفسد عليه ولا يقدر أن يفسد الطريق على الشيخ لأنه حبل قد أبرمه ﷺ وأتقن وأحكم وأحسن ووكل عليه وكيلا ما أحسن أمنه بالتحريك أي دينه وخلقه ووعده أن لا ينقطع الطريق ما دامت الدنيا. فيا عجبا في ضلال وإضلال من قيد أمر الطريق بحياته ﷺ وما علم لو كانت حياة المتابع بالفتح شرطا في المتابعة الدينية لما قال مولانا تبارك وتعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام ((أن اتبع

ملة إبراهيم)) الآية. وما عد نبيه إبراهيم من شيعة نوح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ الصافات: ٨٣
وفي كفاية الطالب على الرسالة عند قول المصنف: وسراجا منيرا وشبه بالسراج المنير دون الشمس والقمر لأن نورهما لا يوخذ منه نور وإن أخذ فنادر بتكلّف ونور السراج يوخذ منه من غير تكلف أسرجة من غير نقص منه وإذا ذهب نور الأصل بقي نور فرعه ونوره ﷺ كذلك تؤخذ منه الأنوار بغير تكلف ولا يذهب بذهابه ﷺ لعل ذلك المقيد لم يبلغه قول من قال إن الأقوال المنسوبة للأموات كالأقوال الثابتة للأحياء.اهـ

انظر مقدمة الشيخ محمد المختار بن أحمد فال العلوي. اهـ

وقال سيدنا محمد اليدالي في فرائد الفوائد أيضا: في آخر النبذة التي نقلها من الأجوبة الناصرية وغيرها ثم إن من طالع هذه النبذة على وجه الاعتقاد فكأنه عاصر الأولياء الذين تقدموه وسمع كلامهم فإن عدم الاجتماع بالشيخ لا يقدح في محبته وصحبته فإنا نحب رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين وما رأيناهم وقد انتفعنا بأقوالهم وأفعالهم فإن صور المعتقدات إذا ظهرت وحصلت لا تحتاج إلى مشاهدة صور الأشخاص ومن طالعها ولم يحصل به شوق لهم ولا نهضة لطريق الله فهو كالأموات سواء كما قال الشعراني.

وفي حاشية سيدي محمد بن قاسم أيضا:

فائدة ورد جدنا وشيخنا ومولانا عبد القادر الجيلاني وغيره من الأشياخ الأموات نافع وقول من قال أن ورد الولي الميت غير نافع غير صواب بدليل المشاهدة فإنا لا زلنا نشاهد أن من قبض ورد ولي من الأولياء المشهورين بالولاية حصل له النفع على قدر اتباعه للسنة وعلى قدر نيته في شيخه نعم ينبغي له أن

يكثر من الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله فإن ذلك يكون سببا في رؤيته ﷺ يقظة وقد ذكر الشعراني في العهود أن جماعة من الشيوخ أكثروا الصلاة والسلام عليه فصاروا يرونه يقظة. وقال الشعراني أيضا: وأخبرني الشيخ أحمد الزاواوي أنه لم يجتمع بالمصطفى يقظة حتى واظب سنة يصلي عليه كل يوم خمس ألف مرة. وذكر صاحب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر أنه نقل عن الشيخ العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي أنه كان إذا عنت مسألة من المسائل الإلهية يذهب لقبر الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي لأنه كانت له علقات روحية معه ويجثوا على ركبتيه ويسأله عنها فسأله يوما عن آيات من سورة البقرة وهو في قبره فأملى عليه من قبره مجلدين. وذكر الحضيكي في شرحه على الهمزية عند قول ناظمها رضي الله عنه:

والكرامات منهم معجزات الخ. عن أبي المواهب الشاذلي أنه قال: ومن الأولياء من ينفع مريده الصادق بعد موته أكثر مما ينفعه في حال حياته ومن العباد من تولى الله تربيته بنفسه من غير واسطة، ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه ولو ميتا في قبره فيربي مريده وهو في قبره ويسمع مريده صوته من القبر. ولله عباد يتولى تربيتهم النبي ﷺ نفسه بكثرة صلاتهم عليه ﷺ. المقصود منه.

وفي طبقات الشعراني: أن الشيخ سيدي أحمد الفرعاني كان يقول أنا من المتصرفين في قبورهم فمن كانت له حاجة فليأت إلي قبالة وجهي ويذكرها لي أقضيها له.

وذكر صاحب روح البيان في حديث إذا تحيرتم في الأمر فاستعينوا من أهل القبور أن المراد بهم العارفون الذين قتلوا أنفسهم وجاهدوا في مرضاة الله تعالى فإن قلت ما ذكرته من كون الولي الميت يربي مخالف لما ذكر بعضهم من أنه لا يربي

قلت يمكن الجمع بينهما بحمل كلام من نفاها على أن المقصود نفـي الترقيـة أي ترقية الشيخ المربي مريده إلى أن يصير خلق ذلك التلميذ كخلق النبي ﷺ فهـذه الترقية لا تصدر من الولي الميت وقد أشار إلى ذلك سيدي زروق في قواعده حيث ذكر أن الشيخ الترقية هو من يتوجه لربه في نجاح تلميذه الذي ألقى نفسه إليه مع تسببه في صيرورة الك التلميذ متمسكا بالسنة النبوية التي تمسكه بها هو الجهـاد الأكبر المشار بقوله ﷺ: جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. وحمـل مـن أثبتها على غير ذلك كما جمع بين القولين الحضرمي.

ونقله عنه الشيخ زروق في قواعده واعلم أن أقسام التلميذ خمسة:

١)الأول من تولى الله جل جلاله تربيته بنفسه من غير واسطة ذكر هذا القسم أبو المواهب الشاذلي ونص المقصود منه: ومن العباد من تـولى الله تربيتـه بنفسه من غير واسطة نقله عن الحضيكي في شرحه على الهمزية لدى قـول ناظمها رضي الله عنه: والكرامات منهم معجزات. وهذا القسم هو أعلاها.

٢)والثاني: هو الذي يلي الأول من تولى النبي ﷺ تربيته. ذكر هذا القسم أبـو المواهب الشاذلي أيضا. ونص المقصود منه: ولله عباد يتولى تربيتهم النبي ﷺ بنفسه من غير واسطة بكثرة صلاتهم عليه ﷺ. نقله عنه أيضا الحضـيكي في شرحه على الهمزية لدى قول ناظمها رضي الله عنه: والكرامـات منـهم معجزات إلخ وكذا ذكر هذا القسم مولاي العربي بن السـائح في بعـض أجوبته وملخص المقصود منه: إنما نقل نقلا متواترا عن القطب سيد أحمـد التجاني: من منع مريده من الإلتفات لغيره من الأولياء في جلب نفع أو دفع ضر تلقاه من الحضرة المحمدية الشريفة عليها الصلاة والسلام التي تربيتـه ومدده منها بلا واسطة في حال اليقظة لا المنام. اهـ

واعلم أن الإلتفات للغير بالنفع أو الضر المسمى بزيارة التعلق. وأما زيارة التبرك فلم يمنع الشيخ تلامذته منها بل كان يحض عليها كما في الجواهر.

٣)والثالث: هو الذي يلي الثاني من يتولى تربيته الولي الحي فربـاه بالتربية المصطلح عليها المسماة بالترقية أي ترقية الشيخ المربي تلميذه شيئا فشيئا بأن يأمره بتقليل الأكل وبالخلوة وبالورد وبالصبر على المصائب وبالعفو إلى أن يصير خلقه كخلق النبي ﷺ في جميع أحواله حتى تطهّر ذاته من رعوناتها ويزول الظلام منها ويصل إلى حضرة الفتح والمعارف. وهذه التربية لا يكون إلا من الحي كما صرح بذلك القطب سيدي أحمد التجاني فإنه لما ذكر أن الفتح والوصول من الله تعالى في حضرة المعارف لا يبعثه الله تعالى إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص بالأولياء وأنه متى فقد الإذن الخاص بالأولياء لم يوجد من الله فتح ولا وصول وليس لصاحبه إلا التعب. فسر أصحاب الإذن الخاص بالأولياء الصالحين الأحياء العارفين الموجودين في كل عصر دون الأموات وعلى هذا القسم تكلم الإمام أحمد القرشي التيمي البكري الصديقي المتوفى في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وست مئة بقوله في قصيدته الرائية المسماة بسرائر الأنوار:

وللشيخ آيات إذا لم تكن له فما هو إلا في ليالي الهوى يسري
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر

وقد بين سيدي عبد العزيز الدباغ هذين البيتين بما ملخصه أن مراده بالعلامات كونه سالم الصدر على جميع الأمة وأن يكون كريما إذا طلبته أعطاك، وأن يحب من أساء إليه وأن يغفل عن خطايا المريدين وأن مراده بعلم الظاهر علم

الفقه والتوحيد أي القدر الواجب منهما على المكلف ومراده بعلم الباطن معرفة الله وهذا القسم هو المراد بشيخ التربية عند الإطلاق وهو الذي قال فيه ابن عاشر:

يصحب شيخا عارف المسالك الخ. وقال فيه القطب سيدي أحمد التجاني شيخ التربية يجب طلبه من جهة النظر بمنْزلة المريض الذي أعضلته العلة وعجز عن الدواء وانعدمت الصحة في حقه. اهـ وقال فيه أيضا: الإعراض عن ولي الوقت كالإعراض عن نبي الوقت. اهـ

٤- والرابع: وهو الذي يلي الثالث من تولى تربيته المقدم الذي يعطي وردا من أوراد العارفين المحبوبين الأموات فإن في إذن ذلك المقدم في ذلك الورد بركة عظيمة بدليل: أن من وجد الورد مكتوبا فصار يقرؤه بلا إذن من المقدم لا تحصل له بركة تماثل بركة من وقع له الإذن من ذلك المقدم لأن ذلك المقدم يعتقد أن بركة ذلك الولي العارف الميت حاصلة له ولكل من أخذ عنه والمؤمل من الله تعالى أن يكون اعتقاده موافقا لما في الواقع ويدل على أن للإذن بركة ما ذكره زروق في قواعده: من أن الجنيد كان يقول من لم يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من أتبعه قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾يوسف: ١٠٨ .

وتقدم أنه يؤخذ مما ذكره العارف الفاسي في كل فقير أن شرط هذا المقدم الذي هو رأس الفقراء أن يكون تابعا للسنة النبوية زاهدا في الجاه وغيره من الأمور الدنيوية موصوفا بقوله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ الخ. واعلم أن القطب سيدي أحمد التجاني ذكر فائدة عظيمة وهي: أن من أحبه رضي الله عنه ودام على

ذلك لا يَموت إلا أن يكون وليا.اهـ وذلك يدل على أن الولي الكامل يربى بعد موته.

قلت: وقد كان والدي رحمه الله تعالى أوصاني في حياته بمحبة سيدي أحمد التجاني فعملت بوصيته، وأخبرت بذلك شيخي وشيخ والدي المرحوم بفضل الله سيدي أحمد البناني فقال لي من أحبه لا يموت إلا وليا. فقلت له اشهد عليّ بأني أحبه.

٥- والخامس: من تولى تربيته الولي الميت الذي هو من أكابر الأولياء.

وهذا القسم ذكره أبو المواهب الشاذلي بقوله: ومنهم من يتولاه بواسطة بعض أوليائه ولو ميتا في قبره فيربي مريده وهو في قبره ويسمع مريده صوته من القبر.اهـ

وذكر السيد فيما له على المواقف ما يدل على ذلك فإنه ذكر ما ملخصه أن أبا يزيد البسطامي كان متأخرا عن زمن جعفر الصادق وإنما كان يستفيض من روحانيته فلذلك اشتهر انتسابه إليه.

نقله عن السيد سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد القادر الفاسي في الابتهاج وزادوا انتفاع الحي بالميت وحصول المدد له منه شهير ثم أيد ذلك بأن ابن عقبة أخذ عن ابن وفا بعد موته بكثير وأن الشيخ أبا الحسن الخرقاني أخذ عن أبي يزيد بعد موته وذلك يدل على أن الولي الكامل يربي بعد موته.

فائدة:

نقل بعضهم عن زروق أنه ذكر أن من حافظ على قواعد الإسلام الخمس بفرائضها وشروطها وسننها وترك المحرمات بأجمعها واتّبع سنة رسول الله ﷺ وعرف حكم الله فيما يريد الإقدام عليه وأجمع على ولايته علماء وقته الذين هم

الخبرة بشروط الولاية هو الذي يقتدى به وينقاد إليه ومن ترك شيئا مما ذكر فلا يلتفت إليه. ونقل عنه أيضا أن غالب من يدعي الولاية في هذه الأزمنة إنما هو دجال. لأن الدجال هو من بدل دين الإسلام لأنه يدعي الولاية بلا علم ويؤخر الصلاة عن أوقاتها ويتيمم من غير شروط التيمم، ويختلط مع النساء وذلك كله يبديل لدين الإسلام فيتجنبهم الإنسان وينهى الناس عن اتباعهم ويكفهم عن فعلهم ما استطاع. فقد قال ﷺ: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)).

وقال أيضا: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم سلطانا جائرا لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون، وتستغفرون فلا يغفر لكم)).

ونقل عنه أيضا أنه حذر الناس أن يغتروا بإعطاء هؤلاء الكاذبين الطعام أو برقصهم أو بالضرب بأيديهم وأرجلهم أو بجعلهم النار في أفواههم أو بطيرانهم في السماء أو بمشيهم على الماء فإن ذلك كله مع تركهم ما أوجب الله عليهم إنما هو استدراج قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ الأعراف: ١٨٢ . ومن لم تصلحه لا أصلحه الله. ونقل عنه أيضا: أنه قال: ينبغي في هذا الزمان أن ينظر الإنسان إلى العالم الذي فضله الله بفضله على علماء وقته فينقاد له. فإن اتباعه عبادة والكلام معه عبادة والجلوس معه عبادة والنظر في وجهه عبادة والمشي معه عبادة. ومن خدمه يوما فكأنّما عبد الله سبعين عاما وأن من ادّعى المشيخة وهو يحفظ القرآن على التمام لا تقبل منه تلك المشيخة لأن حفظه له مع الجهل بمعانيه العظام وعدم معرفة ما فيه من الحلال والحرام لاتخرجه عن كونه من العوام.

وذكر أيضا: أن جل من رآه في هذه الأزمنة يدعى المشيخة ليس على السنة والاستقامة ومع ذلك تقبل العوام عليه بهدايا وتتوجه القبائل إليه بعطايا وسبب ذلك خدمته لشياطين الجن يشترطون عليه ترك الصلاة رأسا أو فعلها بغير طهارة أو ترك الصيام رأسا، أو الوضوء بالأبوال النجسة أو تأخيرها عن وقتها اختيارا أو فعلها من جلوس اختيارا وإذا قيل له ما لك تصلي جالسا وأنت قادر على القيام؟ قال لا أقدر عليه مع كونه يرقص معهم قياما إذا قاموا للرقص أو بتنجيس المسجد بأبواله فقد ذكروا أن بعض طلبة العلم لما سمع أن رجلا مِمّن يدعي الولاية ينجس المسجد بالبول بعد صلاة العشاء وبعد خلو المسجد من الناس استتر وراء بعض سوار المسجد بحيث لا يراه أحد. فلما غلقت أبواب المسجد رأى ذلك البعض أن ذلك الشخص المدعي للولاية صار يبول على حصور المسجد ناحية فناحية وصفا فصفا حتى عمه كله بالبول والعياذ بالله تعالى. فإذا بشياطينه دخلوا عليه فسجدوا له قائلين ما أراد سيدنا؟ فقال لهم: الزرع قد تمّ للزاوية. فقالوا الآن نذهب لبني فلان نعظهم إليك فلم تغب الشمس غداة فعله ما فعل إلى أن جاءت بنو فلان بالزرع للزاوية كما أخبره شياطينه. وذكروا أيضا: أن كل واحد منهم يدخل الخلوة فيمكث فيها وهو يتوضأ بالأبوال النجسة، ويشتغل بالعزائم المعتقد أنها تؤثر ويذكر الويل واللعن فإذا كملت عليه ثلاثون يوما ورد عليه الشيطان. فإذا كملت عليه أربعون يوما عقد الشيطان معه عقدة على الخدمة له حتى لو أرد مثلا جلب طعام جلبه له. وذكروا أيضا: أن شروط المربي خمسة:

١- الأول: معرفة صفات الله تعالى

٢- والثاني: معرفة أحكام الله تعالى.

٣- الثالث: الوقوف على حدود الله تعالى.بأن كان تابعا لسنة رسـول الله ﷺ في جميع أوقاته وأحواله .

٤- الرابع: النصيحة لعباد الله تعالى.

٥- النصرة لدين الله. قال وإلى هذه الشروط أشرت بقوله في سـراج الدين المضطر إلى معرفة المتطلبة والمفتقرة عن عوام المسلمين:

وكونـه عارفـا بـالله ذا بصـير بحكمه واقفـا علـى الحـدود جـلا

وكونـه ناصـح العبـاد منتصـرا لدينـه فـع ذا عنـه ولا تمـلا

انتهى. من تلك الحاشية.

وفي تقريب الوصول لتسهيل الوصول لمعرفة الرب سبحانه والرسول أيضا: وذكر العلامة سيدي عبد الرحمان بن مصطفى العيدروس نزيل مصـر في شـرحه على صلاة سيدي أحمد البدوي في كتابه المسمى مرآة الشـموس في مناقـب آل العيدروس: أنه يعدم المربون في آخر الزمان ويصير ما يوصل إلى الله تبارك وتعالى إلا الصلاة على النبي ﷺ مناما ويقظة. لأن جميع الأعمال منـها المقبـول ومنـها المردود إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنّها مقطوع بقبولها إكراما له ﷺ. وحكي اتفاق العلماء على ذلك. اهـ

وسئل محمد بن ناصر ﷺ عن ورد يكفي عن جميع الأوراد ينفع من أخـذه من الكتب إذا لم يجد شيخا لكثرة الفساد والخداع في هذا الزمان حتى ادّعى كثير من الجهلة أنّهم من أهل التصوف؟

فأجاب نعم تنفع لذلك الصلاة على النبي ﷺ والمسبعات العشر من دام على المسبعات كفته عن جميع الأوراد.

تنبيه:

وأما المسبعات العشر فإن من ذكرها مرة لم تكتب عليه ذنوب سنة مع ما فيها من الفضل العظيم وهي هذه: الفاتحة، والناس، والفلق، والإخلاص، والكافرون،والكرسي، وسبحان الله والحمد لله و لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عدد ما علم وملء ما علم وزنة ما علم، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. اللهم اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. اللهم افعل بي وبِهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل. ولا تفعل بنا وبِهم يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم {سبعا سبعا} كل ذكر كل يوم قبل طلوع الشمس وقبل غروبِها. فهذه الرواية التي هي أخذها شيخنا عن شيخه سيدي محمود الكردي وهو أخذها عن الخضر عليه السلام مشافهة وهي بالتنكيس كما هي هنا.

من روض المحب الفاني لسيدي محمد بن المشري رضي الله عنه وسئل شيخنا المؤلف عن حكمة التنكيس أي في المسبعات؟

فقال: إن فيه تقديم التخلية على التحلية لأن في المعوذتين تحصنا من كل ضار وهذه تخلية بالخاء المعجمة، وفي الصمدية وما بعدها ذكر التوحيد وشغل القلب به وهذه تحلية، بالحاء المهملة. اهـ

من كتاب الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلاة الدرديرية للشيخ أحمد الصاوي المالكي. اهـ وفي تقريب الوصول أيضا: قال الشيخ حدّاد

ﷺ: الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته لأنه في حياته كان مشغولا بالتكليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد والحي فيه خصوصية وبشرية ربما غلبت إحداهما الأخرى وخصوصا في هذا الزمان فإنها تغلب البشرية والميت ما فيه إلا الخصوصية فقط. وقال أيضا: إنّ الأخيار إذا ماتوا لم تفقد منهم إلا أعيانهم وصورهم. وأما حقائقهم فموجودة فهم أحياء في قبورهم. وإذا كان الولي حيا في قبره فإنه لم يفقد شيئا من عمله وعقله وقواه الروحانية بل تزداد أرواحهم بعد الموت بصيرة وعلما وحياة روحانية وتوجها إلى الله تعالى. فإذا توجّهت أرواحهم إلى الله تعالى في شيء قضاه سبحانه وتعالى وأجراه إكراما لهم.

وهذا معنى قول بعضهم: إن لهم التصرف، فالتصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له ولا تأثير للولي ولا غيره في شيء قط لا حيا ولا ميتا. فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيرا في شيء فهو كافر بالله تعالى. فأهل البرزخ من الأولياء في حضرة الله تعالى فمن توجه إليهم وتوسل بهم فإنهم يتوجهون إلى الله تعالى في حصول مطلوبه. فالتصرف الحاصل منهم: هو توجههم بأرواحهم إلى الله تعالى والتصرف الحقيقي لله وحده. فالواقع منهم من جملة الأسباب العادية التي لا تأثير لها وإنما يوجد الأمر عندها لا بها على حسب ما أجراه الله من العوائد. وعلى هذه المعاني يفسّر السلب الذي يسند إلى الأولياء فيقال: سلب فلان فلانا. فهو بتوجيهه إلى الله في حصول السلب إن أراده الله يحصل بفعل الله لا بفعله. فاحذر أن يشتبه عليك أحد المعنيين بالآخر فتزّل والله الهادي إلى سواء السبيل. اهـ

قلت: وفي تفصيلهم بين زيارة لتعلق والتبرك دقيقة لا يفهمها إلا أهل البصائر. وأيضا: بين ما تواتر عن الحضرة النبرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام في منع مريد طريقتنا التجانية الإلتفات وبين كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه في منع الإعراض عن قطب الوقتِ كما في الجواهر طوفان غرق فيه كثير من عوام الطريقة لجهلهم مقاصد القوم لأن من سلك في سلك أحد من الأقطاب لا يعد معرضا سواء كان ذلك القطب حيا أو ميتا أو سلك في سلك خلفائه. انظر رحمك الله بالعقل السليم ما ذا تحكم في أمر من لم يسامح له الإلتفات إلى غير أهل الطريق إذا ألقى نفسه إلى من لم يكن منهم ليربيه مع وجود المطلوب فيهم عند من أنصف ولم يكن من أهل التعصب تفهّم بارك الله فيك. اهـ

تبشير: وفي حاشية الصاوي على الجلالين عند قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الطور: ٢١

قوله والذين آمنوا- مبتدأ خبره قوله ألحقنا بهم ذريَّتهم والذرية تطلق على الأصول والفروع قال الله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلخ. والمعنى أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أبا ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فإن حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق باللحوق كالتلامذة فإنهم يلحقون بأشياخهم وأشياخ الأشياخ يلحقون بالأشياخ إن كانوا دونهم في العمل والأصل في ذلك عموم قوله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يا رب إني عملت لي ولهم فيؤمن بإلحاقهم به. اهـ

وفي الجامع الصغير لسيدنا السيوطي أيضا في رواية الطبراني والضياء عن أبي قرصافة بكسر القاف وسكون الراء فصاد مهملة ففاء: من أحب قوما حشر في زمرتِهم. اهـ

قال الشارح ظاهره وإن لم يعمل بعملهم ويحتمل أن محبته لهم تجره إلى العمل بأعمالهم والأول ظاهر كلام المناوي وعبارته فمن أحب أولياء الرحمان فهو معهم في الجنان ومن أحب حزب الشيطان فهو معهم في النيران وفيه بشارة عظيمة لمن أحب الصوفية أو تشبّه بهم وإنه يكون مع تفريطه بما هم عليه معهم في الجنة. اهـ

اللهم لا تجعلنا زبدا رابيا يحتمله سيل الطريق واجعلنا ممن يمكث على الأرض في التحقيق ولا تنسنا ذكرك ولا تولنا غيرك ولا تؤمنا مكرك ولا تكشف عنا سترك برحمتك يا أرحم الراحمين.

الفصل الخامس:

في الردّ على المنكرين

ومن المنكرين من أنكر الطريق بالكلية بقلة المعرفة مفرطا في ذلك. قال سيدنا محنض بابه رضي الله تعالى عنه:

قد أفرطت طائفة المجاني ... إذ أنكروا طريقة التجاني

نهوا عن الطريق من أرادها ... وأنكروا لجهلهم أورادها

أليست الأوراد ذكر الله ... والنهي عنه منكر يا ناهي

والله قد أمر بالإكثار ... من ذكره يا منكر الأذكار

ولم يخص وصفه أو نوعه فلا يكون منه شيئا بدعه
إذ كل ما جاء بلا تخصيص كان على العموم بالمنصوص

قوله: ولم يخص وصفه أو نوعه إلخ أي: إن أوصاف الذكر وأنواعه لا تنحصر. قلت وكذلك أوقاته وأحواله كما سيتبين لك. قال سيدي الحسن اليوسي في كتابه مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص: وأما الذكر المأمور به شرعا فهو الثناء على الله تعالى والصلاة له والعبادة كلها قال صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾ الأحزاب: ٤١ أي: اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك بكرة وأصيلا أي في كافة الأوقات قال رسول الله ﷺ: ذكر الله على فم كل مسلم. وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره إكثار الطاعات والإقبال على العبادة فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ولأرباب القلوب في الذكر عبارات متفاوتة قال في الرسالة سئل الواسطي عن الذكر فقال: الخروج عن ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب.

وقال صاحب مفتاح الفلاح: الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق. وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان وسواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله أو استدلال على شيء من ذلك أو الدعاء وذكر رسله وأنبيائه وأوليائه أو انتسب إليه أو تقرب منه بوجه من الوجوه أو سبب من الأسباب أو فعل من الأفعال بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية والمتكلم ذاكر والفقيه ذاكر

والمدرس ذاكر والمفتي ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكر في عظمة الله وجلاله وجبروته وآيته في أرضه وسمائه وذاكر والممتثل بما أمر الله به أو نَهى عنه ذاكر. قال والذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالجنان وقد يكون بأعضاء الإنسان وقد يكون بالإعلان والإجهار والجامع لذلك كله ذاكر كامل. اهـ

وقد تبين لك من كلامه أن كل طاعة لله تعالى هي ذكر والمؤمن الموفق ذاكر لله تعالى على كل أحيانه ومعنى ذلك أن الذكر كما هو ضد النسيان فكل من عمل طاعة من قول أو فعل أو ترك فما عملها إلا وقد ذكر الله إذ لو نسيه ما عملها ألا ترى أن الله تعالى هو الذي حمله عليها بأمره أو نهيه ولذلك وقع في كلام عمر رضي الله عنه وأفضل ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه أي يذكر الله عند كل فعل هل أمره به تعالى فيقوم عليه أو نَهاه عنه فينتهي وكذا يذكر الله أي وعده ووعيده عند سماع الأمر والنهي فيأتمر وينتهي وهذا كله في قلبه وبذا تعلم أن الذكر على الحقيقة هو في القلب وأما الأفعال والأقوال فهو مظاهرة وترجمته تنشأ عنه ويتقوى بِها وتتقوي به. اهـ

ومنهم من ادّعى على أن شيخنا التجاني رضي الله تعالى عنه نسب سيد الوجود ﷺ للكتمان بادّعاء. كتم فضل صلاة الفاتح وبادّعاء كتم طريقته لما أجابه لبعض الإخوان من تأخير بيان فضل صلاة الفاتح جهلا بأن الكتمان وإن صح أنّ ذلك القول صدر عنه رضي الله تعالى عنه إنما يكون تنقيصا في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام في كتمان ما أمروا وبتبليغه لا ما لم يؤمروا به أي بتبليغه وذلك على قسمين ما وجب كتمانه عليهم وما هم فيه على التخيير كما تقدم. ومن الثاني تخصيص سيد الوجود ﷺ سيدنا حذيفة بن اليمان بسر المنافقين دون غيره

من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وكفى بذلك دليلا عند من لم يكن جهله مركبا. اهـ

وفي سعود المطالع وقد كان ﷺ يخص من يشاء من العلوم والطرائف بما شاء كما يرشد إلى ذلك حديث حذيفة الذي علمه ﷺ بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة. اهـ

وفي روح البيان عند قوله تبارك وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)) الآية مما يتعلق بمصالح العبادة فلا يرد أن بعض الأسرار الإلهية يحرم إفشاؤه. قال أبو هريرة ((حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين من العلوم فأما ما أحدهما فقد بثثته، وأما الآخر لم بثثته قطع مني هذا الحلقوم وفي رواية هذا البلعوم بضم الباء والتحقيق أن ما يتعلق بالشريعة عام تبليغه وما يتعلق بالمعرفة والحقيقة خاص ولكل منهما أهل فهو كالأمانة عند المبلغ يلزم دفعها لأربابها. اهـ

وفي فقه الأعيان للشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله تعالى ما نصه: "قال عليه الصلاة والسلام أخذت ليلة أسري بي ثلاثة علوم:

- ✓علم أخذ علي العهد أن أبلغه للخاصة والعامة
- ✓وعلم أخذ علي العهد أن لا أبلغه إلا لخاصة أصحابي الذين يقدرون على حمله.
- ✓وعلم علم أنه لا يقدر على حمله غيري وأخذ عليّ العهد أن لا أخبر به أحدا". اهـ من الجيش الكفيل

وفي حاشية سيدنا محمد بن قاسم القادري على شرح الشيخ خالد الأزهري على البردة أيضا عند قول الناظم: "وسر أيّ مكتتم". قوله وسر أيّ مكتتم. إلى قوله مستترا أشير بقوله تعالى: ((فأوحى إلى عبده ما أوحى)). وفي ذلك السرّ سمع

الكلام القديم ومن جملة السر المكتتم العلم الذي أمره الله بكتمانه فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((وعلمني – يعني الله تعالى – ليلة المعراج علوما شتى، فعلم أخذ عليّ كتمانه إذ علم أنه لا يقدر عليه أحد غيري، وعلم خيّرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه إلى الخاص و العام من أمتي. اهـ

ذكره ابن سبع في شفاء الصدور وبقي قسمان:

✓أحدهما علم أمره الله بتبليغه لخواص أمته

✓وثانيهما علم أمره الله بتبليغه لأخص خواص أمته، وهذان مذكوران في الحديث الذي ذكره ابن ذكرى على البخاري ولفظ ذلك الحديث: "أوحى إلي ربي ثلاثة علوم فعلم أمرني بكتمانه، وعلم أمرني بتبليغه للخواص، وعلم أمرني بتبليغه لجميع الخلق فأخذ من مجموع الحديثين أن العلوم خمسة:

✓الأولى: علم أمره الله بكتمه وهذا مذكور في الحديثين معا.

✓والثاني علم أمره الله بتبليغه لجميع الناس وهذا أيضا مذكور في الحديثين معا.

✓والثالث، والرابع علم أمره الله بتبليغه للخصوص فإن فيه كما ذكره بعض المفسرين قسمين ما هو للخواص وهو المعارف الإلهية وما هو لأخص الخواص وهو الحقائق الوهبية والعلوم الذوقية وهذان مذكوران في الحديث الذي عند ابن ذكرى فقط

✓الخامس علم خيّره الله فيه وهذا مذكور في حديث ابن سبع فقط" رواه ابن سبع عن ابن عباس

وروى أيضا عن علي كرم الله وجهه وزاد علي كرم الله وجهه فكان يشير إلى أبي بكر وعمر وعثمان وإليّ ما خيّر فيه"

ذكره القسطلاني في المواهب وسلمه الزرقاني فقول الباجوري هنا بعد نقله لكن لم يوفق على أصل ذلك في كتب الحديث قصورا. اهـ

ومن المخيّر فيه العلم الذي كان أراد أن يذكره للصحابة عند مرض موته فلما اختلفوا عنده قال قوموا عني وابن سبع بفتح السين وسكون الباء كما عند الزرقاني على المواهب. اهـ لعل ذلك المنكر لم يطلع على هذين الحديثين ومن أطلعهما وفهمهما وكان منصفا لا يدعي على شيخنا رضي الله تعالى عنه نسبة رسول الله ﷺ إلى الكتمان مع وضوح البراهين في نفي التنقيص عن كتمان بعض الأمور والله الموفق للصواب. اهـ

وعن إمامنا مالك جالست ابن هرمزست عشرة سنة في علم لم أبثه لأحد. اهـ

وفي قواعد التصوف لسيدنا زرّوه أيضا ولله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول إذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستعبد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين. نعوذ بالله من حسد يسدّ باب الإنصاف ويصد عن جميل الأوصاف وهو عجيب. اهـ وإلى ما سبق أشار شيخنا محنض بابه بقوله رضي الله تعالى عنه:

ونسبوا لشيخنا التجاني أن نسب الرسول للكتمان
لجهلهم ورود هذا الورد في نص الآيات بغير ردّ

ومنهم من أنكر جوهرة الكمال بكليتها لجهل نصوص القوم بأنه يجوز للأولياء الأخذ منه بعد منامه ﷺ أذكارا وأسرارا كسيدنا الشاذلي رضي الله تعالى عنه في أخذ حزب البحر وغيره راجع شرح سيدنا زروق على حزب البحر. اهـ

وفي شهية السماع مع شرحها كشف القناع لعلي بن محمد العبادي رحمه الله تعالى ومنه أي من الأدب الفرار من الإنكار على أي شيء ابتدعه المسلمون من العلماء على وجه القربة إلى الله ولم يخالف مشروعا نحو الذكر أمام الجنازة واتخاذ السبحة ومجالس الوعظ وفي كلام سيدي علي الخواص الإنكار على ما ابتدعه السلف الصالح من الجهل، ففي الحديث:

((من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)) فأباح ﷺ أن يبتدعوا كلما رأوه حسنا وما سكت عنه فله فعله ولا حرج ثم يثاب عليه ولكن ثوابا دون ثواب ما سنه الشارع فعلم أن كلما ابتدع على هذا الوجه وليس من البدعة المذمومة في الشرع ولو كان كلما سكت الشارع عنه مذموما لتعدى ذلك إلى مذهب المجتهدين ولا قائل به إلى أن قال. ولما اعترض بعض الفقهاء على الشيخ أبي الحسن الشاذلي في ابتداع حزبه المسمى بحزب البحر قال: والله لقد أخذته من في رسول الله ﷺ حرفا بحرف. اهـ

ومن ذلك تلقى سيدنا البوصيري من قصيدته البردة شطر بيت عن سيد الوجود ﷺ لأنه رضي الله عنه لما أتمها أنشدها أي قرأها عليه عليه السلام ولما جاء إلى قوله: فمبلغ العلم فيه أنه بشر، وقف الإمام فيه فقال عليه السلام اقرأ فقال الإمام لم أوفق للمصراع الثاني لهذا البيت يا رسول الله فقال عليه السلام قل يا إمام: وأنه خير خلق الله كلهم. فأدرج الإمام هذا المصراع الذي قرأه عليه السلام في صلاته وهي: مولاي صل وسلم دائما أبدا الخ. وكرره في آخر كل بيت لشدة حرصه وكمال محبته للنبي ﷺ. كذا ذكره في شرح هذه القصيدة المسمى بالشفا وفي عصيدة الشهدة بشرح قصيدة البردة ذكر ستة أبيات تمايل فيها ﷺ حين قرأها

الإمام في رؤياه عليه السلام وأولها: ((فكيف تنكر حبا)) الخ راجع الشرح المذكور. اهـ

وقال سيدنا العياشي في شرح وظيفة زروق وتسمى سفينة النجاة لمن التجا إلى الله أخذت هذه التسمية من الخطاب المذكور وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة لسيدنا زروق ما سميتها قال: ما سميتها شيئا قال سمّها سفينة النجاة لمن التجا إلى الله وذكر الإمام الحطاب قصة عظيمة خاطب رسول الله ﷺ فيها مؤلفها مشافهة في الروضة الشريفة إلى آخر كلامه. اهـ

يظن ذلك المنكر أنها زائدة على الدين المكمل بالفتح مستدلا بقوله تبارك وتعالى: ((اليوم أكملت لكم دينكم)) الآية قلت بأي دليل تخرجها من جنسها هل قال الله لك وعين لك صلاة مخصوصة بقوله تبارك وتعالى ((صلوا عليه)) أو أتاك حديث صحيح بأن النبي ﷺ قصد في قوله: ((من صلى علي)) الصلاة الفلانية قد ظهر لك أن استدلالك بالآية الكريمة باطل وأن الصلاة من جملة المكمل لا من الزائد لدخولها تحت الأمر سلم تسلم وبخروجها يخرج جميع ما ألف من الصلاة على النبي ﷺ بعد منامه وذلك لايقوله أحد ولو كان مجنونا يا أيها الأخ استرشد ترشد ولا تنكر ما لم تعلم تفند قال سيدنا محنض بابه المذكور أيضا:

وأنكروا جوهرة الكمال ... لوصف هذا الدين بالإكمال

وجهلوا شمول الأمر بالصلاه ... على النبي بكل صيغة صلاه

ولم تزل أقطاب الأولياء ... تأخذ عن إمام الأنبياء

بعد منامه علوم السر ... كالشاذلي في أخذ حزب البحر

ومنهم من أنكر بعض ألفاظ الجوهرة كالأسقم قائلا: إن الأسقم من السقم الذي هو المرض فلا يجوز إطلاقه على النبي ﷺ وظن أنها من الكلمات الموهمات وإن تعجب فعجب إنكارك واستغرابك وصف أشد الناس حبا لمولانا الكريم بالسقم ولم تستغرب وصف سيدنا يعقوب على نبينا وعليه السلام بالحرص والهلاك من حب المخلوق ولا وصف الأولياء بالفناء والسحق والمحق والاصطلام من حب مولاهم ولا العرب بالجنون والتتيم وغيرهما من حب الغواني راجع أشعارهم. اهـ وفي تفسير سيدنا الفخر الرازي عند قوله تبارك وتعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ)) إلخ.

وروي أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر وقد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم إلى ما أراه فقالوا: الخوف من النار فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف ثم تركهم إلى ثلاثة آخرين فإذاهم أشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم إلى هذا المقام؟ قالوا الشوق إلى الجنة فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم تركهم إلى ثلاثة نفر آخرين فإذا هم أشد نحولا وتغيرا كأن وجوههم المرايا من النور فقال: كيف بلغتم إلى هذه الدرجة؟ فقالوا: نحب الله. فقال عليه السلام أنتم المقربون إلى الله يوم القيامة. اهـ لعلك لم تبلغك أحاديث الجامع ((الصغير يبتلى الرجل بحسب دينه))، وحديث ((أشدكم بلاء)) الأنبياء إلخ وقوله ﷺ إني أوعك أي يصيبني الوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل أمها وقيل تعبها وقيل أرعادها الموعوك وتحريكها إياه وعن الأصمعي الوعك الحر فإن كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها والحاصل أنه أثبت أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر كما يوعك رجلان منكم وسائر الأنبياء مثله في ذلك رواه أحمد بن حنبل في مسنده ومسلم عن ابن مسعود رضي

الله تعالى عنه. من الجامع وشرحه السراج المنير للعزيزي قال البوصيري رضي الله تعالى عنه:

لا تخل جانب النبي مضاما حين مسته منهم أسواء
كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاء

أو لم تطلع على ديوان سلطان العاشقين سيدنا عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه أو أطلعته ولم تبلغ درجتك فهم مقاصد القوم فإذا سكوتك أولى وأسلم من الإنكار.

والحق أنه ﷺ شارك الأنبياء في جميع ما يوصفون به من البلاء والحب وغير ذلك في مقامه المحمدي واختص عنهم في مقامه الأحمدي ما لا يدركه وصف الواصفين ولذا قال الإمام البوصيري: أعيا الورى فهم معناه.إلخ إلى أن قال: ((فمبلغ العلم فيه أنه بشر)) إلخ

وبما قررنا تعلم إن كنت سليم العقل منصفا أن وصفه ﷺ بأفعل التفضيل من السقم لا عيب فيه ولا إنكار ولا إيهام سواء نظرنا إلى جهة الحب الذي من عدول شهدائه الدمع والسقم قال سيدنا البوصيري أيضا: فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت. أي دلت إلخ أو إلى جهة البلاء لأنه يكابد من البلاء ما لا يكابده أحد من الأنبياء ألا ترى أنه عليه السلام كان حين فتر الوحي يصعد على رؤوس الجبال يريد إلقاء نفسه إلى الأرض من ضيق القلب ولنا آيات شاهدة على ذلك تحولنا عنها إرادة الإختصار وإن كنت ممن يقبل خصوصه بالمقام الأحمدي وممن يفهم حقيقة مدح ربنا تبارك وتعالى له في قوله جل وعلا: ((وإنك لعلى خلق عظيم))

وأن الحقيقة المحمدية وما اشتملت عليه لا يعرف كنهها إلا الله تبارك وتعالى كما تقدم. اهـ قال سيدنا مولود في نونيته المديحية:

روى السيوطي في كبرى الخصائص عن طه عن الروح عن ذي العرش سبحانه
لا يعرف الله إلا الله جل كما لا يعرف المصطفى إلا ه عرفانه

فلا تستبعد ما لايدركه فهمي ولا فهمك من كلام الأولياء في حقه عليه السلام لأنهم يخوضون في بحور الحقائق ويدركون فيها ما لا يدركه العقل وفي هذه الورطة تعلم أن لا سلامة لأحد من الخلق إذ لو أمكن ذلك لا ينكر كلام بحر تيار صدر منه وصف سيد الوجود ﷺ بما قرر في الشرع جواز اتصاف الأنبياء به بحيث لو قصد ذلك فرضا لأن جواز الأعراض البشرية عليهم كالمرض الذي لا يؤدي إلى نقص عليهم السلام متفق عليه. بدليل التواتر قال سيدنا ابن عاشر :

يجوز في حقهم كل عرض ليس مؤديا لنقص كالمرض

إلى أن قال:

جواز الأعراض عليهم حجته وقوعها بهم تسل حكمته

وبما قلنا تعرف أن تفسير لفظة الأسقم بمعناه الحقيقي لا يوجب التنقيص في حقه عليه السلام إذا وصف به إلا أن الشيخ رضي الله تعالى عنه فسره بما لا يبعد أن يقال فيه إنه من ذكر الملزوم مرادا به اللازم لأن المرض من لازمه الاستقامة غالبا إذا كان لحب الله " اللهم اجعلنا من أحبائك الخاصة" نقول أيضا: إن لم تقنع بهذه الجرعة الشافية والحجة الواضحة إنه يجوز على قول من قال أن اللغة العربية اصطلاحية أن يطلق الأسقم بمعنى المستقيم المعتدل في الاستقامة بلا اعوجاج كذا فسره الشيخ رضي الله تعالى عنه. اهـ

وفي نشر البنود على مراقي السعود عند قول الناظم:

واللغة الرب لها قدو ضعا وعزوها للاصطلاح سمعا

إلخ يعني أن الخلاف في اللغة هل هي توقيفية أو اصطلاحية من فوائده جواز قلب اللغة كتسمية الثوب فرسا إلى أن قال ينبني عليه لزوم الطلاق أيضا بك اسقني الماء ونحوه وهذا هو الصحيح عند مذهب مالك رضي الله تعالى عنه. اهـ

ولعل المنكر لم يعلم أنه ليس تعبدنا بالألفاظ بل بالمعاني. اهـ

في حاشية سيدنا العدوي على الكفاية على الرسالة لابن أبي زيد عند قول المصنف: الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان إلخ فإن قلت في القرآن بدا فلم عدل المصنف عنه قلنا ليس تعبدنا بالألفاظ وإنما هو بالمعاني. اهـ

ويجوز إطلاق لفظة الأسقم على نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا في تأويلات قوله تعالى: ((إني سقيم)) أي مريض القلب بإطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى لمحمد ﷺ: ((فلعلك باخع نفسك)). قلت فمن إرادة باخع نفسه يجوز اطلاق لفظة الأسقم أيضا وفي روح البيان أيضا قال ابن عطاء إني سقيم من مخالفتكم وعبادتكم الأصنام أو بصدد الموت فإن من عنفه الموت سقيم. اهـ وإن كان سقمه من كفرهم فالنبي ﷺ أسقم لأن قومه أشد كفرا كما قال تبارك وتعالى: ((الأعراب أشد كفرا ونفاقا)). اهـ وما قلت في اللفظة قال بها القطب المكتوم والبرزخ المختوم هكذا سمعته عن لفظة رسول الله ﷺ أو كما قال فلا مجال للعقل فيه إذا. اهـ وفي تعطير النواحي بترجمة سيدنا إبراهيم الرياحي تنبيه: سألت شيخنا المذكور أي سيدنا علي حرازم عن الأسقم المذكور في الصلاة المذكورة فقلت له إني استثقلتها أعني أن معناه في اللغة الأشد سقما وليس ذلك المراد وإنما

المراد الأشد استقامة، فأجاب بأن الناس سألوا سيدي أحمد عن ذلك فقال: ذلـــك لفظ النبي ﷺ الذي أملى تلك الصلاة عليّ فلا مجال لأحد في ذلك. اهـــ وإنمـــا ارتكبنا على الإتيان هذه الدلائل والتأويلات كي لا يقع ويوقع الفراش على النار فهلك وأهلك. اهـــ وأما من فتح الله بصيرته وتحقق عنده أن الصلاة من إمـــلاء سيد الوجود ﷺ ولو لم يفسرها بمعنى يليق بالمحل ولم يقل هكذا سمعته مـــن لفظـــة رسول الله ﷺ كما تقدم من تفسير الشيخ رضي الله تعالى عنه أي المستقيم المعتدل إلخ فلا يحتاج إلى تأويل ولا دليل كما سيأتي في قول سيدنا محمد بن المشري رضي الله تعالى عنه لأن كلما ثبت أنه نبع من عين الحضرة النبوية فلا محل للبحث والتفتيش فيه اللهم إلا عند المتغالين في الدين ألا ترى أن القرآن مشحون بكلمـــات لا يجـــوز إطلاق ظاهرها على الله تعالى إلا بتأويل كالمتأخرين أو بتفويض الأمر إلى الله ومعرفـــة ما يليق به تبارك وتعالى كالمتقدمين أعاذنا الله من الغرور والاغترار. اهـــ

وقال سيدنا محمد بن المشري رضي الله تعالى عنه في جامعـــه عنـــد شـــرح جوهرة الكمال بعد ما فسر الأسقم بما تقدم إعترض بعض المنتقدين هذه اللفظـــة وهو يزعم أنه من فرسان فن العربية إما جهلا منه ببناء الأفعال أو تلبيسا على من لا علم له بالعربية ليشوش فكره وهو غير مصيب إلى أن قال وذكرت هذا لمن لا اعتقاد له في القدوة ويطلب الجواب من الأوراق ويقف عندها. وأما من رزقه الله التسليم والاعتقاد في أولياء الله مع سماعه أن هذه الصلاة التي من جملتـــها هـــذه اللفظة وهي الأسقم إنها من تأليفه صلى الله عليه وسلم لا من كلام قدوتنا فـــإذا سلم هذا فلم يبق إلا مد العنق لأنه أفصح الفصحاء على الإطلاق صلى الله عليه وسلم وفيه كفاية لمن أنصف والسلام.اهـــ

وفي الجيش الكفيل ومن المقرر كل ما صدر من أمثاله رضي الله تعالى عنه من الأولياء من المبهمات والموهمات يسأل عنه صاحبه فإن بيّنه بوجه يقبل قبل منه وإن لم يوجد فما وجد له محمل حسن حمل عليه وليس صوفي أولى من فقيه ولا فقيه أولى من صوفي بل الصوفي أولى بالعذر لضيق عبارته غالبا عن الإحاطة بمراده. اهـ

انظر قواعد زروق ولعل هذا المنكر يحتج بقول من قال لا يؤول إلا كلام المعصوم وقد قال المناوي هذا القول وإن جل قائله غير معتبر كيف وقد ملأ ذلك القائل كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه واعتنى بأن يجمع بين الكلامين المتناقضين وتنْزيل الخلاف على حالين متغايرين وقال في ترجمة الشيخ محي الدين وأقول ما احتج به المنكرون عليه إنه لا يؤول إلا كلام المعصوم ويرده قول الإمام النووي في بستان العارفين إنه يجب تأويل أفعال الأولياء التي قد ينكر ظاهرها قال المناوي إذ وجب تأويل أفعالهم وجب تأويل أقوالهم إذ لا فرق. اهـ بنقل المسناوي وقال ابن زكرى وفي الرسالة القدسي للشعراني والعجب ممن يؤول كلام الحق تعالى مع كماله ولا يؤول كلام البشر مع عجزه ونقصه إلى أن قال فإن قلت هذا المعنى الذي فسره به غير مناسب لحروف اللفظ قلنا من المقرر عند أهل الصناعة النحوية إجراء المزيد فيه مجرى الأصل والعكس ومن المقرر عندهم أيضا أنه إذا دار الإختلال بين أن يكون في اللفظ أو في المعنى كان في اللفظ أولى لأن المعنى أعظم حرمة إذ اللفظ خادم للمعنى بل إنما أوتي باللفظ من جهته انظر كتاب الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي. اهـ

ومنهم من أنكر المطلسم قائلا إن نعت نور النبي صلى الله عليه وسلم بالمطلسم لا يجوز ظنا أنه من طلسم الرجل إذا كره وجهه وقطبه أو غير ذلك مما لا يجوز إطلاقه على النور ولم يدر أن المطلسم كما في تاج العروس السر المكتوم

وقد كثر استعمال الصوفية في كلامهم فيقولون سر مطلسم وحجاب مطلسم وذات مطلسم والجمع الطلاسم. اهـ

وفي الجيش الكفيل أيضا أن هذه الكلمة نقلها من المصباح الشيخ سيدي محمد الكنتي رحمه الله في شرحه للصلاة الدرعية أو اليوسية على الخلاف في نسبتها اللهم صل على طلعة الذات المطلسم حيث قال في المصباح طسم الشيء وطلسمه بزيادة اللام للتأكيد أخفاه وستره. اهـ

قال محمد العاقب الجكني في كتابه كشف العمى على الرسم

أنفاسه للنفس لا تنسم وستره عن الورى مطلسم

أي مخفي مستور. اهـ

قلت وربما اعترض الضال المضل على منع شيخنا قراءة جوهرة الكمال بغير طهارة مائية بقياس فاسد يقول كيف يمنع ذلك والصلاة أعظم منه حرمة وجازت لعذر بالتيمم. قلت قلة المعرفة أدخلته على ذلك القياس الفاسد لأن جوهرة الكمال لها بدل ولا يلزم من تركها شيء إلا من بايع في الطريقة والتزم شروطها فلا يخفى ما قال سيدنا في أمره رضي الله تعالى عنه والصلاة ليس لها بدل ويلزم من تركها إباحة دم تاركها لو علم المعترض شيئا من علم الأسرار وخواصها لا يستغرب ذلك لأن بعض الأسرار يشترط له الصيام وعدم أكل الحيوان وما يخرج منه في تلك المدة فمن أراد قياس الجوهرة فليقسها على ذلك لأنّها نوع من الأسرار فاشتراط الوضوء أخف من الصيام فافهم وآت البيت من الباب قال تعالى: (وآتوا البيوت من أبوابها). اهـ وفي حاشية الشيخ أحمد الصاوي على الجلالين فائدة:

قد تلقينا عن الصالحين فوائد في استعمال هذه السورة أي سورة الـذاريات العظيمة كلها مجربة منها استعمالها إحدى وأربعين مرة على وضوء في مجلس واحد لتفريج السجن وقضاء الدين وتيسير الرزق والإنتصار على الخصم والأمن من كل هول دنيا وأخرى واستعمالها ستين مرة عدد آياتها أبلغ في تلك المطالب. اهـ

ومنهم من أنكر نشر الثوب لتعظيمه وحضوره صلى الله عليه وسلم عند قراءة جوهرة الكمال وذلك أمر هين ومعروف لا يحتاج إلى الإنكار. اهـ انظر ترجمة الموطإ للإمام مالك رضي الله تعالى عنه من التعظيم وكان شديد التعظيم لرواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأهل جانبه الشريف إذا جاء الناس بابه تخرج الجارية تقول يقول لكم الشيخ أتريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج كما هو وإن قالوا الحديث اغتسل وتطيب وسرح لحيته ولبس ثيابا جُدُدا وألقى الرداء على رأسه وتوضع له منصبة فيخرج وعليه الخشوع فيجلس عليها ويمنع الناس أن يرفعوا أصواتهم. اهـ

قال في الإحياء وهذا الإحترام والتوقير يدل عل قوة معرفته بجلال الله تعالى.اهـ ولا يزال يتبخر بالعود إلخ

قلت وبهذا تعلم أن إنكار التعظيم من نشر الثوب ونحوه في مجالس الذكر جهل لأنها لا تخلوا من الملائكة ومن مومني الحي غالبا راجع كتب الأذكار. اهـ

وأما إمكان حضوره صلى الله عليه وسلم في مجلس من مجالس الخير فلا ينكره إلا من جهل حصول ذلك لكثير من الفضلاء وقال سيدنا محمد بن جعفر بن إدريس في كتابه سلوة الأنفاس وما يقال من حضور النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء هنالك لا تبعد صحته سيما وقد أخبر به من ثبتت ولا يته واتضحت عنايته في غير ما موطن من مواطن الأولياء كمولد مولانا إدريس رضي

الله تعالى عنه وأضرابه وقد ذكر غير واحد من الأكابر أن أولياء الله من البحر المحيط وسائر الجبال والبلاد يحضرون مولد القطب الشريف الحسني أبي العباس سيدي أحمد بن علي البدوي دفين طنطا بأعلى النيل المتوفي سنة خمس وسبعين وستمأئة وولد بفاس وفي ذلك يقول الشيخ أبو الفيض حمدون بن الحاج في ميميته:

مازال مولده تبدو عجائبه لمن يسير له من بعد أو أمم
وكيف لا ورسول الله يحضره والأنبياء وماهم من الرجم

وفي الطبقات أن شخصا أنكر حضور مولده يعني تعنتا وتكبرا واستهانة... فسلب الإيمان لوقته ولم يعد إليه حتى استغاث به وتاب من ذلك ولا بدع في هذا لأن النبي صلى الله عليه وسلم له تعلق معنوي ومراقبة وروحانية لأمته في سائر شؤوهم وتقلباقم رحمة منه لهم ورأفة بهم ولا يمنعه من ذلك كما ذكره الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته مع بعض شؤونهم...قد يلابسها ويخالطها خلاف المشروع لأنه صلى الله عليه وسلم كان معهم في حياته وهم على هذا الحال فيهم المسيء والمحسن والطائع والعاصي بل والمؤمن والمنافق فيعلم جاهلهم ويرشد ضالهم ورفق بالعاصي والمنافق حتى ينقاد ولم تحمله إساءقم ولا عصيان بعضهم ونفاقه على مفارقتهم والتخلي عنهم إذ لو فعل لعوجل المسيء منهم بالهلاك وخذل المطيع في طاعته ولم يبال الله بهم بالة فكذلك هو صلى الله عليه وسلم معهم بعد موته على هذا الحال ولذلك قال: حياتي خير لكم وموتي خير لكم قال في الرحلة المذكورة وتفهم من هذا ما يحصل من الاجتماع العظيم في محل بعض الصالحين واشتماله على بعض المناكر ومع ذلك يحضره الأولياء وأرباب القلوب من الصالحين فيشاهدون حصول مدده صلى الله عليه وسلم لكل زائر وسريان سره في كل

حاضر وذلك كمولد سيدي أحمد البدوي بمصر ومولد الإمام الشافعي وعند سيدي أبي مدين وسيدي أبي يعزّى وسيدي أبي العباس السبتي بأرض المغرب وعند مولاي عبد السلام بن مشيش يوم مولد النبوي وغير ذلك من الأماكن الشهيرة المنسوبة لكثير من الأولياء شرقا وغربا فقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في كثير من تآليفه عن جماعة من أهل الكشف أنهم يشاهدون النبي صلى الله عليه وسلم في مولد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وأنه يحضره كل سنة مع اشتماله على أمور كثيرة لا تنبغي. اهـ

وانظر أيضا الطبقات للشعراني وكذلك عهود المشائخ له والله أعلم. اهـ المراد منه بلفظه ومن ذلك ما في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للشيخ العالم الصالح الفاضل المولى محمد المحي كذا رأيته ولم أتحقق ضبطه في ترجمة سيدي إبراهيم اللقاني قال ومما اتفق له أن الشيخ العلامة حجازي الواعظ وقف يوما على درسه فقال له صاحب الترجمة تذهبون أو تجلسون فقال اصبر ساعة ثم ساعة ثم قال والله يا إبراهيم لا وقفت على درسك إلا وقد رأيت رسول صلى الله عليه وسلم واقفا عليه وهو يسمعك حتى ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال سيد محمد عبد السلام الشارح المولد الذي ألفه الشهير محمد عثمان الميرغني في ترجمه أي ذلك الشيخ وله صلوات كثيرة أشهرها المسماة بفتح الرسول وقد جرّبت لقضاء الحوائج وتفريج الكروب وخصوصا المولد الجليل الذي بشره المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضوره في قراءته وإجابة الدعاء عند ختمه وقد ذكر أن الأستاذ رضي الله عنه كان ذات يوم يقرأ هذا المولد الشريف مع جمع من الإخوان فلما وصل إلى محل ذكر الوضع قام رضي الله عنه وأنشأ يقول مرحبا بالمصطفى إلى آخر القصيدة وبعد الفراغ من تلاوة المولد المذكور

سأله بعض الحاضرين عن سبب هذه القصيدة فقال رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم قد حضر فجعلتها تحية لقدومه صلى الله عليه وسلم ولا غرو فإنه كان رضي الله عنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويأخذ عنه العلوم والمعارف كما صرح بذلك رضي الله عنه في كثير من كلامه ومن أراد القصيدة المذكورة فليطالع آخر المولد قوله الميرغني لقب به جده الأعلى لكثرة كرمه وغنى نفسه وشيمه ولقب به أولاده من بعده ولكن لم أر ضبطه. اهـ

وفي خاتمة (١) شرح سيدنا جسوس على الفقهية الفاسية وقد ذكر الحافظ الجلال السيوطي في تنوير الحلك وفي بعض المجامع حج سيدنا أحمد الرّفاعي فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عنّي وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت يده الشريفة من القبر الشريف فقبلها.اهـ قلت وإذا مكن للولي المتحقق في ولايته من التصور في صورة عديدة إلخ فالأنبياء من باب أحرى كما سيأتي فلو علم المنكر هذا لا ينكر حضوره صلى الله عليه وسلم في مجلس الوظيفة كما قاله شيخنا رضي الله عنه لأنه عليه الصلاة والسلام حيّ في قبره كسائر الأنبياء عند العلماء المتحققين وإن أغربت ذلك قلنا ألم تكن الشهداء أحياء كما في الآية الكريمة فافهم وانصف. اهـ ومنهم من أنكر قول الشيخ في الحضور فقد أنكر الصوفية في إثباتهم عالما متوسطا بين عالم الأرواح وعالم الأجساد سموه عالم

وفي نسخة: (١) حشية

المثال وبه يكون التصور والتشكل والتطور راجع كتبهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين وسلم تسلم.

وفي حاشية بن زكرى على البخاري عند قوله ((وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا)) بعد كلام قال اليافعي في كفاية المعتقد ونكاية المنتقد إنما سمي الأبدال أبدالا لأنهم إذا غابوا تبدل في مكانهم صور روحانية تخلفهم قال وينبني على ذلك ما حكي عن الشيخ مفرج الدماميني من أنه رآه بعض أصحابه يوم عرفة بعرفة ورآه آخر في مكانه في زاويته بدمامين لم يفارقه في جميع ذلك اليوم فلما رجع الحاج ذكر كل واحد منها لصاحبه فتنازعا في ذلك وحلف كل بالطلاق فاختصما إليه فأقرّهما وأبقى كلا على الزوجية قال الجليل الشهير صفي الدين بن أبي المنصور رضي الله تعالى عنه فسألت الشيخ مفرجا المذكور رضي الله تعالى عنه عن حكمه في هذه القضية بعدم حنث الاثنين مع كون صدق أحدهما يوجب حنث الآخر وكان معنا في وقت سؤالنا رجال معتبرون لهم معرفة بالعلم فقال لنا الشيخ قولوا فتحدث كل منهم بوجه غير مقنع وكانت المسألة قد اتضحت لي وأشار الشيخ إلَيَّ بإيضاحها فقلت الولي إذا تحقق في ولايته مكن من التصور في صور عديدة وتظهر على روحانيته في وقت واحد في جهات متعدد ويعطي التطور في الأطوار والتلبس في الصور على حكم إرادته فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعرفة حق والصورة التي رآها الآخر مكانه في ذلك الوقت حق وكل منهما صادق في يمينه فقال الشيخ مفرج هذا هو الصحيح. اهـ

وقال الشيخ بن معيزل (١) ووقعت هذه المسألة أيضا بعينها في زمان شيخ الإسلام شرف الدين البازي فأفتى فيها بعدم الطلاق على كل منهما. اهـ المراد

وفي نسخة: (١) مغزل

منه بلفظه وفي فرائد الفوائد لسيدنا محمد اليدالي في الفصل الثاني في ثبوت الكرامة بعد ما قدم ما حاصله أن من الكرامة رؤية الأولياء النبي صلى الله عليه وسلم يقظة والتلقي منه وإن من رأى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنما رأى مثاله لا حقيقته ثم رأيت ابن العربي صرح بما ذكرته من أنه لا يمتنع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده لأنه وسائر الأنبياء ردت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصريف في الملكوت العلوي والسفلي ولا مانع من أن يراه كثيرون في وقت واحد لأنه واحد كالشمس وإذا كان القطب يملأ الكون كما قال ابن عطاء الله فما بالك بالنبي صلى الله عليه وسلم. اهـ

وفي خاتمة الفواكه الدّواني في مسائل يعدها ومنها يجوز رؤيته عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام باتفاق الحفّاظ وإنما اختلفوا هل يرى الرائي ذاته الشريفة حقيقة أو يرى مثالا يحكيها فذهب إلى الأولى الجماعة (١) وذهب إلى الثاني الغزالي والقرافي واليافعي وآخرون واحتج الأولون بأنه سراج الهداية ونور الهدى وشمس المعارف كما يرى النور والسراج والشمس من بعد والمرئي جرم الشمس بإعراضي فكذلك البدر الشريف فلا تفارق ذاته القبر الشريف ولكن يخرق الله الحجب للرائي ويزيل الموانع حتى يراه كل راء ولو من المشرق والمغرب وتجعل والحجب شفافة لا تحجب ما وراءها والذي جزم به القرافي أن رؤياه مناما إدراك بجزء لم تحله آفة النوم من القلب فهو بعين البصيرة لا بعين البصر بدليل أنه قد يراه الأعمى وقد نص ابن جمزة وجماعة أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وروي (من رآني مناما فسيراني يقظة)ومنكر ذلك محروم لأنه إن كان مما يكذب بكرامات الأولياء فالبحث معه ساقط في تكذيبه ما أثبتته السنة أشار إلى جميع ذلك شيخ

وفي نسخة (١) جماعة

مشائخنا اللقاني في شرح جوهرة التوحيد. اهـ وقال أيضا أي سيدنا محنض بابه:

وأنكروا كون الثياب تنشر ... لأجل تعظيم النبي إذ يحضر

وأنكروا كون النبي يحصر ... صلاتنا لأجل علم يقصر

وقد نشر الصديق للملائك ... ذكر ذاك صاحب الحبائك

وصافح السيوطي عند القاهره ... بيده يد النبي الطاهره

ومع ذا فأبلغ التعظيم ... من اكتفى بالظن والتوهيم

ولم يقل لو جاءنا يقينا ... لكنت أفرش له الجبينا

ومنهم من أنكر الجهر والاجتماع للذكر وهو معروف عند جميع البلدان والأحاديث متضافرة على ذلك. انتهى وفي البخاري باب جواز الحلق للعلم وقراءة القرآن والذكر. وغير ذلك من الأحاديث الواردة في جواز الجمع للذكر والجهر به. اهـ

وفي حاشية البخاري لسيدنا كنون في باب رفع الصوت بعد ما قدم أن مشهور مذهبنا الكراهة وكره رفع صوت بمسجد بقرآن أو علم أو ذكر إلى أن قال: قال الأبي والمراد بالرفع ما زاد على قدر إسماع المخاطب وفرق غير مالك بين ما يتعلق بأمر ديني أو نفع أمر دنيوي وبين ما لا فائدة فيه وروي عن مالك كما في ابن حجر وبه العمل في الذكر والتلاوة كما قال ناظمه:

والذكر مع تلاوة القرآن ... جماعة شاع مدى الأزمان

وكأنه مذهب المصنف لجمعه بين حديث عمل الدال على المنع وبين حديث كعب الدال على عدمه.

وفي الجامع الصغير لسيدنا السيوطي بإسناد حسن: لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل. ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلَيّ من أن أعتق أربعة.اهـ وقال الشارح لأن أقعد بفتح الهمزة واللام للقسم وأعتق بضم الهمزة وكسر التاء وفيه فضيلة الذكر جماعة بعد صلاة العصر وظاهر الحديث أن الفضيلة تحصل لمن جلس مع الذاكرين وإن لم يذكر لأن الإستماع قائم مقام الذكر وهم القوم لا يشقى جليسهم.اهـ راجع الشرح وفي حديث الطبراني: ((لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده)). وقالوا أول ما تنْزل عليه الرحمة على مجالس الذكر. والصوفية عملهم جار عليه قال صاحب التكميل والمعتمد:

كذا دعا الإمام والجماعه ... إثر الصلاة قربة وطاعه

وكل داع عند ختمه الدعا ... يمسح وجهه بكفيه معا

قال الشارح قال ابن ناجي بعد ما ذكر كراهة مالك خوف الرياء والعمل عندنا بإفريقيا على جواز ذلك لأنها بدعة مستحسنة لورود الدعاء من حيث الجملة ومع جري العادة ينتفي الرياء أيضا:

وجاز أن يجتمع القرى على ... كالحزب يقرؤونه مرتّلا

قال الشارح قال ابن ناجي ((واستمر على الجواز لحديث: هم القوم لا يشقى جليسهم)) وقال الشيخ محنض بابه أيضا:

وأنكروا الجهر والاجتماعا ... لذكر وهو جائز اجماعا

جرى على ذلك مذ أعصار ... شرقا وغربا عمل الأمصار

ووقـــع الإجمـــاع بعـــد الخلـــف فيـــه فجـــاز اليـــوم دون خلـــف
قـــد وزنـــوا أحكـــامهم بـــالطبع ولا يـــرون وزنهـــا بالشـــرع
فكلمـــا لآدم طـــبعهم فحـــق فمـــا يخـــالف فبالباطـــل زهـــق

وقال سيدنا محمد بن الحاج في مواهب القدسية في قراءة العـارف الربـاني سيدي عبد العزيز بن الحارث التميمي المعشرات التي جمعها في داره مع تلاميـذه بصوت واحد جهرا وإن كانت القراءة هكذا بدعة لكن مستحسنة راجع المواهب إن شئت فيها المعشرات. وقال صاحب المنهج المنتخب:

تنبيـــه: اعلـــم في الـــدعآ تـــردد إثـــر الصـــلاة باجتمـــاع يوجـــد
وقيـــل إن لهـــا أضـــيف منعـــا وحســـنه إن لم يضـــف قـــد سمعـــا

قال الشارح سيدنا محمد الأمين في شرح هذين البيتين وحاصل ما شرح بـه أنه تردد العلماء بالدعاء دبر الصلوات والناس يؤمنون كما هي عادة النـاس في البلاد وقيل بدعة مستحسنة مطلقا وقيل بدعة قبيحة مطلقا ثالثها أن إيقاعهـا إن كان على نية أنه من سنن الصلاة وفضائلها فهو غير جائز وإن كان مع السـلامة من ذلك فهو باق على حكم أصل الدعاء والدعاء عبادة فضلها مـن الشـريعة معلوم عظمه وهكذا التفصيل لابن عرفة رحمه الله تعالى وبالله التوفيق. اهـ

قال سيدنا المنجوري في شرح هذا المحل أيضا فإن صح أن السلف لم يعملوا به فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم مما هو جائز كجمع المصحف ثم نقطه وشكله وغير ذلك إلى أن قال: قال سيدنا عمر بن عبد العزيز تحدث الناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور وكذلك يحدث لهم ترغيبات بقدر ما أحـدثوا مـن

الفتور وجاء آفة العبادة الفترة وفي القرآن: (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال القاضي العميري على قول ابن عباس الفاسي:

والذكر مع قراءة الأحزاب جماعة شاع مدى الأحقاب

وقال الشيخ الفقيه سيدي أحمد بن يوسف الفاسي الفهري نسبا في ورقات جمعها لجواز الجمع للذكر اعلموا وفقنا الله وإياكم أن الذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها المتحققين بقواعد الشرعية وفروعها واتفق عليه الصوفية وكافة أهل الأقطار في متأخر هذه الأعصار ومضى به العمل ولم يزل معروفا جواز الجهر بالذكر واستحبابه وندبه وكذلك الجمع له ومن دلائله ما أخرجه أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه)). الحديث

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن معاذ بن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله وجل ذكره: لا يذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في ملإ ولا يذكرني في ملإ إلا ذكرته في الملإ الأعلى.

وأخرج البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا وإن ذكرتني في ملإ ذكرتك في ملإ خير من الذي تذكرني فيه)). إلى آخر ما أتى من الدلائل. اهـ

قال سيدنا محمد أبو بكر بن محمد بناني في كتابه مدراج السلوك الاجتماع بالذكر بالكيفية المعروفة عند الفقراء من التحليق والاهتزاز وغير ذلك هو أمر مقرر بلغ فعله حد التواتر شرقا وغربا بحيث لو كان الإجماع يطلق على غير إجماع من مضى من الصحابة لقلنا وقع الإجماع عليه على أنه لا داعي إلى الإجماع في هذه النازلة لوجود النصوص الشرعية إذ السنة مشحونة بذلك إلى أن قال وما نقل عن إمامنا مالك رضي الله تعالى عنه من الكراهة وأنه قال يذكر كل واحد على حدته قال الشيخ زروق وإن كان كل واحد يذكر على حدته سرا فجدواه غير ظاهرة وإن كان جهرا وكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب للتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس فضلا عن ذكر الله فلم يبق إلا جوازه بل ندبه بشرطه.اهـ

ويجاب عن إمامنا مالك بأنه لم يبلغه حديث الترغيب أو رأى هيئة منكرة فأنكر الاجتماع على مثل تلك الهيئة وبمثل هذا الجواب أجابوا عن ابن مسعود في قوله لقوم وجدهم يذكرون الله جماعة: لقد جئتم ببدعة ظلماء ولقد فقتم أصحاب محمد علما إذ يتحاشا إمامنا مالك وابن مسعود عن الإنكار بعد صحة الحديث وبلوغه إليهما والحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة إلخ كما تقدم رواه أبو داوود عن أنس قال السيوطي حديث حسن إلى أن قال وحسب العامل ما عليه أهل الفضل الذين يتبرك بهم أحياء وأمواتا رزقنا الله التسليم لأوليائه بجاه سيدنا محمد وآله. اهـ باختصار.

وفي روح البيان عند قوله تبارك وتعالى: ((واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)) قال بعض الحكماء إن لله جنة في الدنيا من دخلها يطيب عيشه وهي مجالس الذكر. وفي الحديث: إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا

عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالى أغشوهم برحمتي فهم الجلساء لا يشقى جليسهم. قال في أنوار المشارق وكما يستحب الذكر يستحب الجلوس في حلق أهله والعادة جرت في حلق الذكر بالعلانية إذ لم تعرف كر الدهور أي في كر الدهور حلقة الذكر اجتمع عليها قوم ذاكرون في أنفسهم فالذكر برفع الصوت أشد تأثيرا في قمع الخواطر الراسخة على قلب المبتدإ وأيضا يغتم الناس بإظهار الدين بركة الذكر من السامعين في الدور والبيوت ويشهد لهم يوم القيامة كل رطب ويابس يسمع صوته خصوصا في مواضع الإزدحام بين الغافلين من العوام لتنبيه الغافلين وتوفيق الفاسقين وفي بعض الفتاوى لو ذكر الله في مجالس الفسق ناويا أنهم يشتغلون بالفسق وأنا أشتغل بالذكر فهو أفضل كالذكر في السوق أفضل من الذكر في غيره وحضور مجلس الذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس السوء. وقد نهي عن أن يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلي فيه على نبيه صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك المجلس حسرة عليه يوم القيامة وفي الحديث: ((من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. غفر له ما كان في مجلسه ذلك)) فعلى العاقل أن يكون رطب اللسان بالذكر والدعاء والإستغفار دائما خصوصا في الأوقات المباركة.اهـ

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثا إلى نجد فغنموا وأسرعوا وقال رجل ما رأينا بعثا أفضل غنيمة وأسرع رجعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة الذين شهدوا صلاة

الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى تطلع الشمس ثم يصلون ركعتين ثم يرجعون إلى أهاليهم)) وهي صلاة الإشراق وهو أول الضحى وذلك بعد أن تطلع الشمس ويصلي ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة مكررة ٣ مرات ذكر صاحب المصابيح أن في قوله ثم قعد يذكر الله تعالى دلالة على أن المستحب في هذا الوقت إنما هو ذكر الله تعالى لا القراءة لأن هذا وقت شريف ولأن للمواظبة للذكر فيه تأثيرا عظيما في النفوس قال في المنية ناقلا عن جميع العلوم ومن وقت الفجر إلى طلوع الشمس ذكر الله تعالى أولى من القراءة ويؤيده ما ذكره في الغنية من أن الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام والدعاء والتسبيح أفضل من قراءة القرآن في الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ألا أدلكم على ساعة من ساعات الجنة الظل فيها ممدود والرزق فيها مقسوم والرحمة فيها مبسوطة والدعاء فيها مستجاب))؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: ((ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)) قال علي المرتضى رضي الله تعالى عنه: ((مر النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها قبل طلوع الشمس وهي نائمة فحركها برجله فقال قومي لتشاهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين إن الله يقسم أرزاق العباد بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس)) واختلف أن التهليل والتسبيح ونحوهما بمجرد القلب أفضل أو باللسان مع حضور القلب احتج من رجح الأول بأن عمل السر أفضل و احتج من رجح الثاني بأن العمل فيه أكثر فاقتضى زيارة والصحيح هو الثاني ذكره النووي في شرح مسلم.اهـ قال القاضي عياض: ذكر الله ضربان ذكر بالقلب فقط وذكر باللسان أي مع القلب وذكر القلب نوعان أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلّها التفكر في عظمة الله وجبروته وآياته في سمائه وأرضه، والثاني ذكره تعالى بمعنى استحضاره بالقلب عند الأمر

والنهي فيمتثل ما أمر به وينتهي عما نهي عنه ويقف عما أشكل عليه والأول من هذين أفضل من الثاني، والثاني أفضل من الذكر باللسان أي مع القلب وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث.اهـ منقولا من الفواكه الدواني لسيدنا النفراوي على الرسالة ومن حاشية العدوي على الكفاية عليها اهـ مسألة في جواز حمل الميت بذكر الله واعلم يا أخي أن ذلك لم يكن من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من سنة أصحابه رضي الله تعالى عنهم أجمعين إنما السنة السكوت والفكر والخشوع، ولكن المتأخرين لما رأوا الناس ليسوا على تلك السنة بل إنما هم إذا اجتمعوا على الميت اليوم يكثروا اللغط في الأحاديث الدنيوية أمروهم بذكر الكلمة المشرفة لقطع ذلك وربما يقول من لا علم عنده هذه بدعة لم يعمل بها السلف ولا يدري أن البدعة على الأحكام الخمسة كما سيأتي فلا شك أن هذا الفعل ليس من البدع المحرمة.اهـ

وقال الشيخ الفقيه الصوفي علي سالم المنوفي المالكي مذهبا في كتابه (ضوء البدور فيما ينفع أهل القبور) بعد كلام طويل ما حاصله أنه صار ما يفعل الآن أمام الجنائز من القراءة والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والأحزاب وغير ذلك مطلوبا إلى أن قال في كلام نقله عن الأنوار القدسية في العهود المحمدية وكان سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه يقول إذا علم من الماشين مع الجنازة أنهم لا يتركون اللغو ويشتغلون بأحوال الدنيا فينبغي أن نأمرهم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك أفضل من تركه ولا ينبغي لفقيه أن ينكر ذلك إلا بنص أو إجماع فإن مع المسلمين الإذن

العام من الشرع بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل وقت شاءوا.اهـ

قال العالم الفقيه السيد النحرير المهدي الوازاني في حاشيته على ميارة الصغير بعد ما أطال الكلام في من يمنع ذلك من الأئمة قلت وفيه نظر لقول ابن عرضون في مقنع المحتاج في آداب الأزواج ما نصه ذكر الإمام أبو عبد الله البقال التازي أن العمل شاع عند كافة أهل البلاد المشرقية مصر والشام وغيرهما أنهم يحملون الجنائز بذكر الله عز وجل والصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحضرهم العلماء المرجوع في الفتوى إليهم والمعتمد في الإجتهاد عليهم فلا يسمع من أحد منهم نكير ولا يفتي عالم من علمائهم في شيء من ذلك بتغيير قال وهذا إجماع القرويين شرفه الله بذكره قد اتصل عمل الناس فيه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر في يوم الجمعة متطابقين على ذلك معلنين متراسلين فيه منذ أزمان متطاولة ولا يضبط أهل عصرنا أوائل تاريخها ولم يزل العلماء المقتدى بهم المسموع من أقاويلهم متوفرين بفاس كلأها الله تعالى وهذا الفعل بمرأى منهم ومسمع لم يبلغ قط عن عالم منهم ولا مقتدى به من أكابرهم أنه منع من ذلك ولا أمر بتسكيت فاعله.اهـ

وسئل بعض الفاسيين عن اللفظ العامة المرابطين الذين يأتون كعادتهم يذكرون لا إله إلا الله محمد رسول الله وإذا تلقوا فاضلا أو ذهبوا لجنازة للدفن فيذكرون الكلمة المشرفة رجاء الثواب من الله سبحانه وتعالى وحصول الأجر له إلخ؟

فأجاب: أن خروجهم بالهيللة وشبهها ليس بمستنكر إذ هو أمر شائع ذائع في القديم والحديث وقد فعل ذلك بجنازة الإمام الحافظ خاتمة الأئمة النقاد سيدي محمد بن غازي بوصايته على ذلك.

وقد سئل تلميذه الإمام الأعدل والمحجّة أبو القاسم بن خجو (بفتح الخاء المعجمة وتشديد الجيم آخره واو) عن مثل نازلتها أعني الذين يحملون الأموات إلى قبورهم هل يذكرون الله جهرا مثل لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل ذلك جائز وهل ينتفع به الميت أو لا فائدة فيه وهل يجهرون بالدعاء لأن أكثر الناس لا يحسنون ذلك؟

فأجاب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ذكر الله مطلوب على كل حال وفي كل حال وينتفع الذاكر المخلص بذكر الله لا محالة ولا خلاف أن الميت ينتفع بدعاء الحي، ومن دعا له وكل ذلك محمود. ومن قال فيه بدعة فمراده بدعة جائزة لا محرمة ولا مكروهة لأن البدع تنقسم للأحكام الخمسة: محرمة، ومكروهة، وواجبة، ومستحبة كالمسئول عنها، أو مباحة. والذكر بالجهر مع السلامة من الرياء أنفع لما يسري من الانتفاع للسامعين. ولما توفي شيخنا الإمام الأستاذ بركة المتأخرين سيد محمد بن غازي العثماني أخرج جنازته من حضر حملها للقبور بذكر مجهور به كان أوصى به فيما بلغنا ولم أستحضره وإن كان الحاملون يقولون يا كريم يا قدير اغفر لميتنا الذليل الحقير بجاه سيدنا محمد البشير النذير ونحو ذلك فأرجو نفعه.اهـ من تلك الحاشية

إلى أن قال: قال ابن عرضون أيضا: اعلم أن في الإجتماع على الذكر خمسة أقوال مذهبية:

١. أحدها المنع من ذلك قاله ابن شعبان

٢. ثانيها: الكراهة لمالك في النوادر

٣. ثالثاها: الجواز في مكان خال لقليل من الناس قاله الباجي

٤. رابعها: الجواز مطلقا قاله المازري وبهذا جرى العمل في أقطار الأرض عند السادات الأخيار رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم. قال الشوشاوي والدليل للمازري أنه ثبت عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين أنهم كانوا يجتمعون على قراءة سورة بصوت واحد وبهذا القول أفتى جماعة من الأئمة إلى أن قال.

٥. وخامسها: الاستحباب قاله أبو الطاهر الفاسي في تأليف له.اهـ وفيه كفاية لمن أنصف.

وفي روح البيان عند تفسير قوله تعالى ((وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)) وقد ذكر الخرائطي في كتاب الثبور قال سنة في الأمصار إذا حملوا الميت أن يقرءوا معه سورة البقرة. يقول الفقير فيه دليل على سنية الذكر عند حمل الجنازة لأن الذكر من القرآن ولذا كان على الذاكر أن ينوي التلاوة والذكر معا حتى يثاب بثواب التلاوة فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه ولقد أحسن من قال في أبيات:

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد حملت إليهما

إلى أن قال في آخرها:

وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تسطيعه وبعثت ذلك إليهما

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة.اهـ راجع روح البيان

وبهذا التقرير يعلم أنه لا إنكار على استحسان بعض مقدمي شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني أحله الله دار التهاني قراءة الوظيفة على من حضرته الوفاة أو بعد موته رجاء بركتها وشفاعتها.

قال بعض خواص سيدي العربي بن السائح محمد المدعو بالامين (بفتح الباء) في ورقات جمعها من كلام سيدنا أبي المواهب والمرابح سيدي العربي بن السائح قال لي رضي الله تعالى عنه الغالب الأكثر بل الكل ممن حصرته من أصحابنا وقد حضرته وكنا نقرأ عليه الوظيفة يجود بنفسه ونحن آخذون في قراءها وربما خرجت روحه عند ختمها ولا أقدر على عددهم وربما كان بعضهم يذكر معنا وهو مضجع إلخ.

وممن قرأت عليه الوظيفة وهو يقرأها مع القارئين كما في كشف الحجاب سيدي عم عبد الوهاب التازي وعند فراغها قال لأهله: أين الكأس الذي أتاني من عند الله وصار يبحث فوق الفراش عنه حتى أخذوا كأسا ودفعوه له. فقال سبحان الله سقط الكأس ولم يهرق ثم شربه فبمجرد ما شربه اضطجع وتشهد وخرجت روحه رحمه الله تعالى.اهـ

وقال سيدي سكيرج حامل لواء الطريقة التجانية في اليواقيت الأحمدية: اعلم أن الوظيفة في الوليمة والجنازة من الأمور المحدثة في الطريقة التي لم تكن في زمن سيدنا رضي الله تعالى عنه لكن جرى عمل فاس بقراءها في ذلك باستدعاء الإخوان والقصد حضور بركتها للميت ولأصحاب الوليمة ولا يكفيهم قراءة الوظيفة بل يزيدون استعمال الذكر على الهيئة المعهودة في ذكر يوم الجمعة وقد شاهدنا أكابر المقدمين من علماء الطريقة من يحضر لذلك بفاس ولم يحصل منه نكير غير أن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله تعالى

عنه كان لا يقول بذلك ولا يحبه لكونه من البدع في هذه الطريقة المحمدية وكان ينكر على من يفعله لكن لا يستمع له إلا أهل الاعتقاد ويشنع على استعمال الذكر في ذلك حتى يوم الجمعة إنما يسرد الهيللة سردا ويخرج من الزاوية ولا يدخل لحلقة الذكر وقد حضرنا في بعض الجنائز وقرأت الجوهرة فيها ست مرات لصيق وقت الصلاة عليها بفاس ولم نقف على مستند قراءتها في ذلك ولا في اختصارها إلا مجرد الاستحسان من بعض أفاضل الطريقة ولذلك تجدني لا أنكر على من ذكرها تامة أو مختصرة وأميل إلى قراءتها لنيل بركتها.اهـ

قلت: قوله (غير أن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي إلخ) كأنه إنما ينكر الهيئة المزيدة لا الاستحسان والله أعلم.

وقد بلغنا أنه قرأت له الوظيفة بعد وفاته جعل الله مقره روضة من رياض الجنة ومن قال إن ذلك بدعة فبدعة مستحسنة لأن العام لا يخرج بعض مستغرقه إلا بدليل واضح لأن الشارع طلب منا أن ندعو ونستغفر لأمواتنا ولم يحض وصفا عن وصف له ولا حالا عن حال ومن جعل علة المنع عدم طهارة المكان وتأخير التجهيز قلنا له إن المستحسنين لا يليق أن ننسبهم إلى الجهل بذلك كله من الله علينا وعليكم بالتسليم لأهل الحضرة الإلهية.اهـ

أطلت الكلام في مسألة الذكر ليسلم ويقر المنكرون على أهل الله تبارك وتعالى ويعلموا أن السلامة تسليم أهل الطُّرق في حركاتهم وسكناتهم فيها مع الله تعالى في كل حال لا لحمل أحد على استعمال شيء مما ذكر ومن شاء استعمل ذلك اقتداء بالمستعملين رجاء بركاتهم ومن شاء اقتدى بالسلف وسكت على الإنكار ليسلم.اهـ

وقال سيدي أبو بكر بن محمد بناني بعد ما أتم دلائله على جواز الاجتماع للذكر ولتعلم يا أخي إنما ذكرته لك ليس القصد عندي أنني نعضدهم ونؤيّدهم بل الله أيّدهم وقواهم وحسبك ما ترى في الوجود من انتشارهم شرقا وغربا والتماس الخير من جمعهم. اهـ

فائدة:

قال النووي في كتابه الأذكار النورية فصل أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء وذلك في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء وغير ذلك.اهـ

ومنهم من أنكر جواز الشيخ رضي الله تعالى عنه في معية الله تعالى أو قربه للخلق لسيدنا علي حرازم حيث قال له رضي الله تعالى عنه بعد كلام فقد اختلف أقاويل العلماء لاختلاف فهومهم فمنهم من قال معكم بعلمه، ومنهم من قال معكم بذاته وكل واحد له أدلة وشواهد إلا أن من قال وهو معكم بعلمه هرب من التحيز والجهة، ومن قال بالذات ألزم له المعارض في زعمه ما يناقض مذهبنا فأجابه سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا رضي الله تعالى عنه بما حاصله أنّهما صفتان نفسيتان تتبعان ماهية ذاته تبارك وتعالى في نفي التعقل أي كما لا مجال ولا سبيل للعقل في ماهية ذاته تبارك وتعالى كذلك لا سبيل له في شم رائحة تعقلهما والمعارض محجوج بنفي التعقل لأنّما لا يتعقل لا ينسب إلى التحيز والحلول راجع جواهر المعاني فيه تمام السؤال والجواب وكثيرا ما يذكر لنا ما لا تدركه العقول ككيفية السجود في قوله تبارك وتعالى: ((ألم تر أن الله يسجد له من في

السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال.. الآية)) وذلك الاعتراض نشأ من جهل المنكر أن لأهل الكشف مقاما وراء طور العقل يذوقون منه ما لا تدركه العقول وذلك المقام مقام تسليم لا مقام اعتراض.اهـ

وفي كتاب ألف باليوسف بن محمد البلوي وقالوا: أربعة أشياء تسلم تسليما ولا تعارض اعتراضا أخبار الصفات وأصول العبادات وفضائل الصحابة وفضائل الأعمال. انتهى

وفي الجواهر والدرر قال سيدنا الشعراني رضي الله تعالى عنه ليس بين أهل الكشف جدال في شيء.اهـ قال:

لا يعلم الله إلا الله فاتّئدوا والديان دينان إيمان وإشراك
وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن درك إدراك

وهذا معنى قول سيدنا الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه والعجز عن درك الإدراك إدراك إلخ أي: إذا انتهى علمك إلى أن تعلم العجز عن معرفته فقد عرفت الحق. وقال الصديق أيضا سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلى العجز عن معرفته.

وقد قيل:

حقيقة المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم

وسأل الزمخشري الغزالي عن هذه الآية؟ فأجابه بقوله إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أوأينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه الله تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك ثم جعل يقول:

قل لمن يفهم عني ما أقول قصر القول فذا شرح يطول

ثم سـر غـامض مـن دونـه قصـرت والله أعنـاق الفحـول
أنـت لا تعـرف إيـاك ولا تـدر مـن أيـن ولا كيـف الوصـول
لا ولا تـدري صـفات ركبـت فكيـف حـارت في خفايـا العقـول
أيـن منـك الـروح في جوهرهـا هـل تراهـا فتـرى كيـف تجـول
وكـذلك الأنفـاس هـل تحصـوها لا ولا تـدري متـى عنـك تـزول
أيـن منـك العقـل والفهـم إذا غلـب النـوم فقـل لي يـا جهـول
أنـت آكـل الخبـز لا تعرفـه كيـف يجـري منـك أم كيـف تبـول
فـإذا كانـت طوايـاك الـتي بـين جنبيـك كـذا فيهـا ضـلول
كيف تـدري مـن علـى العـرش استوى لا تقل كيـف استوى كيـف النّـزول
كيف يحكـي الـرب أم كيـف يـرى فلعمـري لـيس ذا إلا فضـول
إن تفعـل كيـف فقـد مثلتـه أو تقـل أيـن فقـد رمـت الحلـول
فهـو لا أيـن ولا كيـف لـه وهـو رب الكيـف والكيـف يحـول
وهـو فـوق الفـوق لا فـوق لـه وهـو في كـل النـواحي لا يـزول
كـل ذاتـا وصـفاتا وسُـمًى وتعـالى قـدره عمـا تقـول

وفي روح المعاني قال الإمام الغزالي ولا تستعبد أيها المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء طور العقول طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل. وفيـه أيضـا: كلما وجدت مثل هذا لأحد من أهل الله تعالى فسلمه لهم بالمعنى الذي أرادوه مما لا تعلمه أنت ولا أنا بالمعنى الذي ينقدح في عقلك المشوب بالأوهام فـالأمر والله وراء ذلك راجع روح المعاني عند قوله تعالى:ك ((يؤمنـون بالغيـب)) يشـف غليلك. اهـ

قال ابن عرفة في تفسيره: واعتمد بعض الناس ممن عليه حلية الفقراء أن المعية بعلمه وذاته المنَزهة عن المكان فأنكر عليه وإنما أنكر عليه التصريح بذلك للعوام.

وأما المعنى فإنه صحيح في نفسه وإنما كان التصريح بذلك للعوام منكرا لأنه يسبق إلى أفهامهم المعنى القريب الباطل.

إلى أن قال: وقد اختلف العلماء رضي الله تعالى عنهم في القائلين بالجهة فذهب الجمهور إلى أنه لم يقل بها إلا المبتدعة وأهل الضلال وما نسب لا ابن أبي زيد رضي الله تعالى عنه في الرسالة ولغيره كابن عبد البر وطوائف منْ المحدثين غير صحيح نقله عنهم مؤول على أوجه في شرح الرسالة وغيرها وذهبت طائفة من العلماء كالقاضي عياض في الإكمال إلى تصحيح نسبة ذلك إلى جماعة من أهل السنة الحديث. اهـ

وقال سيدنا الأبي في إكمال الإكمال قلت الأظهر كون المعية بمعنى الحضور اللائق لأنه أبعث للنفوس على العبادة. اهـ قلت وطريق السلامة أن يقتصر أهل مقامة طور العقل على مداركه ويسلمون لأهل الكشف فيما وراء طور العقل ويقول لسان حالهم لمن ينكر ما رووه من ذلك المقام بقول سيدي محي الدين: من لم يبلغ مبلغنا فلا ينظر علمنا وأنشد:

تركنا البحار الزاخرات وراءنا ... ومن أين يدري الناس أين توجهنا

ويضرب مثلا له: ليس بعيشك فادرجي.اهـ

وقال الشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهني في كتابه منية الفقير المتجرد وسيرة المريد المتفرد الذي اقتصر فيه على الإشارة التصوفية من شرحي الشيخ أحمد بن

عجيبة على المقدمة الأجرومية شرح العبارة الراجعة إلى القواعد النحوية التي بها صلاح اللسان وشرح الإشارة الراجعة إلى المسائل التصوفية التي بها صلاح الجنان في باب المفعول معه قال رحمه الله والمفعول معه هو الذي يفعل الأشياء كلها معه وبحضره وهو الله القائم على كل نفس بما كسب الرقيب مع كل شيء والحاضر مع كل شيء وهو معكم أينما كنتم، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد)) فالمعية عند أهل الفرق العلم والإحاطة وعند أهل الجمع الذات والصفات لأن الصفات لا تفارق الموصوف فالعلم لا يفارق العالم قال تعالى: ((ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا)). إلى أن قال بعد كلام طويل وحاصل كلامه أن المعية بالعلم تستلزم المعية بالذات لأن الصفات لا تفارق الموصوف وهذا السر لا يفهمه إلا أهل الفناء في الذات بصحبة مشائخ التربية وإلا فشأن من لم يبلغ أذواقهم التسليم:

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

وقال صاحب روح البيان عند قوله تبارك وتعالى: ((وهو معكم أينما كنتم..الآية)) وفي التأويلات النجمية وهو معكم لا بالمعية المفهومة للعوام والخواص أيضا بل المذوقة المعية بالمذوق الكشفي أي أنا معكم صح بحسب مراتب شهوداتكم إن كنتم في المشهد الفعلي فأنا معكم بالتجلي الذاتي ما أتقدم ولا أتأخر عنكم.

وقال بعض الكبار تلك المعية ليست هي مثل ما يتصور بالعقل حسا أو ذهنا أو خيالا أو وهما تعالى شأنه عن ذلك علوا كبيرا وإنما هي معية تفرد الحق سبحانه

بعينها وتحققها وعلمها لا يعلم سرها إلا الله ومن أطلعه من الكمل ويحرم كشفها ترحما على العقول القاصرة عن درك الأسرار الخفية كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ابْهموا ما أبْهم الله وبينوا ما بين.اهـ باختصار قلت:

عجبت على هذا الزمان وأهله ... من انكارهم شمس الظهيرة في الأفق
ترى فيهم من يدعي العلم منكرا ... بأمر جلي عند ذي الجهل والحمق
فلو لم يكن ما قلت وصفا لبعضهم ... فلم ينكروا وقول التجاني ذي الصدق
فما قال في حق الإله معية فما ... فيه يحييز سوى عند ذي الخرق
دعوتم لهذا القطب تحييز ربنا ... عفاكم إله العالمين بذا النطق
وذا القطب في نفي التحييز إذا نفى ... تفعل هذا الوصف عن ربنا الحق
فشيء ورآ طور العقول فما له ... عز وإلى الأرجاء عند ذوي الحق
فهذا ابتلاء الله قد حل فيكم ... لذلك ما لمنا عليكم من الفسق
عجبت ولي جاهل حق ربه ... شهير لدى البيضان والحمر والزرق
هل اجتمع الضدان في الشيخ وصفه ... بها وبه فيه اتّساع من الخرق

وفي كتاب نصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية لسيدنا مصطفى بن إسماعيل قال علي الحداد في أبيات له:

وكم من قريب بعدته عبارة ... عن الفهم فاستمسك بحبل الشريعة
وسلم لأهل الله في كل مشكل ... لديك لديهم واضح بالأدلة

وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أصل المنازعة بين الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقل ومجيئها بغتة من غير نقل ونظر ومن طريق العقل فنكرت على الناس من حيث طريقها فأنكروها

وجهلوها ومن أنكر طريقا عادى أهلها ضرورة لاعتقاد فسادها وفساد عقائد أهلها.اهـ

قال اللقاني ويخشى على من تكلم يعني في أهل الطريق بسوء الخاتمة وجزاؤه الأدب الشديد والسجن الطويل المديد ((يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين)). والحاصل أن الإنكار على أهل الله تعالى من جهل أمرهم إما علومهم اللدنية أو على تفسيرهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالمعنى القريب أو على ذكرهم جهرا في المساجد إلى أن قال.

قال مجد الدين الفيروز الإبادي صاحب القاموس في اللغة لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم ببادي الرأي لعلو مراتبهم في الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه أمر بشيء يهدم الدين ولا نهى أحدا على الوضوء ولا على الصلاة ولا غير هما من فروض الإسلام ومستجاته إنما يتكلمون بكلام يدق عن الأفهام.اهـ

مستو في من تلك الرسالة باختصار.

قلت وبهذا التقرير يغلم ذو العقل السليم أن أهل الله لهم مقامان:

١. مقام فرق ونزول يعبرون فيه بعبارات يدركها أهل طور العقل

٢. ومقام جمع يعبرون فيه بعبارات لا يدركها إلا أهل الذوق ((ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة)).

وننقل لكم إن شاء الله ما تستفيدون منه بيانا وتبصرة في كلام سيدنا رضي الله عنه من شرح سيدنا عليش على إضاءة الدرجة وأقول وبالله التوفيق وهو بمنه يهدي إلى سواء الطريق.

وقال سيدنا عليش في الشرح المذكور عند قول الناظم رضي الله عنهم أجمعين ومن اتبع آثارهم إلى يوم الدين

كمثل وهو معكم فأول | بالعلم والرعي ولا تطول

إذ لا تصحّ ها هنا المصاحبة بالذات إلخ

قال العارب الشعراني قلت وهذه المسألة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول إن المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الأدب ممن يقول إنه تعالى معنا بذاته وصفاته وإن كانت الصفات الإلهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسألة عقد مجلس في الجامع الأزهر في سنة خمس وتسع مئة (٩٠٥) بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ إبراهيم المواهوبي الشاذلي وصنف الشيخ إبراهيم في ذلك رسالة وأنا أذكر لك عيوها لتحيط بها علما فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكرياء والشيخ برهان الدين ابن أبي شريف وجماعة: الله معنا بأسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ إبراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك؟ فقال: قوله: ((والله معكم)) وقوله: ((وهو معكم)) ومعلوم أن الله علَم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة الشيء لآخر سواء كانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالإنسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى: ((وهو معكم)) وإن الله مع المحسنين)) ((أن الله مع الصابرين)) وذلك لما قدمناه من أن مدلول الاسم الكريم الله إنما هو الذات الملازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع

الممكنات وليست كمعية المتحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول والجهات الأينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)). قال ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع أنه لا يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الذات عن الصفات ولا بعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشيء معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الإمكان لأنه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا.

وقد قال العلامة الغزْنَوي في شرح عقائد النسفي إن قول المعتزلة وجمهور النجارية أن الحق تعالى في كل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لأنه لا يلزم أن من علم مكانا أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط إلا أن كانت صفاته تنفك عن ذاته كما هو علم صفة الخلق لا علم الحق.اهـ على أنه يلزم من القول بأن الله معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بنفسها دون الذات بنفسها وذلك غير معقول فقالوا فهل وافقك أحد غير الغزنوي في ذلك؟ فقال: نعم ذكر شيخ الإسلام ابن اللبان رحمه الله في قوله تعالى ((ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)) إن في هذه الآية دليلا عل أقربيته تعالى من عباده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان إذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو التدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه. فلما قال: ولكن لا تبصرون. دل على أن المراد به الحقيقي المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فإن من المعلوم أن البصر لا تعلق إدراكه بالصفات المعنوية وإنما يتعلق بالحقائق المرئية.

وكذلك القول في قوله تعالى: ((ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)) وهـــو يدل أيضا على ما قلنا لأن أفضل من يدل على الاشتراك في اســـم القـــرب وإن اختلف الكيف والاشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريـــد، لأن قـــرب الصفات معنوي وقرب حبل الوريد حسي ففي نسبة أقربيته تعالى إلى الإنسان من حبل الوريد الذي هو حقيقي دليل على أن قربه تعالى حقيقي أي بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ إبرهيم وبما قررناه انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وأن الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا إذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالي كما مر.

فقال له العلائي فما قولكم في قوله تعالى: ((وهو معكم)) فإنه يوهم أن الله تعالى في كل مكان فقال الشيخ إبراهيم لا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان لأن أين في الآية إنما اطلقت لإفادة معية الله تعالى للمخاطبين في الأين اللازم لهم لا لـــه تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب كل أين بلا أين.اهـــ باختصار راجـــع الشـــرح المذكور عند ذلك المحل وفي كتاب ألف أيضا ليوسف بن محمد البلوي وقد ســـئل علي بن أبي طالب أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فقـــال: أيـــن توجب المكان وكان الله ولا مكان وقال لآخر، وقد سأله أين الله؟ فقال: الذي أين الأين لا يقال فيه أين فبين للسائل فساد سؤاله بأن الأينية مخلوخة وكـــان قبلـــها سبحانه وتعالى.اهـــ

قال ابن كيران في شرحه على توحيد المرشد المعين قلت: قد اجمعـــوا علـــى تنْزيهه تعالى عن الظاهر المفضي إلى التشبيه ثم ما كان له محمل واحد مجازي تعـــين المصير إليه كقوله: ((وهو معكم)) أي بعلمه وسمعه وبصره وإحاطة قدرته وكذا

قوله: (من في السماء) أي سلطانه وأمره. وقيل بذاته على ما يليق به من غير تكييف. ولله در القائل:

لا تجعلن إلى التشبيه من سبب   إنّ الطريق إلى تشبيه مسدود

وفي حاشية الباجوري على السنوسية ما تلخيصه أن إسناد التأثير والتخصيص للقدرة والإرادة مجاز عقلي فهو من باب الإسناد إلى السبب وإلا فالمؤثر والمخصص حقيقة هو الذات الأقدس إذ لا فعل إلا له كما نص عليه غير واحد من المحققين.

وأما قول العامة القدرة فعالة أو انظر فعل القدرة أو نحو ذلك فحرام وقيل مكروه ما لم يعتقدوا أن القدوة تؤثر بنفسها وإلا كفروا والعياذ بالله.اهـ

قلت وإن قلنا إن المؤثر حقيقة هو الذات الأقدس لا القدرة، لِم لا نقول إن المصاحب حقيقة هو الذات لا العلم. تأمل قلت: ولو لم أكن من أهل القول والتكلم في مثل هذا أنه لما ثبت وتقرر أنه تبارك وتعالى مخالف لخلقه أي ذاتا وصفة علمنا أنه لا ينسب إليه التحيّز والحلول لقول من قال إن المعية بالذات ولا انفكاك الصفات عن الذات لقول من قال إنها بالأسماء والصفات لأن كل ذلك من صفات الخلق وقد تقرر المخالفة وطريق السلامة إن شاء الله أن نعتقد وجوب المعية والقرب له تعالى كما قال جل وعلا ونعترف بالعجز عن درك الكيفية.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: من انتهض لطلب مدبره فإن اطمأن إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى نفي محض فهو معطل وإن اطمأن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد. انتهى من روح البيان

وقلت عاقدا كلامه:

قال الإمام العلم الشافعي السند ... سليل إدريس حقا قوله اعتقد
من ينتهض طالبا يوما مدبره ... سبحانه وهو رب واحد صمد
إن اطمئنت لوجود سريرته ... وفكره ينتهي للذات يعتمد
فهو المشبه قل من نفسه سكنت ... لمحض نفي فتعطيل له يرد
وقاطع بوجود الذات نزهها ... عن النقائص إيجابا ويعتقد
كل الكمال لها وكان معترفا ... بالعجز عن دركه موحد عضد
أما المشبه أعشى والمعطل أع ... مى والموحد راض فعله الأحد

وفي نفح الطيب للعلامة أحمد المقري المالكي الأشعري في ترجمة جده الخامس أبي عبد الله محمد قال الشاشي عنهم إنهم يستدلون بأسماء الله عز وجل ما عرفه من كيفه ولا وجده من مثله ولا عبده من شبهه المشبه أعشى والمعطل أعمى المشبه متلوّث بفرث التجسيم والمعطل نجس بدم الجحود ونصيب المحقق لبن خالص وهو التنْزيه.اهـ قوله المقري بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة كما ضبطه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في كتابه العلوم الفاخرة وضبطه ابن الأحمر في فهرسته وسيدي أحمد زروق بفتح الميم وسكون القاف.اهـ

وفي تفسير سيدنا النيسابوري عند تفسير قوله تعالى: ((وهو القاهر فوق عباده)) بعد كلام طويل وقد يلوح للمتأمل في هذه الأجوبة بعد التنْزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد أسرار غامضة شريفة إن كان أهلاً لها وكل ميسر لما خلق له.اهـ

وفي تفسير سيدنا النيسابوري أيضا: عند قوله تبارك وتعالى: ((ثم استوى على العرش)) بعد كلام طويل هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الآية قولان:

١. الأول: القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها إلى الله.

٢. والثاني: الخوض في التأويل وذلك من وجوه أحدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستهلاء أي استعلى على الملك وغير ذلك من الأوجه إلى أن قال:

فالله تبارك وتعالى لما دل عن كمال ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم بالوجه الذي ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقرت عظمة الله تعالى في قلوبهم إلى أن ذلك مشروطة بنفي التشبيه فإذا قال إنه عالم فهموا منه أنه تعالى لا يخفى عليه شيء ثم علموا بعقولهم أنه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باشتغال خاصة وإذا قال قادر علموا منه أنه متمكن من إيجاد الكائنات ثم عرفوا أنه غني في ذلك الإيجاد والتكوين عن الآلات والأدوات وسبق المادة والمدة والفكرة والرؤية وكذا القول في كل من صفاته وإذا أخبر أن له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه أنه يصف موضعا يقصدونه لمنارهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وأنه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد وإذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا أنه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والإعراض عنه وإذا أخبر أنه خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش فهموا منه لأنه بعد أن خلقها استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخي أنه

يظهر تصرفه في هذه الأشياء وتدبيره لها بعد خلقها لأن تأثير الفاعل لا يظهر إلا في القائل. اهـ

وفي تفسير سيدنا أبي حيان عند قوله: ((ثم استوى على العرش)) وأما استواءه على العرش فحمله على ظاهره من الإستقرار بذاته على العرش قوم والجمهور من السلف السفيانان ومالك والأوزاعي والليث وابن المبارك وغيرهم في أحاديث الصفات عن الأيمان بها وإمرارها على ما أراد الله تعالى من غير تعيين مراد وقوم تأولوا ذلك على عدة تأويلات وقال الحسن: استوى أمره إلى آخر التأويلات إلى أن قال. وسأل مالكا بن أنس رجل عن هذه الآية فقال: كيف استوى فاطرق رأسه مليا وعلتة الرخضاء؟ ثم قال: الإستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك إلا ضالا ثم أمر به فأخرج عنه. اهـ وسلم لأهل الله تبارك وتعالى إذا ادعى أحد منهم أن الله عز وجل أظهره على بعض الغيوبات وارثة عن الرسل عليهم السلاة والسلام لأنه سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز: ((فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول)) إلخ وفي روح البيان ودخل في رسول وارثة فكيف ينكر على من ولى الله تعليمه حيث قال تبارك وتعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله) وأخبر له بالبشرى حيث قال ((الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)) كما للأنبياء المعجزات فللأولياء البشارات كرامة لهم ولكن يقيدها وهو التقوى وهي الامتثال والاجتناب وإن لم تكن التقوى فكل ما ظهر من الكرامات والخوارق فهو استدراج. اهـ

وفي خزينة الأسرار قال أبو علي الجرجاني قدس الله سره كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وهو يطلب

منك الاستقامة فالكرامة في خدمة الخالق لا بإظهار الخوارق إلى أن قال كما حكي أنه قيل للشيخ أبي سعيد قدس الله سره إن فلانا يمشي على الماء قال إن السمك والضفدع كذلك وقيل إن فلانا يطير في الهواء فقال إن الطيور كذلك وقيل إن فلانا يصل إلى المشرق والمغرب في آن واحد فقال إن إبليس كذلك فقيل فما الكمال عندك قال أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق. اهـ

وفي تقريب الوصول أيضا قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ما رضيت عن نفسي طرفة عين ولا يكمل العبد إلا إذا نفى عن نفسي إرادة الحظوظ وصار لا يريد إلا ما أمره الشارع به أمر إيجاب أو ندب وعلى هذا حمل قول أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه لما قيل له ما تريد فقال أريد أن لا أريد يعني أريد أن لا أريد ما فيه حظ لنفسي وأما إرادته ما أمره الشارع به فإنها غير داخلة في كلامه لأنها مراد الله لا مراده هو ومن حظوظ النفس طلب الكرامة وخوارق العادات فالأولى بالعبد مجاهدة النفس في حملها على الإستقامة وإظهار الذل والفاقة لله تعالى عبودية له وامتثالا لأمره فإن الإستقامة خير من ألف كشف وألف كرامة إنها تكون لتقوية اليقين ومن حصلت له الاستقامة قوي يقينه فلا يحتاج إلى الكرامة.اهـ

وفي حاشية سيدنا الباجوري على البردة عند قول الناظم: دامت لدينا ففاقت كل معجزة إلخ والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي وهو دعوى النبوة والرسالة وهي مأخوذة من الإعجاز لأنها تعجز الخصوم على أن يأتوا بمثلها وقد نظم بعضهم أقسام الخارق للعادة فقال:

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة فمعجزة إن من نبي لنا صدر

وإن بان منه قبل وصف نبوة فالإرهاص سمه تتبع القوم في الأثر

وإن جاء يوما من ولي فإنه ال كرامة في التحقيق عند ذو النظر

وإن كان من بعض العوام صدوره فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده يمسي بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر

وزاد بعضهم السحر.اهـ

وفي حاشية كنون على الموطإ فائدتان جليلتان

الأولى:

قال أبو سالم العياشي في الرحلة عن شيخه العلامة النظار المحقق الشيخ إبراهيم الكردي لما أمنعت النظر في مسائل الحنابلة ومصنفاتهم وجدتهم برءاء من كثير مما رماهم به أصحابنا الشافعية من التجسيم والتشبيه وإنما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين كما هو معروف من حال إمامهم أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه من إبقاء الآيات والأحاديث على ظواهرها والإيمان بها كذلك مفوضين في ما أشكل معناه وهذا لا يذمه أحد من الأشاعرة غير أن الحنابلة مشددون في التأويل مُجْهلون من يذهب إليه من جهة عدم وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة فالحنابلة يقولون الله ورسوله وسلف الأمة أدرى بمعاني الآيات والأحاديث من هؤلاء المؤولين وما ورد عنهم أنهم أولوا شيئا من ذلك فإما أن يكون ذلك معناه خفي عليهم كيف يظهر لهؤلاء ما خفى على أولئك وإما أنها على ما يظهر من معناها لأن الشرع جاءت بلغة العرب ومراد الله ورسوله بهذه الألفاظ هي المعاني التي تريدها منها العرب في لغتهم وهي حق كل أحد بحسب ما يليق فنثبت له تعالى استقرارا حقيقيا فوق عرشه لأنه أثبته لنفسه لكن على وجه يليق بذاته لا ندركه الآن لأنا لم ندك ذاته ولا نعلم ماهيته وكذلك نثبت له تعالى

النّزول لأنه أثبته لنفسه ونقول إنه نزول حقيقي منّزه عما يطرأ ويقع في نزول الأجسام من الإنتقال والتغيير لأنه تعالى ليس بجسم وهكذا يقولون فيما كان من هذا الباب انظر تمامه وقد نقله الشيخ المسناوي في جهد المقل القاصر قلت وهو قريب من مذهب الأشعري رضي الله تعالى عنه أو عينه فتأمله قال أبو سالم وقد طالعت رسالة الشيخ ابن تيمية الحنبلي كلها وهي معتمدة عند الحنابلة فلم أر فيها شيئا مما يرمي به ابن تيمية في العقائد سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل وتمسكه بالظواهر مع التفويض ومع المبالغة في التنْزيه مبالغة معها بأنه لا يعتقد تجسيما ولا تشبيها بل يصرح بذلك تصريحا لا خفاء به. اهـ المراد منه والله أعلم

والثانية:

قال في إزالة اللبس ما نصه اعلم أنه قد سبق أن الواجب هو ترك الخوض في المعية المذكورة وفي غيرها من المتشابهات في حق الجاهل أي غير المفتوح عليه والعارف أي المفتوح ولكن هذا بالنسبة إلى اللبس الداخل تحت الاختيار فالواجب على صاحبه كفّه ومنعه من الخوض في ذلك وأما الجنان الذي هو محل الإيمان فلا يمكنه كفّه لخروجه عن اختياره فلا بد من تحصيل حق يترل عليه الإيمان وتسكن إليه النفس فإذا كان عارفا فقد كوشف بما كوشف به وإذا كان غير عارف فليعتمد ما قاله أهل السنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم حيث قالوا من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن سكن إلى النفي المحض فهو معطل ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد وسأل بشر المريشي من المعتزلة الإمام الشافعي عن التوحيد؟ فقال: أن لا تتوهمه ولا تتهمه فبهت بشرا.اهـ ونسوق لكم بعد ما أتينا أقاويل غير أهل الطريق في المسألة ما قاله سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا فيها إتماما للفائدة ولتعلموا أن سيدنا رضي الله تعالى

عنه ليس بمتوحد بالمقال فيها وليس في كلامه ما ينكر ولكن الله تبارك وتعالى ربنا يكسب لأوليائه أجرا من غير عمل فنقول وبالله التفوفيق قال سيدنا محمد بن المشري في كتابه روض المحب الفاني شمس طالعة وأنوار ساطعة وليسدنا رضي الله تعالى عنه كلام في المعية سميته فصل القضية في مسألة المعية وهو جواب لسؤال بعض من يطلب الحق في وجه المسألة ونص السؤال ها هنا:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساداتنا رضي الله عنكم وأرضاكم وجعل النظر في الوجه الأكرم متقلبكم ومثواكم وأطال بقاءكم نفعا للعباد في جميع البلاد من نصكم الكافي وجوابكم الشافي وخطابكم الوافي بما يشفي الغليل ويبرئ العليل في معنى المعية التي وردت في كلام المولى الجليل سبحانه وتعالى: ((وهو معكم أيما كنتم)) ((وهو معهم أين ما كانوا)) ونظائرها وكذلك معنى القرب في قوله تعالى: ((ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)) ((ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)) فقد اختلفت أقويل العلماء لاختلاف فهومهم فكثير من أهل الظاهر يقولون معكم بالصفة لا بالذات فرارا من إلزام المحال، وكثير من أهل التصوف يقولون بالذات وكل من الفريقين له أدلة على صحة قوله وبطلان قوله غيره إلخ.

قال سيدنا رضي الله تعالى عنه الجواب والله أعلم: أن معية الحق سبحانه وتعالى لكل شيء من الوجود وقربه لكل شيء من الوجود صفتان نفسيتان تتبعان ماهية ذاته كما لا تعقل ماهية الذات ولا سبي للعقل إلى شم رائحة من روائح الوقوف على حقيقتها كذلك لا سبيل للعقل لإدراك حقيقة معية الحق لكل شيء وقربه لكل شيء فهو سبحانه وتعالى مع كل شيء بذاته وأقرب إلى كل شيء بذاته من وجه لا يدركه العقل في هاتين الحقيقتين فذاته جل جلاله متعالية مقدسة عن

جميع حدود الجرم والجسم ولوازمه ومقتضياته من دخول وخروج وقرب وبعد واتصال وانفصال وتحيز واختصاص لجهة أو إحاطة بالظرفيه أو صورة أو لون أو كبر أو صغر إلى ما يتبع ذلك من كونه جامدا أوسيلانا أو متحركا أو ساكنا أو ملأ العالم أو في جزء منه إلى غاية حدود الجسم وهي كثيرة لا نطيل بذكرها ولذا لا يقع عليه الوهم والعقل لأنهما في وقت الفكر لا يخرجان عن قيود الجسم ولوازمه فتعينت ماهية الذات العلية من وراء طور العقل والحس والفكر كما قال بعض الأكابر في هذا الحد لا يتمثل في النفس ولا يتخصص في الذهن ولا يتصور في الوهم ولا يتكيف في العقل ولا تلحقه العقول ولا الأفكار ولا يحيط به الجهات ولا الأقطار ولما كان انحصار العقل والفكر في هذه المدارك لا يخرج عنها طردها صلى الله عليه وسلم عن الجولان في هذا الميدان بقوله صلى الله عليه وسلم ((تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه فإنكم لا تقدرون قدره)). وحيث كان الأمر هكذا في تحقيق ماهية الذات فإن معية الحق بذاته لكل ذرة من الموجودات وقربه بذاته لكل ذرة من الموجودات صفتان نفسيتان يتوقف تعلقهما عن تعقل ماهية الذات وحيث كان تعقل ماهية الذات ممنوعا لا سبيل إليه للعقل والفكر كذا تعقل هاتين الصفتين معية وقربا لكل شيء من الموجودات تعقلهما من وراء طور العقل والحس ولا اتصال ولا انفصال ولا مسافة للقرب والبعد ولا أينية ولا حلول ولا مكان ولا دخول ولا خروج ولا تعدد الذات تعددها بالمعية ودونك وجها يوضح لك شيئا من هذا الميدان إن عقلته فهو في الحادث فقط دون القديم فإن الرجل من أهل الجنة عنده مثلا من الحور ما يتضاعف على عدد الملائكة بأضعاف مضاعفة ومع ذلك يجامعهن في الآن الواحد ويدرك لذة كل واحدة بانفرادها على اختصاصها في ذلك الآن الواحد ويجامع كل واحدة منهن

جماعا متمكنا لمحله الواحد وذاته الواحدة من غير تعدد في ذاتــه ولا في محلــه ولا تعدد للآن ولا تأخير ولا تقديم ولا اشراك في محلّ ذواتهن واحد إلا أن تعقل هذا في هذه الدار من وراء طور العقل والحس لكنه في سعة القدرة الإلهية واقع وهذا وإن لم يسلمه أرباب الحدود العقلية فقد دلت عليه الأخبار الصحيحة بما تقرر في الحديث مما يشير إلى معناه من أن الرجل من أهل الجنة يجامع جميع نسائه في مقدار يوم من أيام الدنيا ويمكث في جماع كل واحدة مقدار سبعين سنة في اليوم الواحد من أيام الدنيا فإذا عرفت هذا في حق الحادث وصحيحته فخذه سلما ترتقي به إلى تصحيح القرب والمعية في حق القديم لكل ذرة من الوجود في كل آن من الزمــان من غير تقديم ولا تأخير ولا افتراق ولا تعدد وفي هذا القدر كفاية لمن تعقل الأمر.

وأما ما وقع في السؤال من الاعتراض فإنه يلــزم تعــدد في ذات الحــق بتعــدد الممكنات وممازجته وملابسته للممكنات إلخ. الجواب عن هذا أن هــذا الخيــال الذي يتوهم به هذا الوهم الفاسد إنما هو في مقام الحس والعقل وقد قلنا أن قرب الحق ومعيته وللموجودات من وراء طور الحس والعقل لا مطمع للعقل والحس في إدراك حقيقتهما أعني القرب والمعية ما لم يدركا حقيقة ماهية الذات العلية. وقــد قلنا إن إدراك ماهية الذات العلية في غاية البعد عن إدراك العقل والحس كــذلك هذه المعية والقرب بالذات في غاية البعد عن إدراك الحس والعقل فبطــل هــذا الخيال والوهم اللذان يلزم منهما ملابسة الــذات وملابســتهما للموجــودات وتعددهما بتعدد الممكنات لأن هذا في مقام إدراك الحس والعقل. وقــد قلنــا إن ماهية الذات العلية وقربها ومعيتها للموجودات وتعددها من وراء طــور الحــس والعقل بذلك بطل تخيل ما تخيله الحس والعقل من إلزام ما ذكر وأما القول بأنــه مع الموجودات بالصفات من قدرة وإرادة وعلم إلى آخر الصفات؟

فالجواب أن هذا القول يستلزم الجهة والتحيز للذات العلية وهو باطل وبيانه أنه متى أحلت معية الذات للحوادث يلزم أن تكون خارجة عن جميعها ويلزم من ذلك خروجها عن كورة العالم بأسرها فيلزم إما أن تكون محيطة بالكورة وهي ظرف لها والكورة في جوفها وهو محال لأن هذا من قيود الجسم وإن كانت غير محيطة بالكورة فيلزم أما تخصيصها بجهة من جهات الكورة فوقا أو تحتا أو يمينا أو شمالا أو خلفا أو أماما وهو الذي هرب منه من هرب من الجهة فوقع فيها لأنه متى قال القائل بخروج الذات العلية عن كورة العالم لزم إحاطتها بها إحاطة الظرف بمظروفه أو تخصيصها بجهة من جهات الكورة وكلا الوجهين محال عقلا فلم يبق إلا أن تكون مع كل شيء من المحدثات على الوصف الذي يليق بجلال الذات.اهـ إلى أن قال. ولنرجع إلى كلام سيدنا رضي الله تعالى عنه فكل المعية التي وردت في الآيات إنما بعضها للعصمة كقوله تعالى: ((إنني معكما أسمع وأرى)) وقوله تعالى: ((ولا تحزن إن الله معنا)). وقوله: ((إن معي ربي سيهدين)). ((واصبروا إن الله مع الصابرين)). وقوله: ((إن الله مع الذين اتقوا)) الآية. فكل المعية في هذه الآيات إنما هي معية الاختصاص والغاية والنصر والعصمة وأما معية الذات فلا تختص بنصر ولا عصمة فهو مع كل شيء على أي حال كان ذلك الشيء من عدو أو حبيب أو قريب أو بعيد فهو على الحد الذي ذكر فيها سابقا.اهـ

مسألة فيما يشبه ظاهره الاعتراض والحقيقة عند الله على أن طريق القوم لا يصح الاعتراض منّ الله علينا وعليكم بهدايته وتوفيقه وتقرير ما قرره إمامنا وسيدنا في طريقته.

ومن أغرب الغرائب قراءة بعض الإخوان التجانيين جوهرة الكمال إحـدى عشرة في الوظيفة اليوم اعتمادا على ما في جواهر المعاني ألم يكن الجـواهر مـن جواهر لفظ الشيخ رضي الله تعالى عنه والجوهرة من إملاء سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عليه رضي الله تعالى عنه وقد تواتر أنه رضي الله تعالى عنه صار يقرؤها اثنتي عشرة مرة ولم تزل مستمرا على ذلك إلى أن تنتقل روحه الكريمـة إلى دار البقاء مجاورا روضته الشريفة وأولاده وخلفاؤه كذلك وما سمعنا زاوية من زواياه الكبار على خلاف ذلك والزيادة إن كانت منه رضي الله تعالى عنه أو من غـيره لكن سلم وقبل وعمل بها فلا يليـق الرجـوع عنـها إلى الأصـل الخيـالات ومنامات.اهـ

قال سيدنا سكيرج في شرحه الكوكب الوهاب على درة التاج لسيدنا عبد الكريم بنيس عند قول المصنف وجوهرة الكمال اثنتي عشرة بلا زيادة ولا نقـص كما جرى على ذلك عمل أصحاب سيدنا رضي الله تعالى عنه وقد كان العمـل على إحدى عشرة لكن زيدت واحدة في زمن سيدنا رضي الله تعالى عنه فصـار العمل على ما ذكر. اهـ منه بلفظه

وسئل بعض الإخوان عمن غلبه الحدث في الأخيرة من الجوهرة هل تصـح وظيفته لأنها كانت في ابتداء الأمر إحدى عشرة مرة أم لا؟

فأجاب بأنه يعيد وظيفته لبطلانها بانتقاض وضوئه ولا وظيفة لمن لا وضوء له أو بدله بشرطه ولا عبرة بالأصل لأنه صار نسيا منسيا ومنسـوخا. اهـ مـن الخريدة بحروفه وقال صاحب منية المريد:

وفي حيـاة شـيخنا قـد زادوا   واحـدة فريـدها سـداد

وقال الشارح رضي الله تعالى عنه أشار إلى أن زيادة هذه الواحدة يقرير من الشيخ رضي الله تعالى عنه ولذلك قال فزيدها سداد أي غير خطإ فإن كان الزيد سدادا وصوابا عنده رضي الله تعالى عنه فما فما يقول من ينتسب إليه.اهـ ولم يبق للراجع إلا الدعوى بلا بينة ولله در البوصيري رضي الله تعالى عنه حيث قال:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

من ادعى إذن الشيخ اليوم في ذلك أو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مناما ندينه لأن المقام ليس بمقام جدال ولا مراء ونتبع ما رجع إليه شيخنا رضي الله تعالى عنه وجرى به العمل بعده لأن المرجوع عنه منسوخ كما قاله بعض الأصوليين كالقرافي وأبي إسحاق والشاطبي وغيرهم من أهل الأصول لو راجعت محوات إمامنا مالك في مذهبه ورجوع إمامنا الشافعي عن كثير من كلامه القديم إلى كلام جديد لا تستغرب رجوع سيدنا رضي الله تعالى عنه عن إحدى عشرة لا اثنتي عشرة فإن كنت من يجوز النسخ في كلامه تعالى فما منعك أن تقبله وتجيزه في كلام الأولياء رضي الله تعالى عنهم أجمعين إن منت ذا عقل سليم وفهم صميم واعلم هدانا الله وإياك وجعل الجنة مثوانا ومثواك أنه لا تتم الإرادة والفقر في طريق القوم إلا بمتابعة المريد شيخه متابعة الظل شاخصه وإلا فالميم مفتوح ونية الاقتداء واجبة على المأموم كما في كتب الفقه وإذا تقرر وجوبها المتابعة الظاهرية فما تقول في الباطنية قلت:

وما لنا إلا اتباع أحمدا لنقتفي آثار من قد اهتدى

كان ادعاء غير ما جرى العمل عليه الآن من اثنتي عشرة اعتراض على الشيخ رضي الله تعالى عنه والعياذ بالله قال سيدنا الشريشي في رائيته:

لا تعترض يوما عليه فإنه كفيل بتشتيت المريد على هجر

ومن يعتـرض والعلـم عنـه بمعـزل   يرى النقص في عـين الكمـال ولا يـدر
ومـن لم يوافـق شـيخه في انقـاده   يظل مـن الإنكـار في لهـب الجمـر
فذو العقل لا يرضـى سـواه وإن نـأى   عن الحق نأي الليـل عـن واضـح الفجـر

وقلت في ذلك أبياتا:

يا من قـرأ اليـوم إحـدى عشـرة جـوهرة   خالفـت آخـر مـا للشـيخ مـن عمـل
سـلم لمـا سـلمت أشـياخنا الخلفـا   ولا تكـن ذا اعتـزال ملقـى الجـدل
إن كنـت مـأموم هـذا الأمـر فاقتـدين   وارجع كمـا رجعـوا تسـلم مـن الخلـل
فكيـف تقبـل نسـخا في كـلام جليـ   ـل ثم تنكـره في العـاجز اعتـدل
أهـل الإجـازات والتـأليف مـا جهلـوا   مـا في الجـواهر حـرر تحـظ بالأمـل
مـن ادّعـي اليـوم كشـفا في تخـالفهم   فكشـفهم سـابق والسـابقون تلـي
والشـيخ يـا سـائلي حقـا مقلـده   لا عيـب في كونـه مهمـا يمـل يمـل
هـذا ولا تبغضـوا يـا إخـوتي أحـدا   من أهـل الإيمـان بـل كـان مـن خطـل
ثم الصـلاة وتسـليم الإلـه علـى   مـن كـان تقريـره مثـل الكـلام جلـي
وآلـه المهتـدين الخـيرة الكرمـا   نجـوم اتبـاع خـير الخلـق والرسـل

ونقول لك أيضا بعد ما ثبت أن اثنتي عشرة من تقرير الشيخ رضي الله تعالى عنه إن الأولياء لا يجوز لهم تقرير أحد على خطإ لأنّهم ورثة الأنبياء وهم كما قال شيخنا السنوسي أرسلوا ليعلموا الناس أقوالهم وأفعالهم وسكوهم انظـر تقريـره صلى الله عليه وسلم قول سيدنا ابن عمر بحضوره أحلت لنا ميتتان ودمان: المسك والجراد والكبد والطحال. فأقره صلى الله عليه وسلم وهو لا يقر على خطإ وإن صدر من غير مكلف.اهـ راجع البيجوري على السنوسية وهذا القدر كاف لمن أنصف. اهـ

واعلم أيضا أن بعض الإخوان اختلفوا في إعراب الحي القيوم في أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، مع أن الأمر هين لجواز النصب والرفـــع. وقال سيدنا علي بن سليمان الدمناتي المغربي المالكي في نفع قوت المغتـــذي علـــى جامع الترمذي في أبواب الدعوات، قال الطيبي يجوز في الحي القيوم نصبه صفة لله ومدحا، ورفعه بدلا من هو أو خبر هو حذف مدحا.اهـــ

فائدة: وفي الحطاب مسألة شاع في كثير من كلام العلمـــاء كراهـــة إفـــراد الصلاة عن السلام وعكسه وممن صرح بالكراهة: النووي قال السخاوي: يكـــره في القول البديع وتوفق شيخنا يعني ابن حجر في إطلاق الكراهة وقال: فيه نظـــر نعم يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى في وقت وسلم في وقـــت آخر فإنه يكون ممتثلا انتهى. قال ويتأيد بما ذكره في خطبة مسلم والتنبيه وغيرهما من مصنفات أئمة السنة من الاقتصار على الصلاة فقط. وقال قبله استدل بحديث كعب وغيره على أن إفراد الصلاة عن التسليم لا يكره وكـــذلك العكـــس لأن تعليم التسليم تقدم قبل تعليم الصلاة. اهـــ

فائدة أخرى في فضل صلاة الفاتح:

وفي الجامع بعد ذكر بعض خصائص صلاة الفاتح فإن قلت ربما يطلع بعـــض القاصرين على هذا القول فيقول إذا كان هكذا كما ذكرتم فينبغي الاشتغال بهـــا أولى من كل ذكر حتى القرآن قلت فإن تلاوة القرآن أولى لأنها مطلوبة شـــرعا لا لأجل الفضل الذي ورد فيه بل لكونه أساس الشريعة وبساط المعاملة الإلهية ولمـــا ورد في تركه من الوعيد الشديد في الخبر ففي الآية على أحد التأويلات فلهذا لا يحل لقارئه تركه. وأما فضل الصلاة التي نحن بصددها فإنه من بـــاب التخـــيير لا

شيء على من تركه وثانيا أن هذا الباب ليس موضوعا للبحث والجدال بل هو من فضائل الأعمال وأنت خبير بما قال العلماء فيها من المسامحة وعدم المناقشة.اهـ

فقلت ناظما معنى ذلك:

وإن تـرد نيـل المـراد والوصـول	لربنـا البـر المهيمن الوكيـل
فلازمـن ذكـر صـلاة الفـاتح	لأنهـا بـالحق كالمفـاتح
ياقوتـة فاتحـة الأسـرار	وفضـلها جـل عـن الأفكـار
إن كـان إذن واعتقـاد صـححا	عمن لـه الإذن الصـحيح وضـحا
عـن شـيخنا أو أهلـه المحققـين	كذا أتـى عـن الكـلام المسـتبين
وإنمـا الخصـوص للخصـوص	وللعمـوم العكـس في المنصـوص
وإن أتى الخصـوص خصّصـن بـه	وللعمـوم عمّمـن وانتبـه
تنجـو مـن اعتراضـك الكبـارا	بـذلك التفصـيل فـاخش النـارا
قد بـرزت عـن حضـرة البكـري	وانتشـرت عـن قطبنـا العلـي
مـن بعـد مـا أمـر بـالرجوع	لهـا والاعتنـا عـن الشـفيع
فقـد كفـى في الفضـل ذا الأمـر	يقظـة عمـن لديـه الخـبر
ولا ينبئـك في التحقيـق	مثـل خـبير عـالم الـدقيق
ومـا توجـه إلى الرحمـان	بمثلـها يـا طالـب العرفـان
عبـد كـذا عـن شـيخنا التجـاني	عـن الرسـول سـيد الأكـوان
لم تتركن ما شذ أو فـذّ مـن الـ	ـآثام عـز ربنـا الـبر وجـل
وليسـت الصـلاة مـن تـأليف	سـيدنا البكـري في المعـروف
إن لـه مـدة مديـده	في مكـة المحروسـة المجيـده

يطلب عند الله من صلاة جامعة كل الخصوصيات

ثم أتت ورقة من نور من حضرة الغيب على التحرير

مكتوبة فيها صلاة الفاتح كذا أتى عن التجاني الناصح

وقد أتى وردة الجيوب سبحان رب عالم الغيوب

ومرة منها بستمائة ألف وباعدنّ أهل المرية

لأنّهم يأتون بالوسوسة فكنت في تردد وحيرة

إذ قال قائل وإن قلتم كذا فلنتركن جميع ما قد أخذا

لعلكم تفضلونها على كلام رب جل شأنا وعلا

قل ذاك من فضائل الأعمال ما في جواز الترك من جدال

ليس محل البحث والقياس فضائل الأعمال عند الناس

أما كلام ربنا المجيد فتركه يدخل في الوعيد

ومعرض عن ذكره تعالى فعيشه ضنك فع المقالا

ولفظه فمتعبد به والفرق بيّن لدى المنتبه

تفضيله على جميع ما أتى من الكلام واضح قد ثبتا

وذاك من حيثيتين جاءا سبحان رب فاعل ماشاءا

وكونه كلام ذات الله فإنه الأولى بلا اشتباه

وإنه في هذه المرتبة فلم يوازنه كلام ثقتي

وما من العلوم والآداب معارف دل بلا ارتياب

فلم يوازنه به كلام أيضا أتاك الرشد والمرام

وإن تقل ليس بها سلام إفرادها للفقها يذام

قلنا فإن أمرها إلهي ذاك مفوّض لأمر الله
لو اطلعت كتب الحديث لا تستغرب الإفراد من حيث جلا
وقد أتتنا صلوات جيده على النبي العربي مفرده
إلا ترى الصلاة في التشهد على النبي الأمر بالتفرد
والكره إن لم تأت بالسلام من بعد الصلاة حققن واستبن
والواو ليس تقتضي ترتيبا في العطف عندهم ولا التعقيبا
بل من أتى الصلاة في وقت وفي آخر بالسلام إنه يفي
ثم الصلاة وسلام الله على النبي المصطفى الأواه
وآله وصحبه الأعلام ما أنزل الغيث من الغمام

تنبيه: إن المؤمن ما دام يؤمن بالله وبرسوله لا يجوز بعض ذاته وإنما تبغض صفاته المذمومة عند الشرع. قال الشيخ محي الدين بن العربي قال: كنت أبغض إنسانا لكونه يسب شيخي فلانا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لي لم تبغض فلانا يعني ذلك الشخص؟ فقلت: لأنه يسب شخي فلانا. فقال: أما علمت أنه يحب الله ورسوله وفي قلبه الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر فهلا أبغضت الصفة التي أبغضته بسببها وأحببته من حيث كونه يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر؟ فقلت: تبت يا رسول الله وجزاك الله من معلم خيرا.اهـ

قال الشعراني: فالإيمان في قلب العبد كعمود من نور، والذنوب والمعاصي كالمعاليق علقت بذلك العمود فإذا أبغضت عبدا لمعصيته فليكن البغض لتلك المعصية لا لذلك العمود.اهـ

قلت وإنما نبهتكم أيها الإخوان على هذا لئلا يحملنكم التعصب والحمية على بعض المؤمنين كما هو دأب كثير من أهل هذا الزمان. نجانا الله وإياكم من كيــد الشيطان.

ولله در قول مقدم البركة إنسان عين الشريعة والحقيقة محمد بــن انبوجــة التيشيتي رضي الله تعالى عنه في آخر سيرته على الشيخ ردًّا للشيخ على رد الشيخ (أُدَيْيج) لما بالغ في إنكار الطريقة التجانية:

ولم أرد بمــا بــــدا في شــأنه — تســـورا علــــى حمـــى إيمانـــه
بـــل لم أزل وإن غـــلا لســـاني — أرعـــى لـــه أخـــوة الإيمـــان
ســــدده الله إلى التوفيـــــق — لســــبل الرشـــاد والتحقيـــق
فليحـــذر النـــاظر أن يســـيئا — ظنـــا بـــه في غـــير مـــا قـــد ريئـــا
لنـــا الـــذي بـــدى لنـــا أمـــره — والله أعلـــم بكنـــه ســـره
وليســـت أزدريـــه ذا المنتقـــد — ولا أرى فضـــلا عليـــه لأحـــد

إلى أن قال:

إذ أمــــر خاتمتـــه منبـــهم — أحســـنها لـــه الكـــريم المـــنعم
ومـــا لمـــن نـــافح أن يعـــادي — غير قبـــيح الفعـــل مـــن ذا العـــادي
وإنمـــا أقمـــت هـــذه العصـــى — عليـــه تأديبـــا لـــه كمـــا عصـــى
إذ قيـــل لا يرتـــدع العصـــيّ — إلا إذا أقيمـــــت العصـــــيّ
وليســـت العصـــا عصـــاي إنمـــا — هـــي عصـــا فـــاطر الأرض والســـما
أقامهـــا علـــى عبيـــد جرءتـــه — لمـــا اســـتخف بعبـــاد حضـــرته
ولم يـــزل رب الـــورى المهـــيمن — مـــدافعا عـــن الـــذين آمنـــوا

أمـــا أنـــا فـــإنني في الجملـــه   وغيرهـــا أرى علـــيّ فضلـــه

إلى آخر كلامه.اهـ

حكاية: يتسلى بِها المتسلي في حاشية البيجوري شرح الجوهرة أيضا حكـي عن الشيخ عفيف الدين الزاهد أنه كان بمصر فبلغه ما وقع ببغداد من القتل فإنـه وقع السيف فيها أربعين يوما فقتل ألف ألف وعلقت النصارى مصاحف في أعناق الكلاب وجعلوا المساجد كنائس وألقوا كتب الأئمة في الدجلة حـتى صـارت كالجسر تمر الخيل عليها فأنكر الشيخ عفيف الدين ذلك فقال: يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له فرأى في النوم رجلا ومعه كتابا فأخذه فإذا فيه:

دع الإعـراض فمـا الأمـر لـك   ولا الحكـم في حركـات الفلـك

ولا تسـأل الله عـن فعلـه   فمـن خـاض لجـة بحـر هلـك

الفصل السادس

في النقد ونكث العهد

وإنما عقدت هذا الفصل فيما لا يسمى إنكارا وهو أشد منه للتنبيه والتمحيض لا للخوض والتنقيص.

اعلموا هدانا الله وإياكم إلى رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه إنه لما توفي سيدنا وإمامنا رضي الله تعالى عنه قام أناس أفاضل يدعون الإذن في الغيـب والانتساب في طريقته المحمدية الأحمدية غيبا. قلت لا تنكر ادعاء الإذن في الغيب لأنه غيبي ولا يعلم الغيب إلا الله ومن أطلعه عليه وذلك ممكن وإنكـار الممكـن

ضلال، وأما الانتساب إلى الشيخ فلا يصح إلا بتحمل شروط الطريقة كما سيتبين لك وهذا الطرف هو باعثنا على عقد هذا الفصل تأمل وقال صاحب المنية:

يعطـــى لكـــل مســـلم تحمـــلا عـــدم زور الأوليـــآ مســـجلا

وفي إجازة سيدي الطبيب السفياني فإن الوقوف عند ما حده المشائخ الكمال رضي الله عنهم في طرقهم واجب في حق المتقيّد بطرقهم كما لا يخفى إذ كلـــهم مجتهدون وليس قول المجتهد في مسألة بحجة على غيره كما هو مقرر بالجملة فالسر في صدق الوقوف عند إشارة الكمال وعدم تخطيتها إلى غيرها باختيار من المتقيـــد بطرقهم والله ولي المتقين. اهـــ

والمدعون ما قلنا كانوا على فرقتين فرقة ادعوا ذلك و التزموا أهل الطريـــق المتحققين وساروا بسيرهم من بناء الزوايا وقراءة الوظائف فيها ومواصلة أهلـــها وهؤلاء لا يتوجه الكلام إليهم للفضل والموافقة لأنهم قليلون وإنما ذكرهم احتياطا وتقديرا لأنا ما سمعنا أحدا في قطرنا يدّعي ذلك متصفا بذلك الوصـــف ولكـــن أخبرت بشريف بصير من أهل الشام ورد على قطرنا السنغالي يدعى ذلك وقـــد أجاز في (اندر) الشيخ الكريم مقدم البركة سيدنا محمد كِبِ المشهور ب(مُورْ كِبِ بصم) الميم وسكون الراء وكسر الكاف والباء المخففة عند البعض والبعض ينطق به بالتشديد وما لقيته وهو على ما شاء الله من الشرف والعلم والصـــلاح كمـــا حكاه غير واحد من الذين يوثق بخبرهم فأمرهم مفوض إلى الله وفرقة ادعوا ذلك مع عدم الإلتزام والسير بسيرة الشيخ رضي الله تعالى عنه وذلك أشد من الإنكار في هدم قواعد الطريقة التجانية ولكن التلبيس لا يسمى إنكارا أو لســـانهم يـــبني وحالهم لأن لسان الحال أصدق من لسان المقال فبهم يغتر كثير من عوام الطريقة

وتنسلخ عنها وهو لا يشعر فيدخلون في الوعيد وهذا هو الداء العضـــال اهــــ

وقال:

تناقض مـــا لنـــا إلا الســـكوت بـــه فنســـتعيذ ببارئنـــا مـــن النـــار

والمنكر بما رجع عن الإنكار ومدعي ما قلنا قلما رجع عن دعـــواه لغلبـــة الدعوى عليه وكثير من المدعين كرى صبيان للأحوال الكرى بضم الكاف جمـــع كرة وهي معروفة إذا غلبت عليهم وتجدهم غالبا لا يميزون بين الأحـــوال وبـــين المقامات وبين ماهم وبين ما لغيرهم كأنهم ما أرادوا إلا نقل كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه الذي تلقاه عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ونقضه لكن ذلك إن كان بقدم الولاية فالشيخ أكمل منهم إذ هو الممد للكل كما قال سيد الوجـــود صلى الله عليه وسلم إن كان بقدم النبوة فلا نبي بعده صلى الله عليه وسلم فيـــا ليتهم نصحوا للمسلمين وبينوا لهم ما هو الحق من نقض المبايعة والعهد في ديننـــا المحمدي وفي طريق القوم فالوعيد على ذلك شديد عند أهلها ولا ســـيما وعيـــد صدر منه صلى الله عليه وسلم بواسطة القطب المكتوم لو علموهم إن كانوا على بصيرة بان من بايع أحد من المقدمين المحققين كان كمن بايع الشيخ رضي الله تعالى عنه لم يجترئوا وأعلى النقض. اهـــ

وفي روح البيان عند قوله تبارك وتعالى. ((فإن يتوبوا يكن خير لهم))الآيـــة أي يرجعوا إلى ولاية الشيخ بطريق الإتجاء يك خيرا لهم بأن يتخلصوا من غـــيرة الولاية وردها فإنّها مهلكة ويتمسكوا بحبل الإرادة فإنها منجيـــة وإن يتولـــوا أي يعرضوا عن ولاية الشيخ ((يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة)) بعـــد رد الولاية فإن مرتد الطريقة أعظم ذنبا من مرتد الشريعة قال الجنيد لو أقبل صـــديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله فأما عذابه في الدنيا

فبسلب الصدق والرد على باب الطلب وإرخاء الحجاب والذلة وتقوية الهوى وتبديل الإخلاص بالرياء والحرص على الدنيا وطلب الرفعة والجاه، وأما عذابه في الآخرة فباشتعال نيران الحسرة والندامة على قلبه المعذب بنار القطيعة وهي: ((نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)). ((وما لهم في الأرض ولي ولا نصير)). يشير إلى أن من ابتلي برد ولاية شيخ كامل ولو امتلأت الأرض بالمشائخ وأرباب الولاية وهو يتمسك بزيل إرادتهم غير أن شيخه رده لا يمكن لأحدهم إعانته وإخراجه من ورطة الرد.اهـ

وفي فرائد الفوائد وقال ابن حجر: ومن يريد التبرك يجوز له الأخذ من مشائخ متعددين ومن يريد السلوك والتربية يحرم عليه الخروج عن شيخه بل لأن رخصة عندهم للشيخ الثاني إذا علم أن للمريد الآخذ عنه أستاذا كاملا بل يأمره بالرجوع لأستاذه ولكن يتعين عليه على مصطلح القوم السالمين من المحذور واللوم أن لا يقتدي إلا بمن جذبه إليه حاله قهرا عليه أو يعلم منه الإحاطة بعلمي الشريعة والحقيقة فحينئذ يتعين عليه الاستمساك بهديه والدخول تحت أوامره و نواهيه ورسومه حتى يصير كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء. اهـ

فائدة: وفي المواهب القدسية الباب الأول في كيفية تلقين أوراد كل طريق وسندها متصل بالتحقيق، اعلم أن ذكر الله هو العمدة في الطريق ومعول أهل التوفيق وبالمداومة عل الأذكار ينال المرغوب ويتوصل إلى كل مرغوب ومطلوب وبه تندفع الأكدار والمفاسد والمضار وبه تنجلب الأنوار والأسرار بقدرة الملك الجبار.

وصفة التلقين وكيفيته عند أهله هو أن: يقول الملقن بكسر وهو الشيخ للملقن بالفتح وهو التلميذ انو التوبة من كل ذنب ويستغفران الله ثلاثا ثم يجلسان

معا على هيئة الجلوس للصلاة مع الصاق ركبتين الملقن بالكسر وهو الشيخ بركبتي الملقن بالفتح وهو التلميذ ثم يقرأ الشيخ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما))، ثم يقول الشيخ للتلميذ: قل أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا، والتلميذ يسمع ثم يقول التلميذ كذلك، ثم يقول الشيخ للتلميذ غمّض عينيك فيغمض كل واحد منهما عينيه ويقول الشيخ لا إله إلا الله ثلاثا نافيا لجهة اليمين مثبت لجهة اليسار والتلميذ يسمع ثم يقول للتلميذ قل: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالكعبة قبلة وبالقرآن إماما وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسولا نبيا وبالشيخ سيدي فلان ابن فلان الفلاني شيخا وبأهل تلك الطريقة يعني طريقة ذلك الشيخ إخوانا لي ما لهم وعليّ ما عليهم السنة والطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا والناجي يأخذ يد صاحبه والملقن يتبعه في ذلك كله ويقول مثل مقالته ثم يأخذ بيد الشيخ تلميذه ويقول له قد أجرتك بالطريقة الفلانية به بما اشتملت عليه من الأوراد والأذكار والأحزاب والوظائف والأسرار والدعوات والفتوحات والأنوار

والصلاة على النبي المختار آناء الليل وأطراف النهار

إجازة تامة مطلقة عامة بشرطها المعتبر وقيدها المقرر كما أجازني شيخي وسيدي فلان ابن فلان الفلاني يعني شيخه الذي أخذ عنه ولقنه ذكر تلك الطريقة وأوصيك ونفسي بتقوى الله تعالى ومراقبته في سره ونجواه ولا تنسني من صالح دعواتك في خلواتك وجلواتك ثم يقرأ الشيخ قوله جل جلاله ((يا أيها النبي إذا

جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يــزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلــهن ولا يعصــينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم)) ثم يقرءان معــا الفاتحــة لشيخ تلك الطريقة وأخرى لأصحاب تلك السلسلة وأخرى لصــاحب الوقــت وأخرى للنبي صلى الله عليه وسلم.اهــ

وفي كتاب تنوير الصدر على حزب البحر للعارف بالله تعالى سيدي الشــيخ عمر الشبراوي الخلوتي الشاذلي الأحمدي أمدنا الله بإمداده ونفعنا به آمين فائــدة جليلة تصلح لأن تكون خاتمة لهذا الشرح وهي مشتملة على بيان كيفية العهــد والتلقين في جميع الطرق،

واعلم أن العهد لغة التزام شيء ليوفى به في المستقبل حقا كان أو باطلا ومنه تعاهدت بنو فلان على كذا وشرعا التزام قربة دينية كالتزام الأنصار أنهم يحمون النبي صلى الله عليه وسلم بما تحمون منه نسائهم وأولادهم والأصل فيه قوله تعالى ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)) الآية وقد ثبت من فعله صلى الله عليــه وسلم وشرطه كمال الشيخ وانقياد المريد ووجود التسليك والأصل في التلقين ما رواه الطبراني والبزار وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لقن أصحابه كلمة لا إله إلا الله جماعة وفرادى بعد أن سبق تكرارها منهم من وقت الإسلام إلى ذلــك الوقت فأما تلقينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه جماعة فقال شداد بن أوس رضي الله تعالى عنهما: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رســول الله صــلى الله عليه وسلم: ((هل فيكم غريب)) يعني من أهل الكتاب؟ فقلنا: ((لا يا رســول الله)). فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بغلق الباب وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا وقلنا: ((لا إله إلا الله)) ثم قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: ((ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم)). وأما تلقينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه فرادى فقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله دلّني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى سرا وجهرا)) فقال علي كرم الله وجهه: ((كل الناس ذاكرون يا رسول الله وإنما أريد أن تخصني بشيء))، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مه يا علي أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله ثم قال علي كيف أذكر يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال رسول الله غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قل أنت لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع ثم رفع رأسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال لا إله إلا الله ثلاث مرات وعلي يسمع ثم إن عليا كرم الله وجهه رفع رأسه ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال لا إله إلا الله ثلاث مرات والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع. هذا أصل سند القوم في التلقين وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بغلق الباب إشارة إلى أن طريق القوم مبنية على الستر وصفاء الوقت وأنه لا ينبغي أن يذكر كلامهم بحضرة من ليس منهم ولا يعتقد فيهم.

واعلم أن من فوائد التقين ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الله عز وجل وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك حلقة نفسه تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرة الله عز وجل فمن لم يدخل في طريقتهم بالتلقين فهو غير معدود منهم، وإذا تحرك لا يجيبه أحد.

ومن آداب التلقين ومما يستحسن له أن يأمر الشيخ المريد قبل ذلك أن يبيت ثلاث ليال على طهارة ويصلي كل ليلة ست ركعات يقرأ في الأولى الفاتحة مرة وإنا أنزلناه ست مرات، وفي الثانية الفاتحة وإنا أنزلناه مرتين ويسلم ويهدي ثواب ذلك إلى روح النبي ﷺ ويستمد من حضرته ﷺ القبول والعون والفتح ثم يصلي ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة والكافرون خمسا وفي الثانية الفاتحة والكافرون ثلاثا ويهدي ثواب ذلك إلى أرواح الأنبياء والمرسلين والأولياء ويستمد منهم ذلك المتقدم ذكره، ثم يصلى ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة والإخلاص أربع مرات، وفي الثانية الفاتحة والإخلاص مرتين ويهدي ثواب ذلك إلى مرشده ومشائخه ويستمد منهم القبول والعون والفتح، ويصلي على النبي ﷺ عشر مرات ويقول في الأخيرة منها وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحبهم أجمعين عدد خلق الله بدوام الله فإن كان يحسن ما تقدم فعل وإلا قرأ في الجميع سورة الإخلاص وإلا فبالفاتحة فقط ثم يجلس متربعا ويشرع في قوله جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا ﷺ ما هو أهله ألف مرة كل ليلة عند نومه ويكون ذلك آخر عمله في فراشه حال كونه مستحضرا للنبي ﷺ كأنه يراه متأدبا بين يديه ذلك الاستحضار وهو واضع جنبه على فراشه حينئذ وهو يذكر ليأخذه النوم على ذلك فإن كان المريد شريف الاستعداد حصل له من ذلك وقائع حسنة في أول مرة ليتبين حاله واستعداده قبل تلقينه الذكر وإذا أراد الشيخ غير ذلك العدد بأزيد أو أقل جاز على حسب نظره في المريد أو بغير ذلك بنحو ما تقدم ثم يوصيه بعد ذلك قبل أن يقوم بين يديه فيقول له اسمع وصيتي إليك واعمل بها كما ألزمت نفسك عهد الله اتق الله تعالى

في سائر أحوالك وأخلص في جميع أعمالك ولا تلتفت للغير أبدا وعليك باتباع الكتب والسنة والجماعة فإنها الطريق الموصل إلى الله تعالى ولا تعمل لملاحظة الإكرام لك ولا خوفا من العقاب ولا طمعا في الثوب بل القصد رضى الحق تعالى عليك والثواب حاصل ولا بد وعليك بالإحسان للخلق بتوقير الكبير والرحمة للصغير وإياك والغرور وعليك بالورع عن كل ما فيه شبهة وعليك بمجالسة من يدلك على الله تعالى بقوله وفعله وحاله. وإياك وحب الشهرة بالمدح وإن ضاقت الأمور عليك فإن الله يقول: ((فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا))، ولن يغلب العسر يسرين واطرح ما بيدك من الحرام واسع في كسب الحلال وألزم قلبك التفكر وعود عينيك السهر واجعل الذكر أنيسك والحزن جليسك والزهد شعارك واقطع نهارك بالجوع والعطش وليلك بالسهر والبكاء والتفكر في ذنوبك السالفة ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسراك والصراط تحت قدميك والميزان بين يديك والرب مطلع عليك يقول ((اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)) وترك المعصية أولى لك من التوبة من الذنب ولذا قال بعض العارفين:

فرض على الناس أن يتوبوا ... لكن ترك الذنوب أوجب

والدهر تصريفه عجيب ... وغفلة الناس عنه أعجب

والصبر في النائبات صعب ... لكن فوت الثواب أصعب

وكلما يرتجي قريب ... والموت من ذاك فهو أقرب

قال شيخنا البهي نقلا عن رسالة الشيخ المنير هذا إن ما قاله شيخنا البيهي الشاذلي المذكور عام في كل الطرق كما علمت.اهـ

تنبيه: اعلم رحمك الله أن أخذ العهد على خمسة أقسام:

١.أحدها أخذ المصافحة والتلقين بلا إله إلا الله

٢. وثانيها أخذ محبة مع المشاركة لهم لا قراءة حزب كان له من أحزابهم بدليل قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي: من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا من الرحمة

٣. وثالثها: أخذ الرواية لكتبهم وأحزابهم من غير حل لمعانيها بل للتبرك

٤. ورابعها: أخذ دراية وهو قراءة كتبهم وأحزابهم مع إدراك معانيها من غير عمل بمقتضاها

٥. وخامسها: أخذ تدريب وتهذيب وترق في الخدمة والإستغراق في التوحيد والبقاء. اهـ

وفي لطائف المنن لسيدنا الشعراني رضي الله تعالى عنه ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي عدم أخذ العهد على من مريد نكث عهد شيخه وجاءني يجعلني شيخه وكذلك مما أنعم الله به علي عدم إظهار البشاشة له وفاء بحق شيخه الذي نكث عهده وما بش شيخ في وجه من نكث على شيخه إلا مقت هو وذلك المريد وكان من خلق سيدي علي المرتضى والشيخ محمد الشناوي أن لا يأخذ أحدهما العهد على مريد إلا بعد أن يقول له هل تقدمت لك صحبة مع أحد فإن قال نعم قال اذهب إلى سبيلك واعلم أنه لا ينبغي لكل من برز للمشيخة في هذا الزمان أن يتلاعب بالطريق فيأخذ العهد على المريد صورة وليس معه مدد يمده به لأن ذلك نفاق والمنافق لا يكون داعيا إلى الله تبارك وتعالى. وفي بعض الآثار: لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظون الناس والناس لا يشعرون أن ذلك الواعظ شيطان إلى أن قال أيضا وكان سيدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله تعالى الرحمة الواسعة يقول ما أعز الطريق وما أعز من يطلبها وما أعز من يصدق

في طلبها وما أعز من يجد من يدله عليها وما أعز من يصبر تحت تربية شيخه حتى يفطمه.اهـ

فائدة أخرى: في درر الغواص في فتاوى سيدي علي الخواص أيضا: وسألته رضي الله تعالى عنه عن سبب طرق الأولياء وكثرتها مع أن المطلوب عند الجميع واحد لا تصلح فيه القسمة ولا يقبلها؟ فقال: إنما تعددت الطرق لتعدد القوابل والإستعدادات لأنه لا يدرك الإثنان بصفة واحدة أبدا ومحال أن يوجد الحق تعالى موجودا عند واحد ويكون مفقودا عند آخر كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: (كل يوم هو في شأن) واليوم هو الزمن الفرد الذي لا يدرك وكذلك أشار إليه قوله تعالى: ((وسع كل شيء رحمة وعلما)) فالرحمة عين الذات والعلم صفتها فافهم.اهـ

وفي الأنوار القدسية في الطريق الشاذلية لسيدنا محمد بن الأستاذ محمد حسن بن حمزة إلخ من بعد ما قدم ما ملخصه: إن مبني طريق القوم رضي الله تعالى عنهم على أساس قواعد الشريعة المطهرة وأصول السنة الشريفة المقررة إلخ. وهو رضي الله عنهم وإن اختلفت اصطلاحاتهم في مقامات التربية لإختلاف الأزمنة والأمكنة وأحوال المريدين فالمقصود الجامع واحد وهو: الإخلاص في العبادة المشار إليه بقوله تعالى: ((وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)) فلم يشر أحد منهم رضي الله عنهم إلى غير ذلك والإرشاد إلى مسلك غير التقوى ومراقبة الله تعالى في السر والنجوى في سائر الأحوال والمسالك ولكل مقام مقال ولكل وقت دولة ورجال ولكل طريقة اصطلاح وقتي يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان ولذلك ترى في الطريقة الشاذلية ما يخالف الطريقة القادرية، وفي القادرية ما يخالف

الطريقة الرفاعية إلى أن قال رحمه الله تعالى: وليس للجميع مقصد غير الذات المقدسة العلية، والصفات المنَزهة السمية. وإلى ذلك أشار من قال:

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكل إلى ذلك الجمال يشير

ومن قال:

وقل ليس لي في غير ذلك مطلع   فلا صورة تجلى ولا طريقة تجنى

فيلزم في حقهم التسليم لأنهم عاملوا الله بقلب سليم وما جهلناه من أمرهم يسعه حسن الظن بهم ((وفوق كل ذي علم عليم)). وفي الحديث الشريف: خصلتان ليس فوقهما من الخير شيء: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله. ولذلك قال بعضهم: الاعتقاد ولاية والانتقاد جناية إن عرفت فاتبع وإن جهلت فسلم ورحم الله من قال:

صاح إن لم تر الهلال فسلم   لأناس رأوه بالأبصار

قلت: والحاصل مما دلت عليه الشواهد ما رأينا في طرقتنا الأحمدية تلبيسا أعظم من تلبيس من يدعي الإذن في الطريقة من غير أهلها مع عدم التزام شروطها ظنا منه أن له مقاما في ذلك حتى يطلب من يدخله مدخله وذلك الظن لا يليق عند من له أدنى إلمام بعلم طريق القوم ومبايعتهم وشرائطهم على أتباعهم، وهذا النوع كثير في زماننا سواء في ذلك الحمر والسود لأنا قلما سمعنا أحدا كان أحمر أو أسود ظهر اليوم مدعي الولاية إلا وقال: إن له أهلية في ذلك على ذلك لو كان ممكنا فيما اعتقده، أهل الطريق جعلنا الله منهم لا يؤمر الشيخ رضي الله تعالى عنه بترك جميع ما أخذه والله أعلم.

ولم يبق لنا إلا أن نقول إن هذا الزمان يخير ويحير فإن نظرت إلى بعض الأحوال والأوصاف خيرك، وإن نظرت إلى دعوى ما لا تقبله العقول والبصائر

السّليمة حيّرك وهو كما قيل: زمان سكوت ولزوم البيوت فمن قال بالحق يموت أو يضرب بالنبوت. قوله النبوت: وهو: كالتنور الفرع النابت من الشجر ويطلق على العصى المستوية لغة مصرية. اهـ

من تاج العروس كان المتساهلين في نقص الشروط ما فهموا قوله تبارك وتعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)) أي العهود التي دخل فيها عقود المشائخ كما سيأتي.

وفي تفسير الجلالين في عند تفسير العقود في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أي: العهود المتأكدة التي بينكم وبين الله وبين الناس.

وفي حاشية سيدنا الصاوي على الجلالين قوله: بينكم وبين الله كالمأمورات والمنهيات. فالوفاء بالمأمورات فعلها، والوفاء بالمنهيات تركها. ودخل في قوله وبين الله العهد الواقع بين العبد وبين رسول الله ﷺ فيجب على الإنسان الوفاء به بأن يؤمن به ويصدق بما جاء به ويعظمه ويحترمه ولا يخالف ما أمره به أصلا. وقوله: وبين الناس: كالمعاملات من بيع، وشراء، ونكاح، وطلاق، وتمليك، وتخيير، وعتق، ودَين، ووديعة، وصلح ومن ذلك أيضا: احترام المؤمنين وتعظيمهم وعدم غيبتهم وإيذائهم والنميمة، والكذب عليهم ومن ذلك وفاء المريدين بعهود المشائخ على مصطلح الصوفية. اهـ

ولما كان كلامنا نفثة مصدور للتناقض الواقع في هذه الدعوى ولا بد للمصدور أن يسعل. قلنا نحن بقايا الطريق غير آمنين مكر الله لقوله تعالى: (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ولا مزكين أنفسنا لقوله تعالى: (ولا تزكوا أنفسكم) قائلين ما حكى الله تبارك وتعالى في خبر نبيه الكريم سليمان بن داوود على نبيينا وعليهما الصلاة والسلام فارّا من رؤية النفس: ((هذا من فضل ربي

ليبلوني أأشكر أم أكفر)) الآية. فكيف يمكن أن يأمر النبي ﷺ قدوتنا للسلوك على هذا الطريق وشرط عليه شروطا وأمره أن يشترط تلك الشروط على كل من أراد السلوك فيها قبل المداخلة فإن قبل بها فأخذ بالسنة أي الطريقة المعروفة ونعمت الطريقة وإلا فلا. ثم بعد ما عمل هو وأتباعه ذلك الشرط حتى يفارق الدنيا رضي الله تعالى عنه ادعى أحد أن له الإذن في الطريق غيبا بعينها ولم يشترط عليه شيء فإن قال إن ذلك الإذن منه ﷺ قلنا كما لا يصلح رسولان في شريعة واحدة كل على سنته في تلك الشريعة كذلك لا يصلح للوارثة شيخان في طريق واحد كل على سيرته فيها وإن قال إنه أي الإذن من الشيخ رضي الله تعالى عنه قلنا ما سمعنا قط من بنى طريقا على قواعد وشروطا وعمل بها هو وأصحابه مع التزام تلك الشروط جميعها مدة طويلة ولم يكن لأحد رخصة على عزائمها قيد حياته ولم تفعل ذلك خلفاؤه بعده رضي الله تعالى عنهم فكيف يقبل ذو عقل سليم أنه رخص لأحد في ترك شيء من تلك العزائم بعد موته ولاسيما من لم يكن من أهل الطريق، وإن قال إن الإذن من بعض المقدمين المفرطين بالراء المكسورة المشددة من التفريط قلنا لا عبرة بصلاة مأموم يخالف إمامه ثم الكلام في هذا كله على من قدم المبايعة في الطريق أو أراد أن يكون تجانيا حقيقيا أي طريقا وأما غيرهما فما لنا عليه من سبيل أنه لا حجر على أحد في أسماء الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ لأن للأسماء إذنا عاما لقوله تبارك وتعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) الآية، فلا حجر وإذنا خاصا وهو الذي كنا نتكلم عليه فافهم وتأمل بارك الله فيك. اهـ

قال سيدنا عبد الكريم بن العرب بنيس رضي الله تعالى عنهما في درته: التجاني طريقة شخص مسلم عقل القربة وإن صغيرا، لقنه متأهل، أخذ عن مثله

إلى الشيخ، ذكرها اللازم والتزم الدوام عليه للموت، وترك الزيارة للولي مطلقا إلا النبي والصحابي والشيخ والأخ فيها والأوراد دونه وخص بحصول فضل زيارة الجميع إن تلا الجوهرة بشروطها اثنتي عشرة مرة ونوى زيارة الرسول ولزم محبة الولي وتعظيمه دون تعلق ولا استمداد وهو ورد ووظيفة وذكر جمعة.اهـ

وسئل الشيخ سيدي محمد بن ناصر عن بعض الناس يأخذون من بعض المرابطين مدة ثم يتركه ويأخذ عن آخر هل يجوز ذلك أم لا قال: السائل وأما أنا فلا أقبل ذلك ولا آخذ عن غيرك ولو كنت أميّا بل يكفينا ما أخذنا منك؟

فأجاب: أنتم من الفرقة الشاذلية وهم أهل الغيرة ومعنى الغيرة: كراهية الرجل أن يشارك غيره في زوجته، والمرأة كذلك ومن لم يجد شيخا يربيه ويلقنه الذكر والأوراد فلا يأخذ من الكتب أوراد بعض الأولياء كالغزالي وزروق وغيرهما وربما يخاف أن يكون ذلك مضرة حتى يرى بعض الناس على صفة الفأرة والحيّات فيقتله والذي يشترك في منفعته التهليل والصلاة على النبي ﷺ.اهـ باختصار.

وفي الأجوبة الناصرية قال رضي الله تعالى عنه: ذكر الله على اختلاف أنواعه حسن ولكن لا يتخذ منه وظيفة راتبة إلا بإذن شيخه وكذلك أحزاب السادات ومن اتّخذ وردا بغير إذن فهو غار مغرور ويدعون بالأسماء الحسنى ولا يحتاج في ذلك إلى إذن ويجوز للمرأة أن تأخذ من بعض الأولياء بغير إذن زوجها، وأما العبد إن وجد من علم علما يقينا إنه أكمل من سيده جاز له ذلك وإلا فلا، وأما الطفل إذا طلب أبوه من بعض الأولياء أن يكون ابنه من تلاميذه فقبله فمات الولي قبل أن يأخذ الابن عنه فله أن يأخذ من الأولياء غيره إن الأول ليس له من صحبته شيء إذ الصحبة إنما تكون بالأخذ لا بمجرد المحبة.اهـ

قلت: وربما يدعي المخالفون مع الانتساب أنهم مصلحي الطريق على ما قيل لنا وذلك الإصلاح إفساد فيما ظهر لنا قائلين ما قال إخوة يوسف علـــى نبينـــا وعليه الصلاة السلام: ((وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين)) لـــه ولأصحابه لا للشيخ ولا لأصحابه رضي الله تعالى عنه وإصلاح يخرج الإنسان عما كان عليه لا يسمى إصلاحا إلا إذا كان ما كان عليه قبل فاسدا ونعوذ بـــالله أن ننسب الفساد لأمر تسلسل إلينا عن القطب المكتوم والبرزخ المختوم عن ســـيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما. ورأينا التجانيين في بلدنا اليوم على ثلاثة أقسام:

- قسم سلم من تزلزل الاعتقاد في الشيخ وفي الطريق وشرائطه وهم السعداء الناجون جعلنا الله منهم.
- وقسم استهوته الشياطين وأضلته فنبذ العهد نبذا كليا نادما على دخولـــه السابق على هذا الطريق ومتصفا بصفات المبغضين حتى قيل إن بعضـــهم يحدث منه السب والتحقير والإهانة والعياذ بالله فهو إن لم يتب عن ذلـــك يهلك قطعا.
- وقسم نبذ العهد حكما لعدم مراعاة الشروط وهو الذي يدعي محبة الشيخ ولزوم طريقته إلى موته يوافق وظاهره يوفق ما كان عليه المدعون ويخـــالف ما كان عليه قبل لقائهم وهو ما كان عليه سيدنا وأصحابه ولا يواصل على العهد الأول والله أعلم ببواطن عباده.اهـــ

وفي الحديث: ((إني لم أومر أن أشق على قلوب الناس ولا عن بطـــونهم)). الحديث بطوله.اهـــ

وفي إعجاز القرآن لسيدنا الباقلاني وقال سيدنا أبو بكر الصـــديق في آخـــر عهده: إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذلك ظني به ورأيـــي

فيه، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت لكم ((ولكل امـرئ مـا اكتسب من الإثم)). ((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)).

إذا نظرت إلى كلامه رضي الله تعالى عنه علمت أن الله تبارك وتعالى لم يحكم أحدا على سرائر عباده ولكن يقول لسان حال الحضرة منشدا:

ومن يـدعي حـب الرسـول ولم يكـن   بسـنته مستمسـكا فهـو كـاذب

وأيضا:

تعصي الإلـه وأنـت تظهـر حبـه   هـذا محـال في القيـاس بـديع

لـو كـان حبك صـادقا لأطعتـه   إن المحـب لمـن يحـب مطيـع

قال سيدنا زروق: واعلم أن من تشبه بقوم كان منهم ومن لم يعمل بأعمالهم صار بعيدا منهم وحب القوم بلا اتّباع ليس فيها فائدة ولا به انتفاع وبالجملة من انتسب إلى ولي من أولياء الله يجب عليه أن يتشبه بطريقته في أصـولها وفروعهـا المهمة ثم لا عليه من دقائقها ويعتقد أن هذا الولي باب من أبواب الله يقف به ليأتيه من ذلك الباب نفحة من نفحات الرحمة على حسب مراده.اهـ

راجع شرح حزب البحر له رضي الله تعالى عنه قلـت: والسـكوت أولى وأسلم ولذلك أحض الإخوان عليه في كل وقت لأن لحوم الصالحين سم ناقع.

وفي مدارج السلوك أيضا: ولكنني يا أخي سطرت لك هذه الأسطار تحصينا من الوقوع في أعراض المنتسبين إلى الله سبحانه فتهلك كما هلك من قبلك. وقد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه: من وقع في عرض ولي ابـتلاه الله بموت القلب.

وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي يقول: من غض من ولي ضـرب بسـهم مسموم ولن يخرج من الدنيا حتى تفسد عقيدته فيموت على أسوء حال.

وكان الشيخ أبو العباس المرسي يقول: تتبعنا أحوال القوم فما رأينا أحدا أنكر عليهم ومات بخير.اهـ فاحذر يا أخي هذه الورطة وإياك والخوض مع أبناء جنسك في هذا فإنه مفتاح الخسارة الأبدية عصّمنا الله وإياك من المضلات وبصرني وإياك سبيل النجاة بجاه سيدنا محمد ﷺ ((وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)).

وفي الجامع الصغير لسيدنا السيوطي ((أربى الربى شتم الأعراض وأشد الشتم الهجاء والراوية أحد الشاتمين)) تفسير الحديث قوله أربى الربى أي: أزيده إثما شبه شتم الأعراض بالربى بجامع أن كلا يدانس دنسا معنويا وجعل الشتم أكثر إثما ويقتضي هذا تشبيه العرض بالمال بجامع طلب صون كل وصون العرض مقدم على صون المال ولذا يطلب صونه ولو بدفع المال، قوله شتم الأعراض أي: شبها والأعراض جمع عرض بالكسر وهو محل المدح والذم من الإنسان. قوله الهجاء الوقيعة في أعراض الناس بالشعر والرجز. قوله والراوي أي: الذي يروي عن الشاعر كأن يقول فلان ينظم فيه كذا فيأثم وإن قال هذا قصدي الإخبار بالواقعة لأنه يترتب على نقله الإشاعة قوله أحد الشاتمين بفتح الميم بلفظ التثنية أو بكسرها بلفظ الجمع أي: حكمه حكمهما أو حكمهم في الإثم. اهـ من شرحه السراج المنير وحاشية الحفني عليه باختصار.

وفيه أي: في الجامع أيضا قال صلى الله عليه وسلم: ((أهون الربى كالذي ينكح أمه وإن أربى الربى استطالة المرء في عرض أخيه)).

قال أبو الشيخ في كتاب التوبيخ عن أبي هريرة قال حديث ضعيف منجبر قال سيدنا الحفني قوله أهون الربى إلخ أي: فأهون لشيء من أنواع الربى كالذي يزني بأمه والذي يغتاب غيره إثمه أشد أنواع الربى أي: إثمه كإثم من ارتكب أشد

أنواع الربى فيكون أكبر من الزنى بأمه وهذا للتنفير.اهـ وفيه أيضا ليس المؤمن بالطعان بالتشديد أي: الوقاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة ولا اللعان قال العلقمي اللعن من الله الطرد والإبعاد ومن الخلق السب والدعاء ولا الفحاش وهو ذو الفحش في كلامه وأفعاله ولا البذي أي: الفاحش في منطقه وإن كان في الكلام صادقا. اهـ

وقال إبراهيم بن أدهم خدمتُ ثلاثمائة ولي وكل منهم يوصيني بأربع أشياء،

- أحدها: من أكثر في الأكل لم يجد لطاعة الله لذة.
- ثانيها: من أكثر النوم لم يجد في عمره بركة.
- ثالثها: من أكثر من مخالطة الناس لم يقم له عند الله حجة.
- رابعها: من أكثر من الوقوع في أعراض الناس لم يخرج من الدنيا على التوحيد.اهـ

وآمرهم كثيرا بأن يعملوا قول سيدنا البوصيري رضي الله تعالى عنه ولو ظلموا:

فتأسوا بمن مضى إذظلمتم فالتأسي للنفس فيه عزاء

وإنما قلنا ما قلنا لكي لا تغتروا بالدعاوي الملبسة والموسوسة حتى يكون قول الله تعالى: ((مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)) جارة عليكم ذيلها وعضوا على طريقتكم بالنواجذ بعد عضكم عل سنة رسولنا عليه السلام وسنة خلفائه كفاها أي: الطريقة شرفا كونها عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وكفاكم شرفا أن جعلكم صلى الله تعالى عليه وسلم فقراءه وتلامذته.

قال شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبو العباس أحمد بن محمد التجاني أحله الله دار التهاني في رسالته أرسلها لسيدنا إبراهيم الرياحي لما طلب منه الإذن:

أما بعد فقد وصلنا كتابك الكريم وخطابك السليم فقد أجزتك وأذنتك في ذكر الورد الكريم المبارك العظيم فشد حيازمك فيما أنت بصدده وأيقظ نفسك من غلفتها فلا تطعها طوعا في بطالتها فإن الأمر جدّ لا هزل وقف على ساق الجدّ والكدّ فإن الفقير الناقض لميثاقه عقوباته شديدة وحسراته عديدة وكن على يقين من أمرك ولا تهمل ما كلفتك ولا تعاطي ما استكفيت فإن طريقتنا هذه المحمدية قد خصت من الله عز وجل بخصوصية على سائر السبل يكل اللسان عن تبيين حقيقتها ولا ينتظم فيها ولا يأوي إليها إلا المقبول فضلا من الله عز وجل ولو كشف الغطاء عنها لصبا إليها أعيان الأقطاب كما يصبوا رعاة السنين إلى الغمام ولو لا ما نهيت أصحابي عن التصريح لأحد بالأخذ لها لكان الواجب في حق كل من نصح الأمة جبر الناس عليها والإتيان إليها ولكن لا مندوحة عن الوقوف عند ما حد فتنبه وتبصر ولا تغتر إذا الطرق كلها آخذة بحجزها لأنها أصل كلية الطرق منذ نشأ العالم إلى النفخ في الصور بوعد صادق من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إلخ اهـ. من كشف الحجاب: وكلما سمعتم قولا يخالف قول إمامها قولوا قال الله تبارك وتعالى: ((ولكل قوم هاد)) وإذا كان الأمر كذلك فلا يليق أن نكذب قول سيدنا وأتباعه ونصدق غيرهم وقولوا لخطباء زمانكم الذين يوحون إليكم زخرف القول غرورا منشدين بيت سيدنا البوصيري مع تخيير الضميرين:

والأقاويل عندكم كالتماثيل فلا يوهمنا الخطباء

وداوموا على مراعاة الشروط التي أتتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة قدوتنا وإمامنا رضي الله تعالى عنه.اهـ

وفي أحكام سيدنا ابن العربي في سورة الكهف عند ذكر قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام والمسلمون عند شروطهم وأحق الشورط أن يوفى به ما

التزمه الأنبياء أو التزم للأنبياء فهذا أضل من القول بالشروط وارتباط الأحكام بها.اهـ

واعلموا أن آكد شروط طريقتنا بعد ملازمة الورد الأفراد كما تقدم وقيل أن بعض المقيلين بيعتهم يستدلون بما في جواهر المعاني على مخالفة ما كان عليه عملنا اليوم حتى قيل إنّهم ربما يأتون بعض من لم يقل أدام الله بقاءنا فيها ويقولون له هاكم اقرءوا كتاب شيخكم فإنه فيه جواز ما تمنعون. فالجواب في ذلك أن نطلب من الله تبارك وتعالى أن نكون من الذين قال الله تبارك وتعالى في حقهم: ((وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)) وذلك الاستدلال باطل، لأن شيخنا رضي الله تعالى عنه قبل التقيد في تربية جده صلى الله عليه وسلم كان جامعا لأوراد شتى وبأمره صلى الله تعالى عليه وسلم أفرد وأنشد لسان الحال:

وللحكم من الزمان انتهاء وللحكم من الزمان ابتداء

وكل وصف يدعى به الإنسان أنه أهل للجمع من شرف وولاية أو علم، فشيخنا فوق ذلك ولكن لما كان الإفراد شرطا على طريقته المحمدية الأحمدية قطع النظر عن تلك الأوصاف واستسلم لأمر جده صلى الله عليه وسلم لأنه مربيه ومن التفت إلى غيرها هذا حرم بركة الطريق وقانا الله وإياكم من شر الحريق. ولما كان أهل طريقنا يصدقون كل طريق بنعمة الله وينكر علينا بعض الطرق أنشد لسان حال حضرتنا أيضا:

قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتكم الحنفاء

صدقوا كتبكم وكذبتم كتـ ـبهم إن ذا لبئس البواء

لو جحدنا جحودكم لاستوينا أو للحق بالضلال استواء

ونفيد لمن استفاد منكم يا أيها المتعلقون بجناب القطب الكبر والخاتم الأشهر بفائدة يقال في حقها:

خليلـــي هـــذا ربـــع عـــزة فـــاعقلا فأوصيكما ثم أبكيـــا حيـــث حلـــت

وفي كشف الحجاب ولنذكر هنا فائدة تشد لها الرجال ذكرها الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله تعالى عنه في جوابه لبعض الفضلاء عن أمـــور تتعلق بهذه الطريقة المحمدية منها طلب جوابه عن إشكال حصل له تعرفه من نص السائل بعد كلام وهو أن الشيخ رضي الله تعالى عنه قد نهى أحبابه عـــن زيـــارة الأولياء أحياء وأمواتا بإذن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كما علمتم. وقـــد نص القوم عل وجوب طلب شيخ التربية ولا يكون إلا حيا والشيخ بنفسه رضي الله تعالى عنه نص على ذلك أيضا: فإنه قال ذلك في باب تكلم فيه علـــى المريـــد الصادق وشيخ التربية من كتاب ابن المشري شيخ التربية يجب طلبه مـــن جهـــة النظر بمنزلة المريض الذي أعضلته العلة وعجز عن الدواء وانعدمت الصـــحة في حقه وهذا نص في وجوب طلبه والتمسك به. وقال أيضا: بعـــد ذلـــك الفـــتح والوصول من الله في حضرة المعارف الإلهية لا يبعثه الله تعالى إلا على يد أصحاب الإذن الخاص ومتى فقد الإذن الخاص بالأولياء لم يوجد من الله فتح ولا وصـــول وليس لصاحبه إلا التعب ثم فسر المراد بأصحاب الإذن الخاص بالأولياء الأحياء في كل عصر لا الأموات. وهذا نص في أن الشيخ الميت لا يأتي منـــه وصـــول وأن التربية تختص بالأحياء.

وقد صرح أيضا في هذا الباب بأن الإعراض عن ولي الوقت كالإعراض عن نبي الوقت فمحصل السؤال هل يجوز لأحد من أصحاب الشيخ رضي الله تعـــالى عنه الذين ليسوا في عصره كأصحاب هذا الوقت إذا عثروا على شيخ التربية من

غير أحباب الشيخ أن يلقوا أنفسهم إليه حيث لم يكن الوصول إلا من الحي لاسيما إن لاحظوا أن الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه هو الممد لجميع الأولياء الذين منهم شيخ التربية الذي عثروا عليه فما وصلهم على يديه إنما هو مدد شيخهم التجاني رضي الله تعالى عنه وحينئذ فيخصص النهي عن الزيارة بتخصيص صاحب الشيخ الذي كان معاهدا له، وأما غيره فله أن يتعلق من الأحياء بشيخ التربية لوجوب طلبه كما تقدم ولا يقنعني في الجواب عن هذا الأشكال أن يقال شيخ التربية قد انقطع بالكلية بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال لأنه وإن كان من كلام الفاضل سيدي أحمد زروق رضي الله تعالى عنه ولكن لا يخفاكم أنه قد حمل على الكثير الغالب على أن السؤال على الفرض والتقدير الجائز. فنرجو منكم جوابا شافيا كافيا فيكون هو العمدة عندنا في ذلك. فقد احتجنا إلى معرفته احتياجا كليا فإن أبيتم فمرجع الدرك عليكم زادكم الله فتحا وقربا والسلام. ونص المقصود من الجواب بعد كلام طويل وأما مسألة الإشكال الذي ذكرتموه والبحث الذي على التقدير الجائز بينتموه فما أجدر الفقير أن يتمثل فيها بقول إمام الوسائل ((والله ما المسئول عنها بأعلم من السائل)) لكن حيث كان امتثال أمر الأكابر من المتعين ووجهه عند المتأمل من الواضح البين فلا علينا أن نجاري جلالتكم المبجلة في المذاكرة في هذه المسألة فنقول اسعافا لرغبتكم واغتناما بصالح دعواتكم وقضاء لبعض الواجب من حق موالاتكم في الله تعالى وإخوتكم أن وجه الإشكال في هذه المسألة هو ما تقرر في علوم مجادتكم الموصلة من أن شيخنا شيخ المشائخ وقطب الأقطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه ومتعنا وجميع الأحبة برضاه فقد انقطع رجاءنا من غيره ومنع تشوفنا إلى ما عند كل أحد من شره وخيره وجعل الالتفات عنه إلى من عداه من أعظم الموانع الصارفة للمريدين

عن حوزة حماه، وآكد هذا من كلماته السنية الثابتة عنه من الطـرق الصـحيحة المرضية بما يفيد بأن على هذا الشرط في طريقه مدار التربيـة وأنـه في السـلوك والتسليك بها مناط التزكية والترقية وأطلق رضي الله تعالى عنه القول في ذلك بما يفيد شموله لمن يتقيد بعهده وينخرط في سلك أهل ورده سـواء حصـل التقيـد والانخراط في قيد حياته أو بعد مماته، وهذا معارض بظاهره لما نص عليه القوم من وجوب طلب شيخ التربية في الطريق، وأما إنه لا يكون إلا حيا عند جمهور هـذا الفريق حسبما هو موجود في نص الشيخ نفسه رضي الله تعـالى عنـه في بعـض أجوبته العلمية لم سأله عن ذلك وتلقاه عنه وإن كان من كلام الشيخ رضـي الله تعالى عنه في هذه المسألة ما أملاه رضي الله تعـالى عنـه فيهـا مـن القاعـدة الموصلة...ومحصلها أن الفتح والوصول إلى حضرة الاختصاص لا يبعثه الله تعـالى إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص رضي الله تعالى عنهم، ثم صرح بأن المـراد بهؤلاء السادات الأحياء من الأولياء لا الأموات ثم أفصح رضي الله تعالى عنـه في هذا المقام بأن الإعراض عن أولياء الوقت كالإعراض عن الأنبياء في وقتهم عليهم الصلاة والسلام هذا محل البحث الذي أبداه السؤال مبنيا على التقدير الجائز أن يقال ولا يخفى على نباهتكم الفائقة وألمعيتكم الرائقة أن القول بأن شيخ التربيـة الذي يحصل على يده الانتفاع والوصول لا يكون إلا حيا لم يقع عليه الاتفاق وإلا فقد صح الوصول عن جماعة من الأكابر على أيدي الأولياء الأموات مـن غـير منازع في ذلك ولا مكابر وأسانيد أهل الطرق الصحيحة المعتبرة مشتملة من ذلك على ما لا يعد من الشاذ النادر وقد قال السيد على قول صاحب المواقف رحمهما الله تعالى: كان أبو يزيد سقاء في دار جعفر الصادق ما نصه بعد كلام: وأما أبـو

يزيد فلم يدرك جعفرا رضي الله تعالى عنهما بل هو متأخر عنه وإنما كان يستفيض من روحانيته فلذلك اشتهر انتسابه إليه.اهـ

كلام السيد ونقله الشيخ أبو يزيد سيدي عبد الرحمن بن عند القادر الفاسي ناظم العمل الشهير ف كتابه الذي ألفه في إمام سلسلة سلفه الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب وترجمه بابتهاج القلوب وقال بعده ما نصه: على أن كونه سقاء في دار جعفر يصح كونه ميتا ثم قال: أبو يزيد رحمه الله تعالى وانتفاع الحي بالميت وحصول المدد له منه شهير وبسط القول في ذلك في جواب الشيخ أبي المحاسن مذكور في المرآة والله أعلم.اهـ

من الكتاب المذكور: وذكر في هذا الكتاب أيضا: سند الشيخ زروق رضي الله تعالى عنه إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنهما واستعبد فيه أخذ ابن عقبة عن ابن وفا لتأخره عنه بكثير ثم قال إلا أن يكون أخذ عنه بالاستفاضة من روحانيته.اهـ

وذكر في هذا الكتاب أيضا: سند حجة الإسلام الغزالي رضي الله تعالى عنه إلى الفارمدي عن الكركاني ثم قال ما نصه: وانتساب الكركاني في الباطن إلى جانبين أحدهما: الشيخ أبو الحسن الخرقاني وهو عن الشيخ أبي يزيد وولادة الخرقاني بعد وفاة أبي يزيد بزمان فتربيته من روحانيته وكذلك تربية أبي يزيد من روحانية جعفر الصادق رضي الله تعالى عن جميعهم. الغرض من الكتاب المذكور فهذا ومثله من الواضح الأشهر يدل على مقابله أن ما تقدم من القول بانحصار الانتفاع للمريد في الحي جار على الغالب لا على الأغلب الأكثر حتى يكون مقابله من الشذوذ بحيث لا يلتفت إليه ولا يذكر.اهـ

فقد انخرمت القاعدة وسقطت المعارضة من هذا الوجه وهذه الحيثية بلا ريب على أننا وإن جرينا على تحكيمها حسبما تضمنه السؤال ويجعلنا عل بنيتها بالأعمال فليس المراد بالشيخ الحي في النصوص المقررة الشيخ المستكمل شروطها المعتبرة بل المراد المرشد فقط وقد نصوا على أنه لا فرق بين أن يكون شيخا أو أخا في الطريق حسبما نقله في الجيش عن زروق وذكره اليوسي في بعض رسائله وصرح به في ميزان الرحمة الربانية في التربية في الطريقة التجانية من غير تردد في ذلك نعم ذكروا أن الدخول مع المرشد على المشيخة أعظم حقوقا وآكد من الدخول معه على الإخوة وعليه فلا فرق إلا من هذه الحيثية فالمعتبز إذا حصول الإذن من الشيخ الكامل المستوفي لشروط المشيخة سواء بلا واسطة أو بها ولا يشترط اللقي ولا كون الشيخ حيا إذا صح الإذن عنه. قال: قال: الشيخ أبو الحجاج الأقصري معللا لهذه المسألة فيما نقله عنه الشيخ الشعراني في ترجمته من طبقاته هذه المسألة لأن صور المعتقدات إذا ظهرت لا تحتاج إلى صور الأشخاص بخلاف صور الأشخاص إذا ظهرت فإنها تحتاج إلى صور المعتقدات فإذا حصل الجمع بينهما فذلك كمال حقيقي. قال الشعراني رحمه الله تعالى بعد ذكره له ما نصه: وفي هذا دليل عظيم لأصحاب الخرقة الأحمدية والرفاعية والبرهانية والقادرية ولا عبرة بمن ينكر عليهم ويقول هؤلاء أموات لا ينطقون فإن الإقتداء حقيقة إنما هو بأقوالهم وأفعالهم المنقولة إلينا فافهم. اهـ كلام الشعراني رضي الله تعالى عنه قلت وهذا الكلام من الشيخ أبي الحجاج الأقصري رضي الله تعالى عنه هو فيه ذائق لا ناقل بدليل ما ذكره الشيخ خالد البلوي في تاج المفرق عن حفيد الشيخ المذكور من أنه لبس الخرقة من الشيخ أبي مدين رضي الله تعالى عنه وأن اجتماعه به كان على طريق خرق العادة بالأرض البيضاء من السودان وللأرض ألسن

تذكر الله ولم يكن اجتماعه به على الهيئة المألوفة في اجتماع الأشخاص الجارية على قول يشترط اللقي. والحياة في المرشد فافهم ذلك نعم يشترط في المرشد إذا كان أخا حصول الإذن الصحيح له ولو بالوسائط من الشيخ إذ بالإذن الصحيح تتمكن سراية السر الروحاني والمداد الرباني حسبما نص عليه أئمة الطريق رضي الله تعالى عنهم وعلى هذا الذي تقرر فمن أخذ طريق شيخ كامل عمن نقلها إليه وأجازه بها بالإذن الصحيح فإنه ليس معرضا عن أولياء وقته لأن لذلك المقدم درجة في الولاية بها تأهل التقديم بلا شك وفي هذا القدر مما يندفع به ما تعطيه ظواهر النصوص المتقدمة في هذه المسألة من المعارضة وتوهمه ببادي الرأي من المناقضة الغنية والكفاية والله ولي المتقين والتوفيق والهداية.اهـ

وإذا عرفت هذا عرفت أن ما ثبت من كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه في الكناشين مما تقدم ونحوه يقتضي المعارضة المذكورة هو كلام صدر منه رضي الله عنه في بساط التعليم فلسانه فيه لسان علم جرى فيه على ما عليه الجمهور فهو علم أريد به العموم بقرينة البساط وأنما تقرر وبلغ حد التواتر القطعي عنه رضي الله عنه من منع المريد من الالتفات إلى الغير والتشوق إلى السوى في جلب نفع ما أو دفع ضير صد ر منه رضي الله عنه في بساط التربية الخاصة بطريقه فلسانه فيه لسان دلالة وإرشاد جرى فيه على نهج أمثاله الكمل الأفراد من إمحاض النصيحة للعباد بما أداهم إليه من طريق الكشف الصحيح النظر والاجتهاد ومع هذا فإنه ثبت عنه رضي الله عنه أنه ألقى إليه من ذلك على حسب ما برز إليه من الحضرة المحمدية الشريفة عليها الصلاة والسلام التي تربيته ومدده منها بلا واسطة في حال اليقظة لا في حال المنام فهو خاص من طريق خاص أريد به المخصوص وفرق بينه وبين الذي قبله فلا معارضة بينهما عند ذوى النظر الصحيح البتة والله أعلم هذا

ولولا المقصود في دفع هذه المعارضة إلى ما اقتضاه الحال من مجازات ألفاظ السؤال لكان الجواب الحق والقول الفصل في هذه المسألة هو أن يقال إنه يجب أن يعلم أولا أن تصديق الشيخ والإيمان به والإنحياش بالمحبة الخالصة إليه والإذعان له بإلقاء عصى المخالفة والمعاندة بين يديه هو سلم السعادة وأساس كل خير ومبني كل أمر في طريق الإرادة وإن لم يوافق شيخه في إعتقاده ولم يترك مراده لمراده فقد انهار به في نار جهنم الفظيعة والعياذ بالله تعالى في جري اعتراضه وانتقاده:

ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده يظل من الإنكار في لهب الجمر

وهذا مما لا ينكره إلا جاهل ولا يجحده إلا من كان نائيا عن طريق الهدى بمفازات ومراحل ثم من المعلوم أنه ثبت عن سيدنا رضي الله تعالى عنه أنه أخبر عن نفسه بأخبار عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم الخاتم الأكبر والوارث الحقيقي الأشهر الحائز بجميع ما للأولياء من الكمالات والأنوار والمآثر والأسرار مع ما هو متحقق به في سره مما اختص به من العلوم الدينية والمعارف الربانية دون غيره. وقد صرح رضي الله عنه في رسالة التحدث بالنعمة بأن مقامه في الدار الآخرة لا يصله أحد من الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور إلى آخر كلامه في الرسالة المذكورة قد أثبتها في جواهر المعاني وكذا في الجامع لما افترق من درر العلوم وثبت عنه أيضا رضي الله تعالى عنه أن روحه هو الممد لجميع أرواح الأقطاب والأولياء منذ إنشاء العالم إلى النفخ في الصور سواء منهم من تأخر وجوده العياني أو تقدم. وثبت عنه أيضا رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن له أن من أخذ ورده الشريف ومات عليه لا يموت إلا وليا قطعا، وكذا من أحبه فقط وأنه صلى الله

عليه وسلم قال له كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنه أخذ عنك وانا ضامن لهـم.
وقال رضي الله عنه بعد أن حكى هذا الكلام عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهذ الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني أو لم يرني.اهـ

ومعلوم أن من جملة الفضل المشار إليه ضمان الولاية من النبي صلى الله عليه وسلم وصح عنه أيضا رضي الله تعالى عنه أنه قال طابعنا محمدي كل من أخذ وردنا يترل عليه وتحصل الشفاعة له ولوالديه من حينه ولهذا قال بعض المشاهير من أهل هذه الطريقة رضي الله تعالى عنه مراد الأشياخ من تلامذهم من يحمل سرهم، وأماغيره فلا حصل له إلا التبرك والعجب ممن يصد عن طريق أهلها كلهم مرادون إلى طريق لا يدري هل يكون فيها مرادا أم لا إلى غير هذا مما ثبت عنه رضي الله تعالى عنه من التصريح بعلو مقامه وأنافة قدره وشرف طريقته وسمو مزية ورده وفخامة أمره وما كان هذه المثابة من الأوراد والطرق كيف تلمح عنه إلى غيره بدلا عنه عين اللبيب العاقل أم كيف تتعلق به دونه همة النبيه الفاضل ومن كان بهذه المكانة القصوى السامية كيف ينسحب في نظر الأريب حكم الموت الذي يقطع به المدد والانتفاع على حقيقته الفردانية وروحانيته النورانية. وقد حدثني بعض العلماء الأعلام من إخواننا الصادقين البررة الكرام حفظه الله تعالى أن بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله تعالى عنه الذين أخذوا عنه وصحبوه قيد حياته إنما كان يوما جالسا بإزاء داره من محروسة فاس إذ خطر بباله مثل هذا المعنى المتكلم فيه فقال في نفسه لعل المنع من هذه الزيارة كان خاصا بمدة حياة الشيخ رضي الله تعالى عنه فما أتم ذلك في خاطره حتى وقف عليه رجل من أصحاب الأحوال وكان الشيخ رضي الله تعالى عنه أشار إلى أنه من أصحاب التصرف، فقال له بمجرد ما وقف عليه قال لك لا يموت ثم انصرف، فتنبه ذلك

السيد وتاب إلى الله من ذلك الخاطر، وعلم أنه عناية من الله تعالى تداركته ببركة صدق محبته في الشيخ رضي الله تعالى عنه فلم يبق لمن ساقه سائق السعادة إلى الدخول في هذه الطريقة الأحمدية والانخراط في سلك أهل هذه الدائرة المصطفوية وأهّله الله بفضله لمشاهدة هذه الخصوصية العظمى إلا إلقاء القيادة لأستاذه رضي الله تعالى عنه على طريق المحبة والتسليم وسلب الإرادة له والتحكيم ويدوم على ذكر هذا الورد الشريف بالمحافظة على شروطه المشروطة والوقوف بغاية الجهد عند حدوده المضبوطة حتى يأذن الله تعالى له بالفتح، إما أن يفجأه ويهجم عليه هجوما، وإما أن يمن الله عليه بكشف الحجاب بين قلبه وبين روحانية الشيخ رضي الله تعالى عنه أو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم فتكون تربيته بطريق الاستفاضة من أحدهما أو منهما معا. وفي خبر الكناش من أشراط استحضار صورة القدوة أو صورة النبي صلى الله عليه وسلم لمن يقدر على ذلك رمز إلى هذه الطريقة وتلميح إلى الدقيقة، وإما أن يفيض الله تعالى له من شاء من إخوانه يقوم بأعباء تربيته يشهده الله سر خصوصيته ويزيل بينه وبينه حجاب بشريته فيسير به إلى الله تعالى في سره وعلانيته والقائمون بأعباء التربية في طريقتنا ولله الحمد كثيرون لم يخل منهم منذ توفي الشيخ رضي الله تعالى عنه زمان ولا قطر بل ظهر منهم عدد في حياته رضي الله تعالى عنه كما لا يخفى إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لما لا يخفى من حكم الوقت فلا يعثر عليهم إلا من فيض الله له الانتفاع بهم وذلك لما خصوا به ببركة أستاذهم من حالة الكمل المسمّاة عند أهل التحقيق من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحق وهي كتمان السرائر والأسرار وهي حالة الأصفياء الأبرار من الملامتية المجهولة مقاماتهم لأنهم جارون مع العامة على ما هي العامة عليه من ظواهر الطاعات التي لم تجر العادة في العرف أن يسموا بها من أهل الله تعالى وهذا

أمر أقامهم الله تعالى فيه وفضيلة حلاهم الله تعالى بها شعروا أو لم يشعروا وهي غاية الكمال بلا شك. قال العارف بالله تعالى الشعراني في رسالته المسماة بموازين الرجال القاصرين وسبب ترك العارفين فتح باب المشيخة والتسليك في هذا الزمان شهودهم كثرة البلايا النازلة على الخلق ليلا ونهارا وعلمهم بأن الأمر راجع إلى الوراء وقد اشتد الأمر ولا يزداد إلا شدة حتى تكمل الدورة وتقوم القيامة ثم قال إذا علمت هذا علمت أن ترك العارفين فتح هذا الباب في هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين للمراتب والمتنازعين عليها. اهـ والمراد بتركهم فتح هذا الباب تركهم التظاهر بالمشيخة والانتصاب للتربية بالاصطلاح المعروف الذي كان عليه من بعد الصدر الأول وهذه الحالة هي حالة النقائمين بالتربية من أهل طريقتنا وهي طريق الحق والصواب والحمد لله والتربية بالاصطلاح المذكور هي التي ذكر الشيخ زروق عن أشياخه إنها انقطعت إلا التربية الحقيقة التي معناها الإرشاد إلا العمل بالكتاب والسنة وتلقين الذكر ونحوه مما يزيح الباطل عن النفس ويقطع العلائق والعوائق منها بسبب استعانتها على ذلك بهمة الشيخ الملقن لذلك الذكر على حسب ما أذن له فيه من حضرة الله تعالى في سره وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة أو مناما. وانظر مواهب الإبريز وتأمل ما أملاه على صاحبه شيخه في هذه المسألة تقف على عين الحق والصواب فيها وتحصل من العلوم فيها ما لا تلتفت معه إلى كلام غيره إن شاء الله. وقد نص على مثل ما نص عليه الشيخ زروق العارف بالله المحقق اليوسي رحمه الله تعالى وهو مراد سيدنا رضي الله تعالى عنه بقوله الثابت عنه: من يريد السلوك في هذا الزمان كمن يريد أن يذبح نفسه فإن مراد السلوك بالاصطلاح الذي أحدثه من بعد الصدر الأول أعني من بعد القرون الثلاثة لا السلوك بمعناه

الحقيقي الذي هو تصفية النفس وتزكيتها من طريق التقيد بالمشائخ الكاملين والاستناد إلى همم العارفين الواصلين حاش أهل الله تعالى من ذلك وبهذا يحصل الجواب الكافي والبيان الشافي إن شاء الله تعالى عما جعلتموه محصل السؤال عن قولكم أيدكم الله: هل يجوز لأحد من الأصحاب الذين لم يدركوا عصر الشيخ رضي الله تعالى عنه إذا عثروا شيخ تربية من غير الأصحاب بأن يلقي نفسه إليه إلى آخر كلامكم الذي أكدتم علينا آخره بأننا إن أبينا عن الجواب عنه فالدرك علينا في ذلك، وهذا القول منكم حفظ الله جلالتكم وأيد سيادتكم هو الموجب للإطناب فيما واجهناكم به من هذا الخطاب ومحصل الجواب أنه لا ينبغي لمن أهّله الله تعالى بفضله لهذا الشيخ الأعظم والانحياش إلى جنابه الأفخم أن يستند إلى غيره أو يعتمد على سواه من الأقطاب لا ظاهرا ولا باطنا في سره أو جهره وذلك لأنه رضي الله تعالى عنه من خاصة خاصة الحضرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه بل لا أقرب منه رضي الله عنه إليها وأصحابه تلامذة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سواء رأوه أو لم يروه ووورده ورده عليه الصلاة والسلام كما ورد كل ذلك عنه: فمن التفت إلى غيره حرام الاغتراف من بحره والصولة بصارم نصره والعياذ بالله فالحذر الحذر. ففي طلعة الشمس ما يغي عن القمر والله تعالى المسئول بجاه أحب الخلق إليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله أن يديم علينا وعليكم رضى هذا الشيخ العظيم وفيضان أنواره ويجعلنا من الثابتين في مركز عنايته تحت أفلاك عزه وأدواره بمنه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وفي هذا كفاية.

الفصل السابع

في الدخان وزيارة الأولياء

وإنما جئت بهما تبركا وتبيانا بأن سيدنا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني أحله الله دار التهاني ليس بأول من تكلم فيهما بالمنع ولا خاص به كما ظنه بعض أهل بلادنا.

وسئل العلامة المحقق القاضي سيد العربي عن الحكم في العشبة المسماة بطابة؟ فأجاب أن هذه العشبة فرغ من قبلنا من شأنها وتكلم فيها الجم الغفير، وقد سمعتم حاصل ذلك في الجملة والذي عليه شيوخنا من الفاسيين وشيوخ شيخنا هو المنع حتى آل الحال أن غيروا منكرها وفي وقت تقدم أحرقوها جهارا. وأدركنا في حالة الصغر المحتسب يمنع منها ويشدد في أمرها ويعنف على إظهارها ولم نر من شيوخنا من تساهل في أمرها ولا من ذكر في حكمها الإباحة فتلك مؤنة كفيت وقام بها من تقدم من أهل بلدنا فمن شاء اتباعهم فهم أهل للإتباع، ومن أراد مخالفتهم فنهاك من قال بخلافهم من أهل هذه البلدة.اهـ من المعيار الجديد وتقدم قبل المسألة الأولى ما هو كالمقدمة لها، وفي رسالة ابن أبي زيد لا ينبغي لمن أكل الكراث والثوم والبصل نيئا أن يدخل المسجد إلخ أي: كل مسجد ولم خاليا كما استظهره الباجي لقوله عليه الصلاة والسلام: ((إن الملائكة تتأذى بما يتأذى به بنو آدم)). وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: ((من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته)). قال في المسجد للاستغراق فيتناول غير مسجد الخطبة ويتناول مصلى العيد ويلحق بذلك مجلس العلم وحلق الذكر ومجمع الولائم المطلوب الاجتماع فيها وألحق في المذكورات الفجل ومن بفمه بخرا أو بجسده جرح منتن

ومن يغتاب الناس لا يجوز لواحد من هؤلاء حضور مجالس الجماعات المندوب إليها. اهـ

قوله لا ينبغي أي: لا يجوز على المعتمد. قوله الكراث بضم الكاف وتشديد الراء ويجوز التخفيف. قوله الثوم بضم الثاء المثلثة، قوله نيئا بالنون المكسورة بالتشديد والمد والهمز.

قلت وبهذا التقرير تعلم أنه لا يبعد قياس الدخان الشائع في هذا الزمان على هؤلاء في منع حضور المواضع المذكورة بجامع كراهية الريح النتن والإذاية، وأما منعه لعلة أخرى فمجال للإعتراض والبحث. اهـ

المسألة الأولى: اعلم هدانا الله وإياك إلى أقوم الطريق وسلك بنا وبك مسالك التحقيق أنه مما عمت به البلوى ما حدث في آخر القرن العاشر كما عند سيد إبراهيم اللقاني أو في أول القرن الحادي عشر كما عند سيد كنون وهو شرب دخان ورق يبغ واستنشاق غباره واختلف فيه فتاوى العلماء المتأخرين بين محلل ومحرم وهو الأكثر كما سيأتي، قال سيدي محمد بن أحمد ميارة في تكميل المنهج:

وحكمه التحريم لا لذاته ... بل للذي يعرض من صفاته

وقال سيدي محمد بن سعد الدين مفتي اسطنبول في جوابه للإمام أبي سعيد حين سأله عن حكم الدخان:

فأما بعد يا أهل السؤال ... هداك الله في هذا المقال

سألت عن الدخان بحسن نظم ... بديع في اللطافة كاللئالي

حرام شربه لا شك فيه ... محال ذكره بين الحلال

يعزر شاربوه بعد نهي ... مطاع دام حتما لامتثال

محمد بن سعد الدين أفتى أعاهما الإله لدى السؤال

وإنما تركت أبيات السائل إرادة الإختصار ولبعض الإخوان:

وهاك ما عمت به البلواء وسولته النفس والأهواء

عشبة تعرف بالتنباك والنتن وهي شرك الهلاك

وتابغا بالتاء أو بالطاء قد ذكروا لها من الأسماء

إلى آخر القصيدة.

وقال إمامنا الكبريت الأحمر والبدر الأنور محط الأماني سيدنا أحمد بن محمد التجاني: التبغة حرام والأصل في حرمتها قوله صلى الله عليه وسلم: ((كل مسكر ومفتر حرام)) وهي من المفترات وكان رضي الله تعالى عنه يشدد فيها غاية وسلم قول من قال: إن صاحبها الذي لم يتب من استعمالها لا يموت على حسن الظن ولا حسن الخاتمة ونسب ذلك لبعض الناصريين. من الإفادة الأحمدية قلت ذات يوم لامرأة يضانية أو سودانية كانت تطلب مني النار:

وما معنا النار التي تسألينها ولا نحن شراب الدخان أخي القبح

ولكننا نهج التجاني نقتفي ولا خير إلا في إتباع ذوي الفتح

وليس لنا من بعد ما قال شيخنا إذا ما بدا قول سوى الضرب والصفح

ولا ينكر المرضى مقال طبيبهم وإلا فقد يأتي الدواء بلا نصح

وفي شرح تكميل المنهج: وفسر غير واحد منهم الإفتار باسترخاء الأطراف وتخدرها وصيرورتها إلى وهن وانكسار فيها وذلك من مبادي النشوة وذلك كله موجود فيها من غير شك ولا مين بالتجربة عند أهلها حتى أنها يكفي معها للسكر القليل من الخمر.

مستوفي من حاشية كنون غير البينة المتقدم وهو وحرم البيع لها إلخ.

وفي كتاب الإبريز الذي تلقاه نجم العرفان الحافظ سيدي أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدي عبد العزيز وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: الدخان المعروف بطابة حرام لأنه يضر البدن ولأن لأهله ولاعة به تشتغلهم عن عبادة الله وتقطعهم عنه ولأنا إذا شككنا في شيء أحلال أم حرام نظرنا إلى أهل الديوان من أولياء الله تعالى وهم الدائرة والعدد وإن وجدناهم يتعاطون ذلك الشيء علمنا أنه حلال وإن وجدناهم لا يتعاطونه ولا يتحامون عنه علمنا أنه حرام وإن وجدنا بعضهم يتعاطونه وبعضهم لا يتعاطونه نظرنا إلى الأكثر فإن الحق معهم وأهل الديوان لا يتعاطون هذا الدخان ولأن الملائكة تتأذى بريحه إلى آخر كلامه راجعه إن شئت اهـ

المسألة الثانية:

اعلموا رحمكم الله أن المشائخ في منع مريدهم من الزيارة على ثلاثة أقسام:

منهم من لا يمنع مريده زيارة وأطلق نظرا إلى الأصل كسيدنا الشاذلي رضي الله تعالى عنه الذي كان يرخص لأصحابه أن يصحبوا من شاءوا من الشيوخ وهذا عزيز لا يكاد يوجد، ومنهم من منع وأطلق كسلطان العارفين بالله محي الدين ابن العربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه وغيره من المشائخ رضي الله تعالى عنهم أجمعين سدا للذريعة ودفعا لما يتولد منها من الضرر غالبا كالإفراط والتفريط لأنه إن لم يكن يحفظ الله قلما سلم من تنقيص أحد الشيخين ومدح الآخر كما قرروه وذلك من باب قول صاحب المنهج:

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فخذ ما نقلا

ومنهم من منع إلى صيرورة المريد مالكا أمر نفسه وغالبا على هواه وعالما أن المشرب واحد فيفك فيده لارتفاع العلة فيمشي حيث شاء راجع سلوة الأنفاس ومحادة الأكياس وفي الاستقصا عند ذكر الوهابية بعد ما قدم الكلام في زيارة الأنبياء وأما الأولياء فالقول بمنع زيارتهم سدا للذريعة مع بيان العلة واشتهارها بين الناس حتى لا يلتبس عليهم المقصود قول وجيه لا تأباه قواعد الشريعة بل تقتضيه والله أعلم.

وقال هذا القول هو الذي رآه الفقيه الصوفي أحمد التجاني حتى منع أصحابه عن الزيارة قلت ومنع شيخنا الكبريت الأحمر والصنديد الأكبر والقطب المكتوم والبرزخ المختوم سيدنا أحمد بن محمد التجاني أحله الله دار التهاني لم يكن لمجرد الغيرة بل إذن من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لأنه ما تولى تربيته جعل ذلك شرطا في طريقته حتى أمره برفع الإذن عمن خالف ذلك الشرط راجع كتب أصحابه ولا يعترض عليه في هذا إلا من لم يمارس طريق القوم ولله در سيدنا الشريشي حيث قال في رائيته:

ولا تقدمن قبل اعتقادك أنه مربّ ولا أولى بها منه في العصر
فإن رقيب الالتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لا تسر

شرح ما في هذين البيتين مختصرا نقلا عن شرح سيدنا أبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي قوله لا تقدمن لا ناهية تقدمن بضم التاء مضارع أقدم الذي هو ضد الإحجام والتأخير. وقوله مرب أي: مصلح والتربية لغة الاصطلاح واصطلاحا نقل المريد إلى ما أراد الله منه من التخلق بأخلاقه الكريمة واتباع سنته صلى الله عليه وسلم والعصر بتثليث العين الدهر والمراد هنا وقت مصاحبة الشيخ والرقيب المريد أو الشيخ والأولى أنسب والمعنى فمن

صاحب شيخنا ويلتفت إلى غيره فكأنه يقول لمدد شيخه الذي هو المراد بمحبوب السراية من إضافة الصفة إلى الموصوف ولا تسر إلينا. اهـ

وقال الشارح بعد كلام طويل قال الشيخ أبو الحسن التستري رضي الله تعالى عنه ولا ينبغي للمريد أن يعتقد أستاذا ما وهو يجد في باطنه اعتقاد غيره أكثر منه فلا ينتفع بهما وسلم له غلوه في شيخه ما لم ينتقص المشائخ أو يقع فيهم أو يخرجه الغلو إلى حد فاسد حتى يخرج شيخه عن طريق البشرية إلى أن قال وأيضا قد تقدم قول الشيخ تاج الدين رضي الله تعالى عنه في لطائفه في هذا المعنى ومما يتبع هذا الأدب ما ذكره الشيخ محي الدين رضي الله تعالى عنه في آداب الشيوخ وأنه لا ينبغي له أن يترك أصحابه يجالسون أصحاب غيره من الشيوخ ولا يزورون شيوخهم يعني لما في ذلك من الضرر للمريد كانحلال هذا العقد من قلوبهم إلخ. إلى أن قال أيضا وكذا قال الشيخ أبو العباس زروق رضي الله تعالى عنه ولا تنتقل عنه ولو رأيت من هو أعلى منه فتحرم بركة الأول والثاني، ولذلك كان المشائخ يمنعون أصحابهم من صحبة غيرهم بل من زيارتهم كما قال الشاعر:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به   في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

راجع الشرح المذكور.اهـ

منّ الله علينا وعليكم بعدم اعتراضهم أجمعين قلت: ولا شك أن المعترض على المانعين لم يعرف مقاصد القوم في طرفهم ولأن العزلة من أركان الولاية ولم يطالع الأحاديث التي وردت في مخالفة الناس بعد ما كان من الفتن.

وفي الجامع الصغير لسيدنا السيوطي: ((إذا رأيت الناس قد مزجت عهودهم أي: اختلطت وفسدت وقلت أسباب الديانات، - مرجت بفتح الميم والجيم بينهما راء مكسور - وخفت أماناتهم أي: قلت وكانوا هكذا وشك أي: خلط بين أنامل أصابع يده إشارة إلى تموج بعضهم في بعض وتلبيس أمر دينهم فالزم بيتك أي اعتزل الناس وامتنع عنهم وأملك بكسر اللام عليك بنفسك ولسانك أي: احفظه وصنه وخذ ما تعرف أي: من أمر الدين ودع ما تنكر أي: من أمر الناس المخالف للشرع وعليك بخاصة أمر نفسك أي: استعملها في المشروع ودع عنك أمر العامة أي: أتركه هـ. من الجامع وشرحه وحديث أبي موسى كما في اللسان قالوا يا رسول الله فما تأمرني؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم أي: ألزموها. والأحلاس: جمع حلس وهو ما يبسط تحت حر المتاع من مسح وإن كان السلف الصالح مأمورين بلزوم بيوهم لفساد زماهم حتى قيل إن إمامنا مالك رضي الله تعالى عنه لازم داره مدة طويلة فما تقول في زماننا هذا أو بهذا تعلم أن المنع إذا كان للتربية وطلب السلامة له أصل.اهـ

الفصل الثامن

في بيان فقه الطريقة التي لا زلنا منخرطين في سلكها المأمون سرا وعلانية ورتبتها على أربعة فصول.

- الفصل الأول: في بيان لوازم الطريقة وشروطها
- الفصل الثاني: في بيان شروط الورد التي من لوازم الطريقة وأركانه وما اختص به ووقته وبذلك يتبين لك أن قراءة الورد ليست عين الطريقة بل إنّما هي من لوازمها.
- الفصل الثالث: في بيان أركان الوظيفة التي هي كالورد في اللزوم وما اختصت به ووقتها.
- الفصل الرابع: في بيان الورد الذي يفعل بعد عصر يوم الجمعة. اهـ

الفصل الأول

شروط الطريقة

اعلموا رحمكم الله أن للطريقة التجانية المحمدية الأحمدية الإبراهيمية الحنفية التي ضمن لأصحابها نبينا عليه الصلاة والسلام ما ضمنه من غير خلف لوازم وشروطا. فأما اللوازم فهي على قسمين ما يقطع عدم الوفاء به المريد عن الشيخ رضي الله تعالى عنه وهو عدم زيارة الأولياء الأحياء والأموات للتعلق والاستمداد أي: لجلب نفع أو لدفع ضرّ. وفي الجيش الكفيل وصاحبه لا يزور المشائخ بنية التعلق بهم ويعظم الأولياء كلا ويعظم من في الورد كلا، وتكفيه أوراد شيخه في

أغراضه الدنيوية والأخروية ولا يلقن لمن عنده ورد حتى يتركه وينسلخ عنه فعند ذلك يلقنه من له الإذن الخاص من الشيخ ولا خوف عليه من صاحبه أيا كان من الأولياء الأحياء والأموات وهو آمن من كل ضرر يلحقه في الدنيا والآخرة لا من شيخه ولا من غيره وله أن يزور باعتقاد أنه يصل المزور لله لا غير لأن الولياء أبواب الله ويطلب عند مواصلته لهم رضى الله ورضى شيخه عليه، وله أن يزور القبور ليتذكر بها أحوال الآخرة، وبالجملة فالمنهي عنه من الزيارة التعلق كزيارة الأكابر الذين تعلمون من أنفسكم الاعتقاد فيهم والتعلق بهم. اهـ منه بلفظه.

وفي الخريدة لفظية من أخذ هذا الورد الأحمدي وأسلافه من المصطفين الأخيار وممن يتوسل بهم من الأولياء الكبار كأهل وازان وأبناء ابن ناصر رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم لا بد أن يشترط عليه ترك زيارة أسلافه وآبائه بالاستمداد منهم والتوسل بهم في المهمات والملمات. وأما زيارة السنة فلا يمنع منها، وقال تعالى: ((وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)) ((ووصينا الإنسان بوالديه حسنا)) وأما من ليس آباؤه كذلك كعامة الناس فلا يضره أن قال لأحد أبويه ادع الله لي أن يرزقني رضاه ورضى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى شيخي ورضاكما وأطلب منكما رضاكما فإن رضى الله تعالى ورضى رسوله صلى الله عليه وسلم ورضى سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه في رضاهما فلا يضره ذلك. وما نقل عن البعض من أن ذلك مبطل للورد فغير صحيح، ولا يلتفت إليه والله أعلم.

وفي الجواهر: من أخذ وردنا ودخل طريقتنا فلا يزور أحدا من الأولياء الأحياء أصلا، وأما الأموات فإن زارهم يعتقد أنه واصلهم لله لا غير لأنهم أبواب الله وواصلهم لله ويطلب من الله مواصلته إياهم ورضى الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم ورضى شيخه عليه لا غير. اهـ وفي ذلك المعنى يقول الشريشي رضي الله عنه

فإن رقيب الإلتفات لغيره   يقول المحبوب السراية لا تسر

وقال في المنية:

يعطي لكل مسلم تحملا   عدم زور الأولياء مسجلا

سواء الأموات والحياء   وتخرج الصحب والأنبياء

إلى أن قال:

وبترك غيره من الأوراد   وعدم الترك إلى المعاد

وإن اختل واحد من هذه الثلاثة فليس له إلا التجديد. وقال أيضا: رضي الله تعالى عنه:

من يتب من فعله ويندم   ثم يجدد الطريق يسلم

تأمل وحرر بصرك الله من تقييد من قيد وإطلاق من أطلق سدا للذريعة فإنها كثيرا ما تجلب وتسبب انحلال عقدة المريد كما رِيئَ ذلك غير ما مرة والله أعلم.

ولشيخنا رضي الله تعالى عنه:

توجه نحونا تعط الأمانا   وغمض عين قلبك عن سوانا

ولازم عهدنا مادمت حيا   تكون إذا مصونا في حمانا

ويمم باب حضرتنا فقيرا   وغض الطرف عن غير ترانا

تحمل للبلاء وكن شكورا   وجد بالنفس إن تحب لقانا

والثاني: ما لا يقطعه ولكن تلزمه بتركه التوبة والتضرع إلى العلي المتعالي وهو لزوم ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم والتجنب عن كل معصية ولا سيما المعاصي القلبية. وقال أيضا في المنية:

ومر عليه كتب المجيد ذنبا فلا يلزمه التجديد

والاجتهاد بكل ما يكفر الذنوب كصلاة التسبيح والمداومة على آخر الحشر – لو أنزلنا – الخ وغيرهما. راجع المطولات ويطهر القلوب ولزوم الصلوات الخمس في الجماعة إن أمكن وكان الإمام يتم الأركان قلت:

تثقيل هيئة الصلاة يأتي مع اللوازم عن الثقات

عند الركوع والسجود لا تكن تنقرها كنقر ديك يا فطن

إذ قد نهى عن نقرة الغراب ببيننا الهادي إلى الصواب

لا بد من ثلاث تسبيحات على التراخي فزت بالنجاة

ولا تصل خلف من لا يأتي قدرالثلاث مدة الحياة

بذاك أفتى شيخنا التجاني ممد كل كامل العرفان

ومن في الاطمئنان أمعن النظر وما عليه زيد حقق الخبر

ولم يعب مقالة التجاني إذ وافق الصحيح يا ذا الجاني

وقال الشيخ محمد الحافظ رضي الله تعالى عنه في أجوبته التيشيتية: وأما ترك الصلاة خلف من لا يمكث القدر المعلوم فإن الشيخ رضي الله تعالى عنه لم يأمر به قط وأنا لا آمر به بل أنهى عنه ويتأكد ذلك فمن له إمام راتب مثلكم وشيخنا رضي الله تعالى عنه إنما أمر بالقدر المعلوم من جهة لسان الفقه لا لخاصية الطريقة.اهـ

ومن اللوازم عدم مجالسة مبغضي الشيخ لأن الشيخ قال ذلك: سم يسـري وكثيرا ما يقول رضي الله عنه:

واختـر لصـحبتك مـن أطاعـا   إن الطبـاع تسـرق الطباعـا

ومنها مراعاة حقوق الإخوان من غير تكليـف ولا حـرج إلا إذا خفـت العداوة أوالقطيعة ففي ذلك يجوز التكليف لإطفاء الواقع قال:

المـؤمن الـذي يـره الحقوقـا   عليـه لا لنفسـه تحقيقـا

ومنها عدم الأمن من مكر الله قال جل وعلا: ((فلا يأمن مكـر الله إلا القـوم الخاسرين)) وكثيرا ما يقول الشيخ رضي الله تعالى عنه:

فـآمن مكـر الله بـالله جاهـل   وخـائف مكـر الله بـالله عـارف

فـلا جاهـل إلا مـن الله آمـن   ولا عـارف إلا مـن الله خـائف

قال الشريشي رضي الله عنه:

ولا تـرين في الأرض دونـك مؤمنـا   ولا كـافرا حـتى تغيـب في القـبر

فـإن ختـام الأمـر عنـك مغيـب   ومن ليس ذا خسـر يخـاف مـن المكـر

ومنها اتّخاذ السبحة كما قال صاحب المنية:

واتّخـذ السـبحة للإعانـة   وعمـل الإمـام ذي الديانـه

والمراد بالإمام إمام الطائفتين وهو الجنيد رضي الله عنه.

الفصل الثاني:

في بيان شروط الورد التي من لوازم الطريقة وأركانه وما اختص به ووقته وبذلك يتبين لك أن قراءة الورد ليست عين الطريقة بل إنما هي من لوازمها:

وأما شروط الورد المتعلقة بالورد فهي على قسمين أيضا:

شروط صحة، وشروط كمال.

فأما شروط الصحة فخمسة:

١. النية

٢. وطهارة بماء أو بتيمم

٣. وطهارة الخبث من جسد أو ثوب أو مكان

٤. وستر العورة

٥. وعدم الكلام الكثير إلا لعذر فله الكلمة أو الكلمتان. وهذا إن لم يكن من يكلمك شيخا أو والدا أو زوجا وإلا فلا يبطل الورد بمكالمتهم. اهـ

ومن ترك واحدا من هذه الشروط الخمسة يلزمه القضاء في الوقت وبعده.

وأما شروط الكمال فهي: استحضار صورة شيخه ناويا المدد منه والأنفع والأكمل والأعظم من هذا استحضار صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم واستحضار معنى الذكر لمن قدر وإلا فليستمع لسانه.

ومن شروط الكمال الترتيل وعدم اللحن وهذه الشروط اشترك فيها الورد والوظيفة واختص الورد باستقبال القبلة إلا لسفر ولو قريبا وعدم الجهر واختصت الوظيفة بالجمع لمن كان له أخ وشرطه التحليق إن لم يضق المحل وإلا اصطفوا.

ووقته المختار في الصبح من بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى وما بين ذلك إلى الغروب فضروري وبعد الغروب القضاء، ووقته المختار في المساء بعد صلاة العصر إلى العشاء وما بين ذلك إلى طلوع الفجر فضروري وبعد الفجر القضاء.

ومن أراد أن يقدم ورد الصباح فليقدمه بعد العشاء بساعة قدر ما يقرأ القارئ خمسة أحزاب وينام الناس. وأما ورد العصر فلا يقدم إلا لعذر يلحقه في ذلك الوقت ففي ذلك يجوز له تقديمه في الليل بعد قراءة ورد الصباح قال صاحب المنية رضي الله تعالى عنه:

ولا تقدمن في النهار ذا الورد للعذر على المختار
وجائز تقديمه للعذر من بعد ما تقرأ ورد الفجر
في الليل ثم ليس من اشكال لفضل ذكر الله في الليالي

والحائض والمريض مخيران في ذكر الورد لكن إن كان المرض خفيفا يستحب القضاء.

أما الأركان فثلاثة: الاستغفار مئة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مئة وكونها بصلاة الفاتح المسماة بالياقوتة الفريدة أفضل وأكمل لما اشتملت عليه من فضل، والهيللة مائة ويقول بعد المائة سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله إن الله وملائكته إلخ ويقول بعد كل مئة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين كما عليه عمل أهل الصحراء، ومن وافقهم، نعم عمل فاس ومن بإزائها على ترك الختم بها بعد الاستغفار كذلك الهيللة كما لا يخفى قال في المنية:

فهذه ثلاثة الأركان لابد أن يقرأها الإنسان
ولتقرأنّ آخر اليقطين من بعد كل مئة في الحين

ويبني الشاك في ذا الورد على يقينه ويستغفر الله مئة مرة ناويا بذلك الجبر، ومن نكس سهوا يفعل الأصل ويأتي بالاستغفار أيضا مئة مرة وكذلك من زاد

الورد سهوا، وفي العمد البطلان. وفي الجامع من لم يقدر على حفظ الفاتح لما أغلق إلخ من العامة فليلقن غيرها من الصلاة مثل: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله. أو: اللهم صل على سيدنا محمد وآله. أو قل من هذه أو أكثر فالكل يكفي. اهـ وفي الجواهر بعد ذكر صلاة الفاتح وبعدها في الفضل روح الصلوات وهي: اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. ثم: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله. فأنت مخير وباجتهاد الملقن الذي يلقن الورد فله النظر إن كان من يأخذ الورد من أهل الدين والصلاح وفيه أهلية ونسبة فليقنه الفاتح لما أغلق ويأذنه في مرتبتها الظاهرة فقط لا غير وإلا يلقنه روح الصلوات إن كان متوسطا. وإلا: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله. وكيف ما فعل أجزأه بأي صيغة من صيغ الصلوات.اهـ

الفصل الثالث

في الوظيفة

في بيان أركان الوظيفة التي هي كالورد في اللزوم وما اختصت به ووقتها:

وأما وقت الوظيفة فلا تخصيص فيه لأنها تكفي في وقت واحد في الصباح أو في المساء وإن تيسرت في الوقتين فحسن وقال صاحب بغية المستفيد: إن عمل الشيخ رضي الله تعالى عنه استمر آخر عمره على مرة واحدة في الليل ولا زال العمل على ذلك بفاس وما بإزائها إلى الآن ولا تغني قراءتها عن الورد ولا قراءة الورد عنها ومن تركها لعذر فعليه القضاء.

وأركانها أربعة: وهي: أستغفر الله العظيم الـــذي لا إلـــه إلا هـــو الحـــي القيوم.ثلاثين مرة، ثم صلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مرة واحدة، والهيللة مئـــة، ثم سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله مرة واحدة، ثم جوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة وكانت من قبل إحدى عشرة كما في جواهر المعاني وزيدت منها واحدة حياة شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه.اهـــ قال في المنية:

وفي حيـــاة شـــيخنا قـــد زادوا   واحـــدة فزيـــدها ســـداد

ثم إن الله وملائكته إلى تسليما ثم سبحان ربك رب العـــزة عمـــا يصـــفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مرة وأهل الصحارى يقرءون بعد تمام كل ذكر من الوظيفة سبحان ربك رب العزة عما يصفون إلخ كما تقدم في الورد خلافا لأهل فاس وما بإزائها. والمتيمم لا يقرأ جوهرة الكمال بل يبدلها عشرين من صلاة الفاتح. وفي رواية أربعا وعشرين ولم أر لهذا الأخير نصا ومن أتى بجـــوهرة الكمال وهو متيمم أو العكس فإن أمكنه التدارك أتى بما عليه واستغفر الله، ومن أخذ هذا الورد ولم يحفظ جوهرة الكمال ولا صلاة الفاتح لما أغلق فيكفيه مطلـــق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة كما أنه يجزئ من حفظها لضيق الوقت.اهـــ

وفي الجيش الكفيل ثم زيدت وظيفة استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هـــو الحي القيوم. ثلاثين مرة. وخمسين من أي صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليـــه وسلم وبلفظ الفاتح لما أغلق عند بعض تلاميذ إلا لعذر كضيق الوقت فأي صيغة ثم سبحان ربك إلى آخر كلامه.اهـــ

وهذا خلاف ما وقع في غيرها أي في الرماح إذا قال فيه لا يكفي فيهما غير صلاة الفاتح.

وفي بغية المستفيد تنبيه فقد علمت أن من أركان الوظيفة صلاة الفاتح وأنه لا يجزئ في الوظيفة غيرها من الصلوات بدلها وعليه فتسقط الوظيفة عمن لم يحفظها حسبما هو مصرح به في جواهر المعاني وكان من حق الناظم أن لا يهمله.اهـ

قلت وكلام صاحب الجيش وما في الأجوبة التيشيتية من قراءة مطلق الصلاة لمن لم يحفظ صلاة الفاتح ولا جوهرة الكمال أحسن عندي من سقوط الوظيفة لعدم حفظهما لأن القائل بأخفية الوظيفة من الورد لا دليل له لأنها لازمة كالورد.اهـ

وفي الجواهر وهذه الوظيفة لازمة للطريقة وتكفي في وقت واحد، إما في الصباح أو المساء. وإن تيسر فعلها في الوقتين فحسن بخلاف الورد المعلوم فهو لازم لم أخذه في الصباح والمساء ولا يستغني بقراءة الوظيفة عن الورد فمن قرأ الوظيفة لابد له من الورد ومن ترك الورد فعليه قضاؤه ومن ترك الوظيفة فالقضاء عليه أيضا فهي كالورد.اهـ

وفي الجامع: وأما الوظيفة شيخنا فلازمة لكل من أخذ ورده وكان قادرا على ذكرها. أما وقتها فتذكر بين الليل والنهار مرة وإن ذكرت مرة في الصباح ومرة في المساء فهو أكمل وأفضل.اهـ

وفي المشاهد وساعد أصحابك ولا تتركهم هملا فبشرهم مرة وأنذرهم مرة وخوفهم مرة ولاطفهم فإن وقع منهم الرجوع على أعقابهم عنك وعن طريقتي حل بهم الهلاك العاجل والآجل فذكرهم وعظهم وحضهم على الجمع في الزاوية

لقراءة الوظيفة ولا تغفل أنت عن الزاوية في بنائها بالكلام والحرص والعزم في بنائها فإن الله متوليكم وناصركم وحافظكم إلى أن قال في محل آخر: ومن تخلف عن هذا فليس منا ولسنا منه ويخاف عليه من سوء الخاتمة إن تخلف عن وردنا وعن طريقتنا وعن زاويتنا وعم وظيفتنا ونحن برءاء منه وهو بريء منا ويخاف عليه أن يحل به الهلاك العاجل في الدنيا والآخرة الذي لا ينفك عنه وخوفهم وأنذرهم ولا تتركهم هملا فإن العامة في غاية الغفلة وفي غاية ما يكون فإن الهلاك أقرب إليهم من شراك نعلهم.

وفيها أيضا: فكل من أخذ وردي ودخل حصني لا يترك قراءة الوظيفة دون وردي فمن لازم وردي ووظيفتي ألزمته شفاعتي لا نفارقه طرفة عين إلى أن يحل جواري وقرابتي فمن أراد الورد وترك الوظيفة لم تنله هذه الخصوصية العظيمة وهي الورد والوظيفة معا.اهـ

وأما نشر الثوب عند بلوغ السبع من جوهرة الكمال فمندوب قد فعل بحضور الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ولم يمنعه قال في المنية:

ونشرنا للثوب ليس يجب على الذي يذكرها بل يندب

وشيخنا فعل ذا بمحضره ودع مقالة جهول منكر

ولا تقرأ الجوهرة إلا بالطهارة المائية والمكان الذي يسع ستة من الناس لأنه صلى الله عليه وسلم يحضر والخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم عند السابعة من الجوهرة من حلف بالطلاق أنه جالس مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو بار في يَمينه.

وفي الأجوبة التيشيتية أيضا: وأما نشر الثياب فإن الشيخ رضي الله عنه لم يأمر به وليس من الأمر اللازم عندنا وإنما فعله التلاميذ استشعارا للحضور وهو

خاص بمن بلغ سبعا من الجوهرة ولا فرق فيه بين الموضع الطاهر وغيره إلى آخـــر كلامه.

وفي جوهرة الكمال خلاف بين أشياخنا لأن منهم من لا يرى الجلوس فيها أصلا كشيخنا محمد الحافظ ومنهم من يوجب الجلوس عند الســـابعة كســـيدي مولود فال ومنهم من يشترط الجلوس كشيخنا عمر بن سعيد وهذا كله في المنفرد الذي يفعل وظيفته ماشيا في سفر بعيد أو قريب ورفع الخلاف صاحب المنية جزاه الله عنا خير الجزاء بقوله:

ولتقـــرأن هــــذي الصــــلاة راجـــلا   لا راكبـــــا إذا تكـــــون راحـــــلا
واشـــترطها طهـــارة الأرض كمـــا   تفهمـــــه مـــــن الـــــذي تقـــدما
سمعـــت ذا مـــن ســـيدي علـــيّ   صـــاحب شـــيخنا التماســـنيّ

وقال صاحب روض الشمائل لما حكيت هذا على الشيخ عمر قال صـــدق لأن الراجل شبيه بالجالس.اهـــ

الفصل الرابع

في ورد عصر الجمعة

أما الورد الذي يفعل بعد عصر يوم الجمعة فتردد فيه أشياخنا أيضا في العدد فمنهم من قال ألفا فقط كسيدي الماجد الجليل الأصيل مولانا محمد بن أبي النصر. وعن بعضهم ألف ومائتان وهو الذي اعتمد عليه صاحب الجيش الكفيل وعـــن صاحب الجامع في تعيين هذا العدد خمس عشر مئة فأكثر، وقد روي ألف وستمائة وفي الإفادة الأحمدية من لم يجد من يذكر معه ورد الجمعة فليذكر وحده إلى ســـت

عشرة مئة من الهيللة وقيل بغير عدد وشرطه الإجتماع إن كان إخوان واتصاله بالغروب وقال صاحب المنية:

ومن يشا التزم ذكرا عددا ألفا فصاعدا بلا حصر بدا

وقال صاحب الجيش الكفيل: ويشترط في ذكر الجمعة والوظيفة الاجتماع إلا لعذر وفائدة ذلك تعاضد أنوار قلوب الذاكرين وإظهار آيات الإسلام عند دروسها وإعانة ضعفاء المسلمين على الذكر.باختصار.

وقال سيدنا محمد الحافظ في أجوبة لأهل التيشيت أيضا: وأما التخليف في الذكر فإنه أولى وإذا تفاوتوا فللمسبوق أن يبتدئ معهم من حيث وجدهم ويقضي ما فاته بعد التمام وله أن يبتدئ ذكره سرا حتى يبلغ محلهم ويدخل معهم وليس للسابق أن يمكث حتى يبلغه صاحبه وإذا كان بعضهم في العشرين وبعضهم في الجوهرة فإن كلا من الطائفتين تقوم وتحلق وحدها وليس في ذلك التحرك المنهي عنه انتهى باختصار.

قلت قوله من حيث وجدهم أي غير تعوذ ولا تبسمل عنه الدخول ولا عند القضاء.اهـ

وسئل شيخنا الحاج عمر رضي الله تعالى عنه عن حكم المسبوق في الوظيفة المتيمم أو العكس إذا شرع أصحابه في ذكر جوهرة الكمال هل يشرع هو في البدل أو الاستغفار وهل له أولا أن يفتتح بالبسملة والتعوذ في الفاتحة أم لا؟ فأجاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به بقوله وأما المسبوق المتيمم أوالعكس إذا شرع أصحابه في ذكر جوهرة الكمال فإنه لا يشرع في البدل وإنّما يشرع في قراءة ما فاته ثم يأتي بالبدل لأنه كحكم مسبوق سلم إمامه. وأما الافتتاح بالتعوذ والبسملة فلا لأن ذلك إنما يفعله من يبدأ وهو في أثناء الذكر وإنها ذكر أيضا غير

لازم.اهـ هذا خلاف ما في الدرة الخريدة راجعها. وقوله أيضا أن يبتدئ ذكره سرا ما رأيت ذلك إلا في الأجوبة المذكورة والجيش الكفيل وقال صاحب المنية:

ومن يفته بعضها ويأتي يفعل كما يفعل في الصلاة

وقال صاحب البغية رضي الله تعالى عنهما: أراد بهذا أن المسبوق يذكر الوظيفة بحسب أعداد الذاكر من حيث أدرك فإذا كمّل الجماعة قضى ما عليه أي: ما سبق به من الأعداد حتى ينتهي إلى حيث ابتدأ معهم أي: حيث أدركهم ففعل المسبوق هنا كله قضاء لا بناء فيه لأنّها أقوال كلها وهذا معنى قوله يفعل كما يفعل في الصلاة ورأينا بعض الإخوان إذا سبقوا يفتتحوا الوظيفة من أولها ثم يستمرون على ذكر ما فاتهم مسرعين فيه إلى أن يلحقوا بمن سبقهم ولم ندر من أين لهم ذلك وعلى فرض وجود المستند فيه فلا يخفى ما فيه من التشويش والشغل المتكلف المنافي للحضور والله المستعان.اهـ

وأما سند طريقة شيخنا المحمدية كما في جواهر المعاني قال رضي الله تعالى عنه: إنا أخذنا عن مشائخ عدة فلم يفض الله تعالى منهم تحصيل المقصود وإنما سندنا وأستاذنا في هذه الطريقة عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قد قضى اهـ الله تعالى بفتحنا ووصولنا على يديه ليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف اهـ.

وأما أتباعه فقد أخبره النبي صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب له صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يكون وليا قطعا وأن أصحابه سواء في ذلك من رآه ومن لم يره.اهـ قلت:

ولا تخص الفضل من يراه بل سالك به حواه

ولو تسلسل وطال الأمر والفضل يؤتي من يشاء البر

وكل سالك به مراد لله مقبول كما يرتاد

كـــذاك يبعـــث بحســـن الأمـــن في أي حـــال مـــات دون الظـــن
مـــا لم يكـــن يـــأمن مكـــر الله فأمنـــــــه خســـــــارة والله

فائدة:

من فاته الشفع والوتر بخروج وقتهما بعد طلوع الشمس فليقضهما كما في الإفادة الأحمدية وليذكر الجوهرة ثلاثا وهو مستقبل القبلة وينوي بها الجبر ويرفعان صلاة اليوم الذي قبلهما ما عدا صلاة العصر فإنّها ترفع بنفسها لأنها الصـــلاة الوسطى من فاته الشفع والوتر لا ترفع له صلاة اليوم الذي قبلها ما عدا صـــلاة العصر وهذا الكلام الذي هو قضاء الشفع والوتر في الإفادة الأحمدية وهو خلاف ما أجاب به الشيخ رضي الله تعالى عنه بعدم قضائهما مراعاة للمـــذهب لســـيدنا محمود التونسي رضي الله تعالى عنه راجع ترجمته في كشف الحجاب.اهـ

وقال الرهوني عند قول الشيخ خليل ولا يقضى غير فرض قول زاي يحـــرم إلخ انظر ما قاله ثم المنهى عنه القضاء الحقيقي وأما أن يفعل الإنسان مثل ما فاتـــه من صلاة أو غيرها كذكر لا بنية القضاء بل بنية التقرب ولئلا تألف نفسه الباطلة فهو مطلوب.اهـ

من فاته الحضور في عمل فليذكر جوهرة الكمال ثـــلاث مـــرات بحضـــور مستقبلا وينوي بها الجبر عنه فإن ذلك العمل يكتب له بالحضور. اهـ

فائدة أخرى:

ومن فاتته الركعتان الواردتان بعد صلاة المغرب فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق خمسين يحصل له فضلها كما في الإفادة الأحمدية.

وكمال التقييد بحول الله وقوته في أوائل أربعين وثلاث مئة وألف ١١٤٣من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام لإحدى عشرة بقيت من المحرم

ونطلب من الله تبارك وتعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم وأن يجعلنا غائبين عنه بحيث لا نرى للنفس فيه حولا ولا قوة فإنه المقدر لحركات الخلق وسكناهم.

اهـ

الحمد لله رب العلمين وقاه الله ما يوجب الندم تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

خاتمة

في نص القصيدة المختوم بها

يا منكري أولياء الله فارتدعوا	فأن إنكارهم من أعظم الفتن
طريقنا لازم الإنكار منذ بدا	عن قطبنا وكذا تصديق ممتحن
قد ابتلي الشيخ بالإنكار فانتشرت	به الطريقة فانظر فعل ذا المكن
لا تنقضوا بعد توكيد عهودكم	والنقض فسق ولا تفعل ولا تزن
وفي اللطائف للشعران سيدنا	جزاه مولاه في تنبيهه الحسن
ما بش شيخ على وجه لمنتقض	إلاوقد مقتا بالله فاستعن
الناكثوا عهدهم طنوا اغترارهم	نكث الجميع فخابوا دائمي الحزن
لا شك من نقضوا يوما عهودهم	على شفا جرف هار على الفتن
وناقض بعد توكيد فأحمق يا	إخواننا من أبي غبشان ذي الغبن
أعوذ بالله من إخلال ما شرط الـ	ـهادي الشفيع علينا خير مؤتمن
وما على الأنبيا من شرط أولهم	أحق حقا بإيفاء فلا تخن

وكيف يترك أصل كان شافعنا عليه مع صحبه من قلة الفطن

قوله: ولا تزن: من زان يزين. قوله على الفتن: جمع فتنة وهي العذاب. قوله أبي غبشان كسكران وغثمان: رجل يضرب به المثل في الحمق والندم لبيعه الكعبة لقصي بزق خمر. انظر القصة في القاموس. قوله ذي الغبن بالتحريك ففي القاموس غبن الشيء وفيه كفرح وغبنا نسيه أو أغلفه أو خلط فيه ورأيه بالنصب غبانة وغبنا محركة ضعف. اهـ قوله وما على الأنبياء من شرط إلخ: يعني أن أحق الشروط بالإيفاء شرط التزمه الأنبياء والتزم لهم كمامر. قوله وكيف يترك أصل إلخ أي: كيف يترك ذو عقل سليم الأصل الذي هو التربية بالهمة التي كان بها صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله تعالى عنهم أجمعين. قوله من قلة الفطن: جمع فطنة تقدم.

ربـاهم كلـهم حقـا بهمته لـذا لهم أفضل الأخلاق والسنن
إذ نال من جده المكتوم تربية كنا كأصحابه يا خيرة المنن
من كان يستن فليستن صاح بمن ماتوا إذ الحي لم يؤمن من الفتن
أولئك القوم أصحاب النبي كما جآ في الحديث الذي يروي ولم يمن
فربنا اختارهم حقا بصحبته فأحسنوا بفراق الأهل والوطن
لو كان ما قبل خيرا لا يبدل ما كنا عليه بأمر المرشد الفطن
وإنما صلة الأرحام باقية حقا علينا بلا ميل عن السنن
وإنه وعد الباري الورى رحما بالوصل والقطع لا تقطع ولا تهن
أمانة نعمة وهكذا رحم يوم القيامة في التصويت كالأمن
إن كان إصلاح ذات البين من قرب فذاك قصدي بقولي كلما زمن
وشيخنا قد نهانا عن مقاطعة الـ أخلاق كلهم يا سامعي افتطن

من لم يصل كل مأمور بوصلته من الإله كان في الدين لم يكن
ليس عليك هداهم حجة قطعت ما نحن فيه من الأحقاد والإحن

قوله: المكتوم: فاعل قال والمراد به شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين سماه بهذا الاسم صلى الله عليه وسلم لاكتمام سنامه رضي الله تعالى عنه وعن جميع الخلق إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

قوله: من كان يستن إلى قوله فأحسنوا بفراق الأهل والوطن: إشارة إلى الحديث المروي في تيسير الوصول عن سيدنا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وهو المراد.

قوله الذي يروي ولم يمن من مان يمين أي: لم يكذب ونص الحديث: عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يومن عليه الفتنة أولئك أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.اهـ

قوله: لو كان ما قبل إلخ يعني: أنه لو كان ما كان عليه شيخنا من جميع طرق وغيره خيرا مما أمره جده صلى الله عليه وسلم من الإفراد والاكتفاء بتربيته عن تربية المشائخ وذلك الذي كنا عليه الآن الحمد لله لا يأمره صلى الله عليه وسلم بالتبديل إذ لو لم تكن الخيرية للأخير لكان الأمر بترك الأولى خيانة وهي في حق الرسل عليهم السلام محال.اهـ

قوله وإنما صلة الأرحام باقية إلخ يعني: أننا بعد ما تمسكنا بذيل هذا القطب الجامع والواسط الأكمل الذي أشار إليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ببعض ما يجب كتمه من المقامات لم يبق عليه إلا صلة الأرحام لا طلب مسلك آخر؟

قوله بلا ميل عن السنن: بالتحريك – الطريق يعني إن تلك الصلة شرطها عدم الميل عن شروط الطريق.اهـ

قوله أمانة إلخ: إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث ياتين يوم القيامة لها ذلق الرحم يقول يا رب قطعت والأمانة تقول أي رب تركت، والنعمة تقول: أي رب كفرت.

قوله الأمن كالكتف وهو المستجير وفي القاموس الأمن ككتف المستجير ليأمن على نفسه.اهـ

قوله ليس عليك إلخ لأنها كما في الجلالين نزلت لما منع صلى الله عليه وسلم من التصدق على المشركين ليسلموا.اهـ

والخطاب وإن كان واردا على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به العموم راجع روح البيان قلنا وإن كان المسلم ممنوعا أن يقع مواصلة أخيه المشرك فما قلت في المواصلة بين المسلمين.اهـ

قوله الإحن جمع إحنة وفي القاموس الإحنة بالكسر الحقد والغضب والجمع إحن كعنب.

وإننا كاليهود اليوم من فرق ... كل يخص سواه النار بالددن
جزاء من فرق التغريف ويحكم ... كما يدين يدان المرء كل وزن
دين التوافق والتحابب دينكم ... لا دين حقد وعدوان من الفتن
وما بنى الأوليآ بالفرق طرقهم ... حب الرياسة جلب الحين والوهن

من كان يرجو لقاء الله خالقنا فلا يعادي ولي الله ذي المنن
حابب وباغض لأجل الله رازقنا إن كنت طالب يوم الموقف الأمن
من ادّعى اليوم إذنا في طريقتنا فليلتزم ما التزمنا صدقه يبن
من ادّعى ذاك يوما غير ملتزم قلنا له لا تجئ تلبيس مفتتن
وشيخنا نسخه ما كان قيدحيا ته محال بعيد الموت فاستبن
فلا يسمى ببان هادم لبني من لم يكن ذا التزام هدمه أبن

قوله بالددن: في القاموس الددن محركة اللهو واللعب.

قوله الفتن: جمع فتنة وهي هنا اختلاف الناس في الاراء. انظر القاموس. اهـ

قوله وما بنى الأولياء إلخ يعني: إن الأولياء رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا ببركتهم وإنما بنوا طرقهم متنوعة لا اختلاف الصفات والاستعدادات لا لأجل أن يفرق الناس دين النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الواقع الآن وإنما جلب ذلك حب الرياسة فقط لا غير.اهـ

قوله الحين بفتح فسكون: الهلاك.

قوله الأمن بتحريك: ضد الخوف وفي القاموس الأمن والأمن كصاحب ضد الخوف أمن كفرج أمنا وأمانا بفتحهما وأمنا أمنة محركتين. اهـ

قوله من ادعى اليوم: أي من ادعى أن له إذنا في طريقتنا المحمدية الأحمدية بعينها فلا بد أن يلتزم ما التزمه أهل الطريقة للشيخ رضي الله تعالى عنه وإلا فصحة دعواه عنده لا عندهم.اهـ

قوله شيخنا إلخ: يعني أن شيخنا رضي الله تعالى عنه نسخه القواعد التي بنى عليها طريقته التي فضلها الله على سائر الطرق بفضله تبارك وتعالى كما رواه

الشيخ رضي الله تعالى عنه عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ووكل على تجديد تلك القواعد الخلفاء والمقدمين في كل وقت قبل مفارقة الدنيا وموته لا يقبله ذو عقل سليم.اهـ

قوله فلا يسمى ببان إلخ: يعني: أن مدعي ذلك كثيرا ما يهدم الطرق ويدعي أنه يبنيه وقد علمتم ما في جمع ضدين ولكن الله أعلم بواطن عباده قال سيدنا الشاذلي رضي الله تعالى عنه التسليم أسلم والله سبحانه تبارك وتعالى ببواطن عباده أعلم.اهـ

ما قال ما قال إلا قال سيدنا ... للنفخ في الصور صدق قوله ودن

صدق أو أنكر مقال الشيخ ملجإنا ... فالدر در ولو يصلى لممتحن

ووافقوا كلما جاء الزمان أرحـ ... ـتم القلوب يفعل الله ذي المكن

والدهر ظرف تفهم ما قصدت به ... والقلب بيت فطهر بيته وصن

يظن من لم تنر حقا بصيرته ... بأنني ساء ظني رب ذاك قني

وأشهد القلب ربي وأشهدوا معه ... يحب أصحابه في السر والعلن

الصمت حكم ولكن قل فاعله ... فلازموا الصمت والآداب في الزمن

وفي الكتاب وقولوا جل خالقنا ... للناس حسنا لتحظوا بالجزآ الحسن

من شاء صدق قولي لا التفات لنا ... لمدعي غير ما قلنا من الدخن

وليس قصدي بهذا من مجادلة ... ولا مشاحنة بل نصيح مقترن

يا رب صل على المختار شافعنا ... وآله صحبه الآساد والهتن

قوله ما قال ما قال الخ: يعني أن شيخنا رضي الله تعالى عنه لا يقول شيئا في طريقته غالبا إلا وقد قال للنفخ في الصور وإن كانت الغاية للنفخ في الصور

فكيف يدعي إنسان خلاف ما قال الشيخ رضي الله تعالى عنه مع أن الغاية لم يأت.اهـ

قوله المكن جمع مكنة بضم فيهما كغرفة وغرف وهي القوة، انظر تاج العروس .اهـ

قوله والدهر ظرف إلخ: يعني أن الدهر ظرف الله تعالى والظرف لا يكون فيه إلا ما جعله صاحبه فيه فواجب علينا الرضى في كل ما قضى الله تعالى فيه أي في الدهر.

قوله والقلب بيت: يعني أن القلب بيت له تبارك وتعالى لا يسعه في أرضه ولا في سمائه إلا قلب عبده المؤمن ولذلك وجب علينا أن نطهر القلوب في كل وقت ونصونها على الأغيار.

قوله من الدخن بالتحريك: الحقد كما في لسان العرب.اهـ

قوله الهتن بالضمتين السحاب جمع هتون كعصفور والصبر انظر اللسان والقاموس.اهـ

الحمد لله رب العالمين والحمد لله على كل حال.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

هذا تقريظ عبد ربه أبي بكر سـنـه أبلغه الله مأموله بنفسه في تأليف شيخه ومربّيه جعله الله من محبيه يعني به والده السيد الحاج مالك عليه رضى المالك المسمى إفحام المنكر الجاني على طريق الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين.

الحمد لله بارئ النسم المنعم بجلال النعم سبحانه وتعالى واسع الكرم ومؤتى الحكم وفاتح الأبواب وميسر الأسباب لأولى الألباب ومخرج الخبايا من العلوم النافعة للبرايا وأضاف لنفسه المساجد والزوايا ومعطي المآثر والمزايا . وصلاته وسلامه على خير السلف والخلف القائل " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " وعلى آله وأصحابه الأخيار والسلف أهل الفضل والشرف .

أما بعد ، فإني قد وقفت على التأليف المسمى إفحام المنكر الجـاني علـى طريف سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني أو زوال الإلباس عن عوام طريف القطب أبي العباس للسيد الجليل ذي الذكر الجميل سـلالة الأفاضـل الأعلام المعروف بجلالة القدر بين الأنام من سُمَاه سَما وذكره نمى بل دار صيته في الأقطار واشتهرت مناقبه بين الورى دون الإقتصار الشيخ الفقيه العالم العلامة النّحرير صاحب التنقيح والتحرير بحر الشريعة والحقيقة وعلم الطريقة وجـامع إشاراها وعباراها ورافع مناراها الوارث الداعي إلى الله على بصيرة وأطـرب السامعين ذكر مآثره الغزيرة ورباني أهل أوانه إمام الأئمة وملاذ الورى في زمانه والكهف المنيع والقمقام الرفيع والسميدع الأحوذيّ النصيع شيخ المشـائخ في

الإيمان والإسلام وحجة الله على الأنام عليم العلماء المـتقين وتـاج الحكمـاء المتقنين المحققين روض الشمائل وبهجة المحافل أرباب الفضائل وبستان المعـارف والدلائل ذي الثمار اليانعة والقطوف الدانية النافعة ومفيد المستفيدين ومرشـد المسترشدين ألا وهو المجتهد ما عفا من العلوم والمجدد ما اندرس مـن الرسـوم وتحتاز أفكاره ما حسن وراق من الفهوم ألا هو المقتصد بل السابق بـالخيرات بإذن الله الخاشع المنيب الأواه والإمام المفتي المالكي الذي علا بابلي السحر أن قام (١) لسحر البيان والفتوى ولـه اليد الطولى في كل فن من الفنون والغايـة القصوى وهو الملجأ والمأوى ومالك زمام الفحوى سـيدنا وشـيخنا ومربينـا وقدوتنا ووالدنا الحاج مالك بن الشيخ الفقيه عثمان تولى أمورهمـا الرحمـان فوجدته كالدر المنثور أو ما ظهر من الشذور أو فرائد القلائد على نحور الخرائد أو عقود الجمان أو طوق المرجان أو الجوهر المنظم أو اللؤلؤ المكنون في صدف البحر الخضم أو روضة غناء ذات الأفنان وتساجلت الأطيار على الأغصان أو بدائع الزهور المتنوعة للرائى كالكواكب سبحان مالك الدهور بل أنه لتـأليف عظيم القدر نير فلك المجد والفخر فيا لله من كتاب جمع الفنون وقرت به العيون وهو تحفة للأصحاب والإخوان ومسرة للأحبـاب والخلصـان وعـبرة لأولي الألباب والأذهان وفيه كل نادرة عجيبة وحكاية غريبة فو الله لقـد كلمـت معانيه وبديعه وبيانه ومبانيه وجليل مقداره وشأنه وعزيز في الأقطـار وجدانـه وربما عد مما مثله لا يسمع به ولا يرى إلا نادراً فوق الثرى وقد استحسن بـه العلماء الكملاء والحكماء النبلاء وهو مقتضى الحال عند القوم والرجال وأمره

لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه كبشان اللهم إلا أن يكـون عـرق الحسـد متحركاً في قلب حاسد جاحد وهو أيضاً أعجوبة الزمان وبدع كـل مكـان وأعجب المطالعين وحير المستمعين والسامعين فيا سعادة من دعاه داعي الفلاح ولبى مسرعاً إلى الأفراح لتظفر يمينه بهذا الكتاب المبارك والفرح الكبير المشارك وليحوز منى الدارين بجاه سيد الخافقين عليه الصلاة

(١) وفي نسخة: إن كان

والسلام ما رسخ السلام ولم لا فإن مصنفه بعيد المدارك وهو صعب أن يرى له في شأوه المشارك كلا وحاش ولكل محب جاش جاش لتحصيله إيـاه بيراعـة الصدق والتَّوْق في أنامل ذي الشوق وتشوقت إليه المسامع والأبصار واشتاقت إليه الخواطر والأفكار فناهيك به جلالاً وجمالاً وعجباً وكمالاً إبتـداء مؤلفـه بالسادة البررة الكرام والإجلاء الأعلام والغطاريف العظام والكملاء الفخـام أعيان الطريقة التجانية ذات المواهب الربانية والأسـرار العرفانيـة مسلسـلاً بسلاسله الفائقة ومظهراً بدلائله الرائقة متصلة إلى القطـب الربـاني المكتـوم والهيكل الرحماني المختوم والكوكب الأسعد النوراني المعلوم أبي الفيض الصمداني المعصوم والغوث الفرد الجامع الأكبر والأستاذ الأوحد الأبر والوارث الخـتم الأشهر والكبريت الأحمر علامة الزهّاد والعبّاد ورحمة للعبـاد وبركـة للـبلاد صاحب المقامات التي لم يعرف لها المنتهى إلا خالقه وجده المسرى الذى جـاوز سدرة المنتهى وأن إلى ربك المنتهى وليس فيها مدخل لأهل النهى ولا يتطاولهـا السها سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله تعالى عنه أسكننا الله وإياه جوار نبينا في دار التهاني سقانا من بحره بـأعظم الأواني بجـاه الـنبي

العدناني وألصقنا الله برضاه ورزقنا الممات تحت ظلّه وحماه فلا زالت علامـات الرضى والقبول على التأليف تلوح وأرج الرضوان يستنشـق منـه ويفـوح مادامت تطلع وتغرب فى السماء يُوحٌ وأتبعت هذه القصيدة الميمية بهذا النثـر قائلاً وفي ميدان المحبة جائلاً :

فَهلْ بَدَى بَدْرُ تـمٍّ فـي دُجَـى الظُّلَـمِ أَمْ الْفَرِيدُ بَـدَى أَمْ جَـوْهَرُ الْكَلِـمِ

أَمْ ذَاكَ لُؤْلُـؤَةٌ فـي جيـدِ غَانِيَـةٍ أَمْ ذَاكَ يَاقُوتَةٌ حَمْـرَاءُ فـي الْقِـيَمِ

أَمْ ذَاكَ رَوْضُ الرُّبَـى أَكْمَامُهَـا انْفَتَقَـتْ طُـوبَى لِمُقْتَطِـفٍ زَهْـراً وَمُغْتَنِـمِ

وَالرَّوْضُ يَانِعَـةُ الأَثْمَـارِ دَانِيَـةُ الْـ ـقُطُوفِ جَامِعَـةُ الأَنْـوَاعِ مِـنْ نِعَمِ

بَلْ إِنَّـهُ لَكِتَـابٌ مُعْجِـبٌ بَشَـراً مُسْتَحْسَنٌ عِنْدَ أَهْـلِ الْعِلْـمِ وَالْحِكَـمِ

بَـلْ إِنَّـهُ لَكِتَـابٌ مُبْـرِدٌ كَبِـداً يَرْوِي الْغَلِيلَ وَيَشْـفِي كُـلَّ ذِي سَقَمِ

بَـلْ إِنَّـهُ لَكِتَـابٌ جَـاءَ مُنْفَـرِداً لِلْفَرْدِ فـي عَصْـرِهِ وَالْجَـامِعِ الْعَلَـمِ

بَحْرُ الْمَعَـارِفِ بَـلْ رَوْضُ الْفُنُـونِ وَبُسْـ ـتَانُ الْعُلُومِ نَعَـمْ يَـا مِنْحَـةَ الْحِكَـمِ

كَمْ صَاغَ مَا أَحْسَـنَ الـدُّرَّ النَّظِـيمَ عَلَـى أَقْوَالِهِ يَا لَـهُ مِـنْ مُنْشِـيءٍ عَلَـمِ

وَكَمْ أَفَـادَ إِفَـادَاتِ الْعُلُـومِ لِجَمْـ ـمَاءٍ غَفِيرٍ جَرَتْ مِـنْ فَيْضِـهِ الْعَمَـمِ

أَلاَ اعْجَبُـوا إِخْـوَتِي يَكْفِـيكُمْ عَجَبًـا تَأْلِيفُ شَـيْخِي يَـا بُشْـرَى لِمُحْتَـرِمِ

مُؤَلَفٌ فِي طَرِيـقِ الشَّـيْخِ سُـمِّيَ مِـنْ إِفْحَامِ مُنْكِـرِهِ الْجَـانِي أَخِـي الإِصَـمِ

زَوَالُ الالْبَاسِ عَنْ عَـوَامِ سَـلْكِ أَبِـي الْـ ـعَبَاسِ سَـيِّدِنَا الْمَكْتُـومِ ذِي الْعِظَـمِ

طَرِيقَةُ الْحَـقِّ مَـتْنُ الشَّـرْعِ أَسَّسَـهَا يَدُ النُّبُـوَّةِ ذَاتُ الْجُـودِ وَالْكَـرَمِ

طَرِيقَةُ الْخَيْرِ لِلْقُطْبِ الْمُمِدِّ عَلَى الْـ ـأَقْطَابِ خَاتِمِ أَهْلِ اللَّهِ كُلِّهِمِ

أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالأَلْبَابِ قَدْ طَمِعُوا فِي دَرْكِهَا ثُمَّ أَهْلُ الذَّوْقِ وَالْهِمَمِ

للّه دَرُّكَ يَا ابْنَ الأَكْرَمِينَ أَبَا الْـ ـمَنْصُورِ يَا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ

كَمْ جِئْتَنَا بِتَصَانِيفٍ مُنَمَّقَةٍ نَفْعَ الْعِبَادِ لِوَجْهِ اللَّهِ وَالْقَلَمِ

وَكَمْ رَفَعْتَ مَنَارَاتِ الشَّرِيعَةِ كَمْ أَحْيَيْتَ سُنَّةَ خَيْرِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

وَكَمْ رَفَعْتَ مَنَارَاتِ الطَّرِيقَةِ كَمْ سَقَيْتَ فِيهَا الْوَرَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

أَرْضَيْتَ رَبَّكَ لَمَا كُنْتَ وَاضِعَ أَقْـ ـدَامٍ عَلَى قَدَمِ الْمُخْتَارِ ذِي الْقِدَمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَمَّا كُنْتَ مَلْجَأَنَا فِي تِي وَتَالِكَ يَا مَوْلَايَ مُعْتَصَمِي

فَلْنَحْمَدِ اللّه هَذَا قَدْ كَفَى نِعَماً مِنْ رَبِّنَا الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ ذِي النِّعَمِ

جَزَاكَ عَنَّا إِلَهُ النَّاسِ ثُمَّتَ ضَا عَفَ الأُجُورَ بِجَاهِ شَافِعِ الأُمَمِ

أَوْلَاكَ مَوْلَاكَ رِضْوَاناً وَمَكْرُمَةً وَرَحْمَةً ثُمَّ سَعْداً وَالْقَبُولَ سِمِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمُ الإِلَهِ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَمِ

انتهت

بعون الله قام بنسخ هذا الكتاب عبيد ربه الراجي عفو ربه الحنان المنان

{ عَلِيٌّ صَارْ ابن دَاوُودَ " كَرْ جُونْ صَارْ " }.

بِمساعدة:

الأستاذ إبراهيم نياس امبوج (تواوون)

رحم الله من رأى فيه خلطا وأصلحه

لوجه ربنا الكريم. يغفر الله

لنا ولكم.

فهرس